

قَصَصٌ وَحِكَايَاتٌ

مِنَ الْيَمَنِ

عربي

بمكيتها شيخ علماء اليمن
العلامة القاضي الفقيه

محمد بن إسماعيل بن عمر

بليها

مجموعة تراجم بيت العمراني

أعدّها والفّ بنينا ومحمدا ومحمدا

كبيرنا لأمّنه الدكتور

محمد بن عبد الرحمن بن خنيم

حفظه الله

دار الإحياء

للطبع والنشر والتوزيع

بمسكنه سنة ١٤٣٧هـ

دار الفقه

لتنسيق الكتاب والشرط الذي يري
بمسكنه سنة ١٤٣٧هـ ت: ٥٤٤٤٤٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا
إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

مَحْفُوظٌ
جَمِيعُ حَقُوقِ

طبعة عام ٢٠١٠

رقم الإيداع ٩٩٢٤ / ٢٠٠٣

الترقيم الدولي

977-331-120-1

١٩١٧ شارع جليل الجياط - مصطفى كامل - إسكندرية

تليفون: ٥٤٥٧٦٩ ت: ٥٤١١٩١٠ - ٥٢٢٢٠٠٢

E-mail: dar_aleman@hotmail.com

دار الأمان
للطباعة والنشر والتوزيع



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين أصل هذا الكتاب أن القاضي العمراني - حفظه الله - يستخدم طرقاً تربوية شتى في إيصال العلم إلى طلبته ، ومن هذه الطرق التربوية : طريقة القصص ، و : طريقة التخفيف على النفس بشيء من الهزل أو الفكاهة ، فكان كلما أتت مناسبة أتى بقصة أو طريقة تخفف عن الطلاب وتثبت لهم ما ألقى إليهم من الجدد ، فكانت أسجل هذه القصص والطرائف والنوادر ، ومعظمها يعني عايشه القاضي أو طالعه في كتاب أو سمعه ، وكنت أستفسر عن بعض ما يغمض علي وأسجله ، ومن طبيعتي محبة الأدب واللطائف والنكات الأدبية ، فكانت دائم المطالعة في كتب الأدب ، وكنت أقارن بصورة تلقائية بين ما يلقى إلينا القاضي من الفوائد الأدبية ، وما تحويه كتب الأدب ، فكانت أجد أن معظم ما يورده القاضي لا يوجد في كتب الأدب المعروفة ، وربما زاد في طرافته وبهائه على ما تورده كتب الأدب ، فرأيت أن تضييع ما كتبه عن القاضي في ذلك الشأن هو من تضييع العلم والأدب ، فسألت نفسي : ما المانع من أن يصنع من هذه المادة كتاباً أدبياً مشوقاً لطيفاً ، يضاف إلى تراثنا الأدبي العربي ؟ وكان الجواب أنه لا مانع بل هناك دافع ، بل دوافع تؤيد تحويل هذه المادة إلى كتاب ينتفع به هواة ومحبو العربية ، وابتدأت في تأليفه ، وكانت أكبر الصعوبات هي أن معظم هذه اللطائف ألفت بالعامية اليمنية ، فكيف أكتبها ، وكيف أصوغها ؟

إن كتبتها بالعامية ، فستكون هذه مساعدة ودعمًا للعامية ، وأنا من أنصار

الفُصحى الذين يعملون على إحيائها ، وإماتة اللهجات العامية أياً كانت هذه العامية مصرية أو شامية أو يمنية ؟! ولو كتبها بالعربية الفصحى لتغيرت النكات واللطائف ، وفقدت طرافتها وظرافتها ، وقديماً كنتُ أحفظُ من كتب الأدب : أنَّ اللطيفة أو النادرة إذا كانت عامية فغيرتها فقد أفسدتها ، ولا شك أنني لا أريد أن أفسد هذه الطرائف واللطائف ، وناقشت بعض أهل العلم والمتأدبين في ذلك ، فلم أستقر على شيء حتى هديت - بعد زمنٍ ومعاناة - إلى طريقة وسطى أرجو أن تكون ناجحة - والقارئ العزيز هو الحكم ، وهي : أن أصوغ هذه اللطائف في عربية فصيحة ، ولكن في أسهل ما يكون من الألفاظ والعبارات التي ربما أوهمت القارئ أنها عامية ، حتى إذا دقق فيها لم يجد فيها مغمزاً لغوياً ، أي أنها فصحى من أدنى ما تكون الفصحى ، وأيسر وأسهل عبارة يمكن سبكها دون أخطاء لغوية .

وفي بعض الأحيان ربما استعرت لفظة عامية عند الضرورة - والضرورات تبيح المحظورات - وذلك إذا كانت النكتة أو اللطيفة قائمة على اللفظة العامية ، فهنا لا أستطيع تغييرها أو استبدالها ؛ لأن اللطيفة لن تفهم أو لن يكون لها معنى ، فحينئذ أستعيرها على حياء ووجل ، وربما وضعتها بين قوسين أو جئت بها وباللفظة الفصيحة بين قوسين كالترجمة لها أو التفسير ، ولا شك أنَّ حكاية هذا الأمر ليس كفعله ، فقد لقيت في هذه الطريقة صعوبات جمّة كادت أن تصرفني عن الإتمام ، وبخاصة سوق الأدب كاسدة وسوق العي والركاكة نافقة ، فتذوقت الأمرين وتقلبت على الجنبين حتى لا أعود بخفي حنين ، وكنت أودُّ عزيزي القارئ أن أحكي لك تجربتي هذه كاملة مفصلة ، وليس مرادي أن أستعرض صبري وجلدي أمامك ، فهذا شيء بيني وبين الله



تعالى ، ولكن أردت أن أفيد بهذه التجربة والمعاناة الأدبية حتى تكون على بينة منها ، وتكون كالمعاش لي ، وهذا مما يزيد الصلة بيني وبينك - عزيزي القارئ - ، وربما استفدت منك نصيحة ، أعمل بها في طبعة قادمة إن شاء الله ، ولكن لا يتسع لي الوقت في أن أحكي لك ما أشرت إليه .

كذلك كان بودي أن أكتب مقدمة مبسطة موسعة عن علم الأدب عموماً ، والجانب القصصي خصوصاً ؛ حتى أبين لك بالبرهان أن القصص جند من جند الله - كما قال بعض السلف - وأسوق لك الآيات والأحاديث والآثار والحكايات في قدر وقيمة هذا الفن الأدبي ، وأرد على غير المتأدبين في إنكارهم شغل الوقت بهذا واعتباره من المنكرات !! ولكن - للأسف الشديد - لا يتسع الوقت لهذا وأنت ترى عزيزي القارئ أن الكتاب قد تضخم حتى شارب أن يخرج من مجلد إلى مجلدين ، وليس كل ما يتمناه المرء يدركه . فربما استدركنا هذا فيما بعد إن شاء الله .

وقبل أن أختتم هذه المقدمة أحب أن أشير إلى أن أي عبارة أو بقعة أو بلد لم أنص على حقيقتها أو معناها أو مكانها لظهور أو لسهو أو لغفلة ، فالأصل فيها أنها يمنية ؛ لأن ولادة هذا الكتاب كانت على التراب اليمني ، فحيا الله اليمن وأهلها ، وعاشت اليمن سعيدة حاضنة للإيمان والحكمة ، والحمد لله رب العالمين

كتبه

محمد غنيم

القاضي العمراني أديباً ظريفاً

رَبِّمَا يَسْتَعْرِبُ بَعْضُ الْقُرَّاءِ هَذَا الْعَنْوَانَ ، فَإِنَّهُمْ لَا يَعْرِفُونَ الْعَالِمَ إِلَّا مُتَجَهِّمًا سَكِيئًا زَمِيئًا ، وَيُظَنُّونَ أَنَّ التَّجَهُمَ وَوَعُورَةَ الْخُلُقِ مِنْ صِفَاتِ الْعَالِمِ الْمُلَازِمَةِ لَهُ ، وَأَنَّ الْعَالِمَ إِذَا كَانَ أَدِيبًا ظَرِيفًا طَيِّبَ الْمَفَاكِهِهَ لَطِيفَ الْمَعَاشِرَةِ ، فَإِنَّهُ قَدْ أَخْلَى بَوَاقِرَ الْعِلْمِ وَجَلَالَهَ الْعُلَمَاءِ ، وَهَذَا الْأَخِيرُ لَا شَكَّ عِنْدِي أَنَّهُ رَأَى خَاطِئًا ، وَفَهُمْ قَاصِرٌ يَدُلُّ عَلَى عَدَمِ فَهْمِ لُحْمَةِ الْعَالِمِ ، وَعَدَمِ نَظَرٍ فِي أَحْوَالِ السَّلَفِ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْفُضَلَاءِ ، بَلْ عَلَى عَدَمِ دِرَايَةِ بَسْنَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَهَدْيِهِ فِي مَعَامَلَةِ النَّاسِ وَمُدَارَاتِهِمْ ..

فَقَدْ رُوِيَ عَنِ الزُّهْرِيِّ - وَهُوَ مِنْ أَكْبَارِ الْحِفَاطِ وَالْعُلَمَاءِ - أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ :
« هَاتُوا مِنْ أَشْعَارِكُمْ ، هَاتُوا مِنْ طَرَفِكُمْ ، أَفِيضُوا فِي بَعْضِ مَا يَخْفُ عَلَيْكُمْ وَتَأَنَسَ بِهِ طِبَاعَكُمْ » .

وَرُوِيَ عَنْ سَفِيَّانَ بْنِ عُيَيْنَةَ ، قَالَ : « أَتَيْنَا مَرَّةً مُسْعِرَ بْنَ كِدَامَ ، فَوَجَدْنَاهُ يُصَلِّي ، فَأَطَالَ الصَّلَاةَ جِدًّا ، ثُمَّ التَفَتَ إِلَيْنَا مُبْتَسِمًا ، فَأَنْشَدَنَا :

أَلَا تِلْكَ عِزَّةٌ قَدْ أَقْبَلَتْ تَرَفُّعُ نَحْوِي طَرَفًا غَضِيضًا
تَقُولُ : مَرِضْنَا فَمَا عُدْتَنَا ! وَكَيْفَ يَعُودُ مَرِيضٌ مَرِيضًا !

قَالَ (أَيُّ سَفِيَّانَ) : فَقُلْتُ : رَحِمَكَ اللَّهُ ، بَعْدَ هَذِهِ الصَّلَاةِ هَذِهِ ؟ ! ،
قَالَ : نَعَمْ ، مَرَّةً هَكَذَا ، وَمَرَّةً هَكَذَا » .

وَرُوِيَ عَنْ شُعْبَةَ - وَهُوَ مِنْ أَئِمَّةِ رِجَالِ الْحَدِيثِ حَفِظًا وَتَثْبُتًا ، وَرَوَايَةً وَدِرَايَةً - رَوَى عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يُحَدِّثُ النَّاسَ ، فَإِذَا تَلَمَّحَ أَبَا زَيْدٍ النَّحْوِيَّ فِي أُخْرِيَّاتٍ

الناس ، قال أبا زيد :

استعجمت دار نعم ما تكلمنا والدار لو كلمتنا ذات أخبار
بل ورد عن بكر بن عبد الله المزني قال : « كان أصحاب رسول الله ﷺ
يتمازحون ويتبادحون بالبطيخ (أي يترامون به) فإذا كانت الحقائق كانوا هم
الرجال » (١) .

بل ورد عن رسول الله ﷺ من المطاوعة والمفاكهة مع أصحابه وأزواجه ، ما
يدل على أن هدي النبي تطيب النفوس ومبسطتها بشيء من الممازحة
والملاطفة ؛ لتكون أنشط لقبول ما يلقي إليها من الحق .

وشيخنا القاضي محمد - حفظه الله - سار على هذا الدرب ، فما تجلس
في مجلس من مجالسه إلا وقد خرجت مسرور النفس مرتاح القلب من كثرة
لطائفه ونكاته وحكاياته التي تدل على تواضعه وسلامة صدره ، وطيب قلبه
وسعة اطلاعه ، وتذكرني مجالس القاضي محمد - حفظه الله - بمجالس
الإمام الشعبي ، فإن هذا الإمام كان مغرمًا كشيخنا بالنكتة اللطيفة ، والنادرة
الخفيفة ، وقد امتلأت كتب الأدب والنوادر بحكاياته ولطائفه .

فمما يحكى عنه - رحمه الله - أنه لقيه رجل ، وهو واقف مع امرأته
يكلّمها ، فقال الرجل : أيكما الشعبي ؟ فأومأ الشعبي إلى المرأة ، وقال : هذه
وسأله رجل عن المسح على اللحية في الوضوء ، فقال : خللها بأصبعك ،
فقال : أخاف أن لا تبلها ، قال : فانقعها من أول الليل . وجاء رجل إلى
الشعبي ، فقال (أي الرجل) : اكرت حمارًا بنصف درهم ، وجئتك

(١) أورده الشيخ الألباني - رحمه الله - في « السلسلة الصحيحة » .

لِتُحَدِّثَنِي ، فقال له : اَكْتَرِ بِالنِّصْفِ الْآخَرِ ، وَارْجِعْ ، فَمَا أُرِيدُ أَنْ أُحَدِّثَكَ .
 وقيل للشعبي : هَلْ تَمَرُّضَ الرُّوحُ ؟ قال : نعم ، مَنْ ظَلَّ الثُّقْلَاءَ .
 وَدَخَلَ الشَّعْبِيُّ الْحَمَامَ ، فَرَأَى دَاوُدَ الْأَوْدِي بِلَا مِئْزَرٍ ، فَعَمَّضَ عَيْنَيْهِ ،
 فَقَالَ لَهُ دَاوُدُ : مَتَى عَمِيتَ يَا أَبَا عَمْرُو ؟ قال : مِنْذُ هَتَكَ اللَّهُ سِتْرَكَ .
 وَلِذَلِكَ رَأَيْتُ أَنَّ مِنْ تَمَامِ الْكَلَامِ عَلَى شَخْصِيَّةِ الْقَاضِي مُحَمَّدٍ - حَفَظَهُ
 اللَّهُ - الْكَلَامُ عَلَى هَذِهِ الْخَصْلَةِ الَّتِي هِيَ مِنْ أَبْرَزِ خِصَالِهِ ، وَالَّتِي كَانَتْ مِنْ
 أَسْبَابِ تَوْسِيعِ مَكَانَتِهِ فِي الْقُلُوبِ ، وَجَعَلَتْهُ مِنْ أَدْبَاءِ وَظُرَفَاءِ الْعَصْرِ الَّذِينَ لَهُمْ
 قُدْرَةٌ عَلَى ابْتِكَارِ النِّكَّةِ ، وَسُرْعَةٍ بِدِيهَةٍ ، تَمَكَّنَهُ مِنَ الْإِسْتِفَادَةِ مِنَ الْمَوَاقِفِ
 وَالخُرُوجِ مِنَ الْمَآزِقِ ، وَهَذِهِ الْخَصْلَةُ اكْتَسَبَهَا الْقَاضِي مُحَمَّدٌ مِنْ كَثْرَةِ الْمُطَالَعَةِ
 فِي كُتُبِ الْأَدَبِ ، فَهُوَ يَنْقَلُ مِنْهَا كَثِيرًا عِنْدَ الْمُنَاسِبَةِ ، وَأَيْضًا مُعَاشِرَةِ الْقَاضِي
 مُحَمَّدٍ لِلنَّاسِ ، وَاخْتِلَاطِهِ بِهِمْ فِي أَفْرَاحِهِمْ وَأَتْرَاحِهِمْ وَسِعَ عِنْدَهُ هَذِهِ الدَّائِرَةُ ،
 وَاعْتِقَادِي أَنَّ السَّبَبَ الْأَسَاسِيَّ هُوَ طَبِيعَةٌ يَجْعَلُهَا اللَّهُ فِي بَعْضِ خَلْقِهِ ، وَمَوْهَبَةٌ
 يَمْنَحُهَا اللَّهُ لِبَعْضِ عِبَادِهِ ؛ لِأَنَّ الْأَسْبَابَ الْمُتَقَدِّمَةَ قَدْ تَوَافَرَ لِبَعْضِ النَّاسِ ،
 وَلَا يَتِمَكَّنُونَ مِنْ أَنْ يَكُونُوا أَدْبَاءَ ظُرَفَاءَ ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ يَفْتَقِدُونَ الْمَوْهَبَةَ ،
 وَهِيَ الرُّكْنُ الْأَسَاسِي ، وَمِنْ أَجْلِ هَذَا اخْتَرْتُ مَجْمُوعَةً مِنْ طُرَفٍ وَلَطَائِفٍ
 وَأَدَبِيَّاتِ الْقَاضِي مُحَمَّدٍ ، وَذَلِكَ لِيَسْتَفِيدَ مِنْهَا الْقَارِئُ ، وَبِخَاصَّةٍ مَنْ كَانَ
 مُدْرَسًا ، فَيَعْرِفَ كَيْفَ يُحِبُّ طَلِبَتَهُ فِيهِ ، وَفِي الْفَنِّ الَّذِي يُدْرَسُهُ لَهُمْ ،
 لِأَدْلَلُ عَلَى كَوْنِ الْقَاضِي مُوَهَّبًا بِهَذِهِ الْهَبَةِ ، وَثَالِثَةٌ وَهِيَ حِفْظُ هَذِهِ اللَّطَائِفِ
 مِنَ الضِّيَاعِ ، فَإِنَّ مُعْظَمَهَا جَدِيدٌ لَيْسَ مُوجُودًا فِي كُتُبِ الْأَدَبِ وَالطَّرَائِفِ ،
 فَهَآكَ هَذِهِ الْهَدِيَّةُ :

(١) قصتك غريبة يا حاج علي!

هَذَا مِثْلُ يَضْرِبُهُ الْقَاضِي لِمَنْ يَسْأَلُ عَنْ شَيْءٍ قَدْ تَكَرَّرَ ذِكْرُهُ أَمَامَهُ .
 وَأَصْلُهُ - كَمَا يَحْكِي الْقَاضِي الْعِمْرَانِي ^(١) - : أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ صَنْعَاءَ
 كَانَ يَنَادِيهِ النَّاسُ بِعَلِيِّ أَفْنَدِي ، وَكَانَ هُنَاكَ رَجُلٌ مِنْ دُونِ النَّاسِ يَنَادِيهِ بِالْحَاجِّ
 عَلِي ، وَكَانَ يَضِيقُ بِهِذَا ، وَفِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ نَادَاهُ بِالْحَاجِّ عَلِي ، فَقَالَ عَلِي
 أَفْنَدِي : يَا أَخِي .. يَا حَاجَّ عَلِي .. يَا حَاجَّ عَلِي اسْمَعْ يَا أَخِي عِنْدَمَا كُنْتُ
 صَغِيرًا كَانَ النَّاسُ يَدْعُونِي « عَلِي » ، وَعِنْدَمَا كَبُرْتُ وَذَهَبْتُ إِلَى الْحَجِّ ،
 أَخَذُوا يَدْعُونِي « بِالْحَاجِّ عَلِي » ، وَعِنْدَمَا ذَهَبْتُ عِنْدَ الْخَلِيفَةِ الْعُثْمَانِي فِي
 اسْطَنْبُول ، أَصْبَحَ لَقَبِي « عَلِي أَفْنَدِي » ، فَلَا تَدْعُونِي إِلَّا يَا عَلِي أَفْنَدِي ..
 أَفْهَمْتُ ؟ فَقَالَ صَاحِبُهُ : وَاللَّهِ قِصَّتُكَ غَرِيبَةٌ قَوِي يَا حَاجَّ عَلِي .. ^(٢) !! .

(١) ذَكَرَ هَذَا الْمَثْلَ زَيْدُ عَنَانَ فِي « اللَّهْجَةِ الْيَمَانِيَّةِ » (١١٧) بِقِصَّةٍ مُخْتَلَفَةٍ تَحْتَ عُنْوَانِ « وَاللَّهِ إِنَّ
 قِصَّتَكُمْ عَجِيبَةٌ يَا حَجَّ أَحْمَدُ » قَالَ : « أَصْلُ ذَلِكَ أَنَّ شَخْصًا كَانَ لَهُ صَاحِبٌ مُلَازِمٌ لَهُ وَيَنَادِيهِ (يَا
 حَجَّ أَحْمَدُ) ، وَكُلَّ مَرَّةٍ يَقُولُ : اسْمِي عَلِي ، فَأَنَا الْحَاجَّ عَلِي لَا الْحَاجَّ أَحْمَدُ ، وَهَكَذَا كُلَّ يَوْمٍ
 ، فَقَصَّ عَلَيْهِ قِصَّةً ، قَالَ : إِنَّ أُمِّي مِنَ التَّجَارِ الْكِبَارِ وَكَانَ يَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَرْزُقَهُ وَلَدًا يَسْمِيهِ عَلِي تَبْرَكَ
 بِاسْمِ عَلِي بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَاسْتَجَابَ اللَّهُ دَعَاءَهُ ، وَوُلِدَ لَهُ وَلَدٌ ، وَعَمِلَ ضِيَافَةً لِلْأَمْوَاءِ وَالتَّجَارِ
 ، وَقَالَ لَهُمْ : الْحَمْدُ لِلَّهِ ، لَقَدْ اسْتَجَابَ اللَّهُ دَعَائِي وَرَزَقَنِي الْيَوْمَ مَوْلُودًا ذَكَرَ فَسَمَيْتُهُ عَلِي ، فَأَنَا
 اسْمِي الْحَاجَّ عَلِي ، قَالَ : وَاللَّهِ إِنَّ قِصَّتَكُمْ عَجِيبَةٌ يَا حَجَّ أَحْمَدُ « الْمَرْحُومُ الْعَزِي صَالِحُ السَّنِدَارِ ،
 وَالْأَخُ الْمَرْحُومُ أَحْمَدُ الْمُطَاع . أ. هـ .

(٢) وَعَكْسَ ذَلِكَ مَا طَالَعْتُهُ فِي كِتَابِ « ذِكْرِيَاتٍ لَا مَذْكُورَاتٍ » (١٤-١٥) لِلْأَدِيبِ الْمِصْرِيِّ ثُرُوتِ
 أَبَاظَةَ وَهُوَ يَتَحَدَّثُ عَنْ مَعْلَمِهِ الْأَوَّلِ ، قَالَ : « .. إِنَّهُ الْأَسَازُ أَحْمَدُ حَسِينُ الْقَرْعِيشِ ، الَّذِي أَصْبَحَ
 الْحَاجَّ أَحْمَدُ حَسِينُ الْقَرْعِيشِ ، وَقَدْ كَانَ لِحَمَلِهِ هَذَا اللَّقَبُ قِصَّةٌ فِي غَايَةِ الطَّرَافَةِ ، فَقَدْ كَانُوا
 يَنَادُونَهُ بِأَحْمَدِ أَفْنَدِي ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَلْبَسُ الْحِلَّةَ وَالطَّرْبُوشَ ، وَهُوَ فِي طَرِيقِهِ إِلَى الْمَدْرَسَةِ الْإِلْزَامِيَّةِ الَّتِي
 كَانَ يَدْرُسُ بِهَا ، فَقَدْ كَانَ يَعْمَلُ بِمَدَارِسَ قَرْيَ أُخْرَى ، وَكَانَ يَخْتَرُقُ قَرْيَ عَدِيدَةً ، فَكَانَ لَا بُدَّ أَنْ
 يَلْبَسَ حِلَّتَهُ كَامِلَةً وَالطَّرْبُوشَ ، فَلَمْ يَكُنْ عَجِيبًا أَنْ يَنَادُوهُ بِأَحْمَدِ أَفْنَدِي ، وَظَلَّ هَذَا لِقَبِهِ حَتَّى بَعْدَ
 أَنْ نَقَلَ إِلَى مَدْرَسَةِ غِرْآلَةِ (وَهِيَ قَرْيَةُ ثُرُوتِ أَبَاظَةَ) ، فَقَدْ ظَلَّ يَلْبَسُ حِلَّتَهُ كَامِلَةً فِي الْمَدَارِسِ إِطَاعَةً
 مِنْهُ لِأَوَامِرِ الْوِزَارَةِ ، ثُمَّ حَجَّ وَعَادَ مِنَ الْأَرَاضِي الْحِجَازِيَّةِ ، وَرَاحَ أَهْلُ الْقَرْيَةِ يَنَادُونَهُ بِأَحْمَدِ أَفْنَدِي
 عَلَى عَادَتِهِمْ ، فَإِذَا هُوَ يَصْبِحُ بِهِمْ : « يَا نَهَارَ أَسْوَدَ ، أَكُنْتُ حُجِجْتُ وَدَفَعْتُ مِائَةَ جَنْبِهِ (وَهِيَ
 تَكْلَفَةُ الْحَجِّ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ) وَزِيَادَةً لَتَقُولُوا : أَحْمَدُ أَفْنَدِي .. مِنْ لَا يَقُولُ الْحَاجَّ أَحْمَدُ ، لَنْ أُرَدَّ
 عَلَيْهِ ... ! ! » .

• قُلْتُ : ومما يناسب ذلك ما حكاه لي بعض الطلبة بالجامعة الإسلامية بالمدينة أن مدرساً تعاقده مع الجامعة الإسلامية ، وجاء لمقابلة مدير الجامعة ، ففي أثناء الكلام حلف بالنبي ، فقال : والنبي كذا وكذا ، فأنكر عليه مدير الجامعة ، وذكر له حديث النبي ﷺ : « مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ أَشْرَكَ » ^(١) ، فتأسف الأستاذ ، واعتذر ، وظلت في نفسه ، وخشي أن يلغي مدير الجامعة عقده ، فانتهاز أول فرصة للقاءه - وكانت عند الكعبة - فقال له : والنبي ما قصدت أحلف بالنبي .. فقال المدير : مرة ثانية .. ؟!

ومن شجون هذا الحديث - والحديث ذو شجون - ما ذكره ابن الجوزي في « أخبار الطراف والمتماجنين » (٢٠٣ - ٢٠٤) قال : « قَدِمَ قَوْمٌ غَرِيماً لَهُمْ إِلَى الْحَاكِمِ ، فَادَّعَوْا عَلَيْهِ فَقَالَ : صَدَقُوا ، إِلَّا أَنِّي سَأَلْتُهُمْ أَنْ يُؤَخِّرُونِي؛ حَتَّى أَبِيعَ عَقَارِي وَأَدْفَعُ إِلَيْهِمْ ، فَإِنْ لِي مَالٌ وَعَقَارٌ وَرَقِيقًا وَإِبِلًا ، فَقَالُوا : كَذَبَ ، مَا يَمْلِكُ شَيْئًا ، إِنَّمَا يُرِيدُ دَفْعَنَا عَنْ نَفْسِهِ ، فَقَالَ : أَيُّهَا الْقَاضِي ، اشْهَدْ لِي عَلَيْهِمْ ، فَعَدَمَهُ (أَيِ حَكَمَ بِأَنَّهُ مُعَدَّمٌ) ، ثُمَّ قَالَ لَخَصُومِهِ : قَدْ عَدَمْتُهُ . فَأَرْكَبَ حِمَارًا ، وَنُودِيَ عَلَيْهِ : هَذَا مُعَدَّمٌ ، فَلَا يُعَاْمَلُهُ أَحَدٌ إِلَّا بِالنَّقْدِ . فَلَمَّا كَانَ الْعِشَاءَ ، تَرَكَ عَنِ الْحِمَارِ ، فَقَالَ لَهُ الْمَكَارِي (صَاحِبُ الْحِمَارِ) : هَاتِ أَجْرَةَ الْحِمَارِ . قَالَ : فَقِيمَ كُنَّا مَذِ الْغَدَاةِ ؟! » .



(١) قال الإمام الشوكاني في « الدراري المضية » (٣٤٨/٢) : « .. وأخرج أبو داود والترمذي وحسنه والحاكم وصححه عن النبي ﷺ : « مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ كَفَرَ » وفي لفظ « فقد أشرك » وهو عند أحمد من هذا الوجه ، وفي لفظ للترمذي والحاكم : « فقد كفر وأشرك » وفي الباب أحاديث » .

وراجع « الزواجر عن اقتراف الكبائر » لابن حجر الهيتمي (٢٩٩/٢) .

(٢) بيع الخل!

وهذا مثل يضربه القاضي العمراني لمن يقاطعه في الفتوى أو الكلام .
 وقصة هذا المثل أن نصر الدين جحا كان يحمل الخل على حمار وبيعه ،
 فكان كلما دخل الشوارع والحارات ، فيقول : الخل الطيب من يريد الخل
 الطيب ؟ فكان كلما نادى يبيع الخل نهق حماره ، وكلما سكّت سكّت
 الحمار ، وفي النهاية انزعج جحا ، وقال : من الذي يبيع الخل أنا أم أنت ؟
 اذهب بع الخل أنت .. وترك جحا الحمار وذهب ! .

● قلت : وبعض الأحيان إذا زادت المقاطعة لشيخنا العمراني ، وكانت من
 شخص غريب ، فيقول القاضي : هذا خل طورى ، والخل الطورى - عند أهل
 صنعاء - يقصد به الخل الخارجى ، أي غير البلدى ، وليس من صنع أهل
 صنعاء ، وهو يباع في الأسواق ، ومنه ما لونه أبيض ، ومنه ما لونه أحمر ،
 وحموضته شديدة أشد من حموضة الخل البلدى .



(٣) لا يسلّم الشرف الرفيع !

يحكي ^(١) القاضي العمراني أنّ المهدي ^(٢) عبد الله أحد أئمة اليمّن كان بطاشاً متعجلاً في سفك الدماء يرتعد منه الناس ، وفي يومٍ من الأيام مرّ بصنعاء القديمة راكباً على فرسه ، وعليه اللباس الغالي ، وحوله الوزراء والدواشين ، وكانت الأيام أيام عيد الأضحى ، فسقطت من إحدى البيوت حاجيات الكبش والدماء والأوساخ على المهدي عبد الله ، فبهت الوزراء والحاشية من المفاجأة ، وتوقعوا أن يأمر المهدي بقطع رأس الرجل صاحب البيت ، ولم يدروا ماذا يصنعون ؟

فَمَا كَانَ مِنَ الدُّوشَانِ إِلَّا أَنْ أَنْشَدَ بَيْتَ الْمُتَنَبِّي (٣) :

(١) يحكي العلامة المؤرخ محمد بن علي الأكوّع هذه الحكاية بصورة مغايرة في مقدّمته لكتاب « مسالك الأبصار في ممالك الأمصار » للعصامي (٢٨-٢٩) يقول : « .. وما يدل على أدبه (أي المهدي عبد الله) أن مرة من المرات مرّ بأحد أزقة شوارع صنعاء ، فلم يشعر إلا وقد أهرق إلى الشارع ماءً قدّر ، فوقع على الإمام يدون شعور أهل المنزل ، فأُنشد في الحال قول المتنبي : لا يسلّم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبيه الدم ثم مرّ بسلام ، ولم يمس أهل المنزل بأذى ، حدّثني بالأخير أستاذنا وأخينا (هَكَذَا) ، والصواب : أخونا (العلامة عبد الله بن أحمد بن عبد الرزاق الرقيحي - رحمه الله - رحمة واسعة عن أبيه وأجداده .. أ. هـ .

قلت : والظاهر ما حكاه شيخنا القاضي العمراني - حفظه الله - .

(٢) المهدي عبد الله بن أحمد المتوكل ابن علي المنصور : ولد في سنة ١٢٠٨ هـ ، ونشأ بحجر الإمامة في أيام جده ثم في أيام أبيه ، تولى الإمامة في اليمّن سنة ١٢٣١ هـ ، بعد وفاة والده المتوكل أحمد ، وبايعه الشوكاني والعلماء والأمراء ، قال الشجني : كان لا يعرف منذ نشأ إلا السيف والسنان ، ولا يأنس إلا إلى الضرب والطعان ، وقال زبارة : ولصاحب الترجمة فتكات كثيرة مشهورة ، وكان لا يبالي بالعواقب ، فدان له اليمّن وأهله رغبة ورهبة ، وقد جمع له السيد يحيى بن المطهر بن إسماعيل سيرة سماها « العنبر الهندي في سيرة الإمام المهدي » ، توفي رحمه الله سنة ١٢٥١ هـ ، راجع ترجمته في « البدر الطالع » (١/٣٧٦-٣٧٧) ، و« نيل الوطر » (٢/٦٤-٦٦) و« المقتطف من تاريخ اليمّن » للجرافي (٢٦١-٢٦٤) ، و« الموسوعة اليمنية » (٢/٦١٦) .

(٣) الدوشان : هو شاعر القبيلة في اليمّن وحافظ أنسابها ومحمّسها ومهيجها في الحروب والسفير بينها وبين القبائل الأخرى ومادح الكرماء ، والدوشان ينتمي بحسب العرف القبلي إلى طائفة تدعى =

لا يَسْلَمُ الشَّرَفُ الرَّفِيعُ مِنَ الْأَذَى حَتَّى يَرَأَى عَلَى جَوَانِبِهِ الدَّمَ^(١)
 فضحك المهديُّ عبدُ الله ، وضجَّ الوزراءُ إعجاباً بيديها الدوشان ،
 وألقى كُلُّ واحدٍ مِنْهُمَ ما فِي يَدِهِ مِنْ مَالٍ عَلَى الدوشان ، فَمِنْهُمْ مَنْ ألقى إِلَيْهِ
 خَاتَمَهُ ، وَمِنْهُمْ مَنْ ألقى إِلَيْهِ الْفَرَانَصِي^(٢) وَمِنْهُمْ مَنْ ألقى إِلَيْهِ الْجَنِيْبَةَ ،
 حَامِدِينَ لَهُ إِخْرَاجِهِمْ مِنْ هَذَا الْمَوْقِفِ الْمَحْرَجِ .



== (بني الخمس) تشمل المزيّن والجزار والحمامي والقشام ، وينظر إليها من القبائل نظرة نقص
 طبقية ، إلا أن الدوشان أحسن هذه الطائفة حالاً وعطاء ، وكان الدوشان قديماً يحفظ الشعر الكثير
 حتى يكون بعض الدواشين حافظاً لديوان المتنبي ، وبعد ثورة ١٩٦٢م اندمج معظم هذه الفئات في
 المجتمع اليمني ودخلوا في الوظائف ، وقلَّ التَّميْزُ الطَّبَقِيّ ضدهم . راجع : البنية القبلية في اليمن ،
 (٢٣٨-٢٤٤) ، وه الموسوعة اليمنية ، (١/٤٤٦-٤٤٧) ، ومن لطائف الدواشين أن دوشاناً
 تسابَّ هو وأناس ، فعيّروه بكونه دوشاناً ، فقال : كلمة « دوشان » أصلها : « ذو شأن » فخففت إلى
 « دوشان » !! .

● **المتنبي** : هو أبو الطيّب أحمد بن الحسين الجعفي الكندي الكوفي ، الشاعر الحكيم وخاتم ثلاثة
 شعراء ، وآخر من بلغ شعره غاية الارتقاء ، وهو من سلالة عربية ، ولد بالكوفة سنة ٣٠٣ هـ ، لحق
 بسيف الدولة الحمداني ، فمدحه بما خلّد اسمه أبداً الدهر ، وتعلّم منه الفروسيّة وحضر معه وقائمه
 العظيمة مع الروم حتى عدّ من أبطال القتال ، قتل - رحمه الله - سنة ٣٥٤ هـ . راجع : جواهر
 الأدب ، (٣٢٦/٢-٣٢٧) .

(١) قال الصّاحب ابن عباد في « أمثال المتنبي » (٩٥) : « المعنى : لا يسلم للشريف شرفه إلا بقتل
 أعدائه وحسادّه ، فإن فعل صار مهيباً يتحامون أذاه ، ويخشون عقباه ، ولو لم يقل أبو الطيّب سوى
 هذا البيت ، لكان من المجيدين ، فهو من بوالغ الحكم كما نقل عن أبي الفتح » .

(٢) كانت الوحدة النقدية المستعملة في اليمن في التعامل الرسمي والتجاري هي ريال (مارياتريزا)
 النمساوي الفضيّ ، وكان يدعى عموماً « ريال فرانسِي » ، وقد ظلّ التعامل به وتداوله مستمراً في
 اليمن ، وفي أنحاء أخرى من الجزيرة العربية في المعاملات الرسمية والتجارية حتى صدور العملة
 الورقية في سنة ١٩٦٤ م . راجع : الموسوعة اليمنية ، (٩٦٨/٢) .

﴿٤﴾ حمل العمامة أهون من حمل أمانة

يُحْكِي الْقَاضِي الْعِمْرَانِي أَنَّ الْقَاضِي مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ الشُّوكَانِي - رَحِمَهُ اللَّهُ - كَانَ يُصَلِّي فِي مَدِينَةِ (ذِمَار) فَسَقَطَتْ عِمَامَتُهُ ، فَحَمَلَهَا وَهُوَ فِي الصَّلَاةِ ، وَأَعَادَهَا عَلَى رَأْسِهِ ، وَكَانَ هُنَاكَ أَعْرَابِيٌّ يَرَاهُ ، فَقَالَ : يَا شُوكَانِي ، هَذِهِ لَمْ تَعُدْ صَلَاةً ، هَذَا لَعِبٌ . فَقَالَ الشُّوكَانِي : حَمَلُ الْعِمَامَةِ أَهْوَنُ مِنْ حَمَلِ أَمَامَةٍ (يُشِيرُ إِلَى الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ ^(١)) الَّذِي فِيهِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ حَمَلَ أَمَامَةً بِنْتَ ابْنَتِهِ فِي الصَّلَاةِ (وَهَذِهِ مِنَ الْأَجْوِبَةِ الْمُسَكَّتَةِ ، فَرَحِمَ اللَّهُ الشُّوكَانِي !) .

﴿٥﴾ سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ خَدَرَهُ

يُحْكِي الْقَاضِي الْعِمْرَانِي أَنَّ رَجُلًا تَزَوَّجَ امْرَأَتَيْنِ إِحْدَاهُمَا كَانَتْ مِنْ قَرْيَةٍ (حَمْدَه) ^(٢) ، وَهِيَ تَابِعَةٌ لِقَبِيلَةِ (بَكِيل) ، وَالْأُخْرَى كَانَتْ مِنْ قَرْيَةٍ (خَدَرَه) تَابِعَةٌ لِقَبِيلَةِ (حَاشِد) ، وَكَانَتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ تَغَارُ مِنَ الْأُخْرَى ، فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ الَّتِي مِنْ (خَدَرَه) : أَنْتِ تُحِبُّ زَوْجَتِكَ الْأُخْرَى أَكْثَرَ مِنِّي ، فَقَالَ الرَّجُلُ كَيْفَ ؟ قَالَتْ : تَذْكُرُهَا دَائِمًا فِي صَلَاتِكَ ، قَالَ : فِي أَيِّ مَوْضِعٍ ؟ قَالَتْ : عِنْدَمَا تَرْفَعُ مِنَ الرُّكُوعِ تَقُولُ دَائِمًا : سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ (حَمْدَه) ، فَلِمَاذَا لَا تَقُولُ : سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ (خَدَرَه) ؟ ! .

(١) عَنْ أَبِي قَتَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُصَلِّي وَهُوَ حَامِلٌ أَمَامَةَ بِنْتَ زَيْنَبَ ، فَإِذَا رَكَعَ وَضَعَهَا ، وَإِذَا قَامَ حَمَلَهَا ، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ ، وَفِي رِوَايَةٍ لِلْبُخَارِيِّ عَنْ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « فَإِذَا سَجَدَ » ، وَفِي رِوَايَةِ أَبِي دَاوُدَ : « حَتَّى إِذَا أَرَادَ أَنْ يَرْكَعَ أَخَذَهَا فَوَضَعَهَا ، ثُمَّ رَكَعَ وَسَجَدَ حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْ سَجُودِهِ وَقَامَ أَخَذَهَا فَرَدَّهَا فِي مَكَانِهَا » . رَاجِعُ « فَتْحُ الْغَفَّارِ » لِلرَّبَاعِيِّ (١/١٥٩) .

(٢) قَرْيَةٌ كَبِيرَةٌ ذَكَرَتْ فِي النُّقُوشِ الْيَمَنِيَّةِ ، وَمَازَالَتْ حَتَّى الْيَوْمِ تَحْمِلُ الْاسْمَ نَفْسَهُ ، وَتَقَعُ فِي نَاحِيَةِ عِيَالٍ يَزِيدُ مِنْ مَحَافِظَةِ صَنْعَاءَ ، وَتَبْعِدُ عَنْ مَدِينَةِ رِيْدَةَ حَوْلِي ٩ كِيلُو مَتْرَاتٍ بِاتِّجَاهِ الشَّمَالِ ، وَهِيَ قَرْيَةُ الرَّئِيسِ الْيَمَنِيِّ السَّابِقِ إِبْرَاهِيمَ الْحَمْدِيِّ . رَاجِعُ « الْمَوْسُوعَةُ الْيَمَنِيَّةُ » (١/٤٢٠) .

● قلت : ومما یناسب هذا ما وردَ فی مجلَّة (مساء) (۱) (عدد : ۷ ربیع الثاني ۱۴۲۰ هـ) عن أحد القراء من الیمن ، قال : لی ثلاثة أخوة : مُحَمَّد وإبراهیم وإسماعیل ، وذات یوم کانت أُمّی تُصَلّی ، وفي التَّشَهُّدِ الآخر ، کانت تقول بِصوتٍ مسموعٍ قلیلاً : اللهم صلّ علی مُحَمَّد .. کما صَلَّیت علی إبراهیم .. إلى آخر الدعاء ، فبعد أن سَلَمْتَ جاءَ إسماعیلُ یبکی ، ويقولُ : ماما .. وإسماعیلُ ؟ لیش مُحَمَّد وإبراهیم بس ؟ أَلستُ ولدُک أیضاً ؟ .

وذكرتُ إحدى القارئَات من جدَّة - فی نفس العدد - قالت : لَدی بنتٌ اسمُها (غفران) ، وطفلٌ اسمُه (الولید) وذات یومٍ سألتَنی ابنتی (غفران) عن الدعاء الذي نقولُه بعدَ الخُروجِ من دُورَةِ المِیاء ، فقلتُ : غفرانُک ، قالت : وعندَ الدُخُولِ ؟ فقلتُ لها الدعاء ... فقَفَزَ ابْنی (الولید) وقال : لا ... لازم نقول : ولیدُک .. لیش فی الأولُ غفرانُک !!؟ .

علو مذهب الطَّبَنجَةِ !

هذا مَثَلٌ یضربُه القاضی لِمَنْ فَعَلَ شِئْناً مُکْراً عَلَیْهِ ، فَيَقولُ : فَعَلَهُ عَلَی مَذْهَبِ الطَّبَنجَةِ (والطَّبَنجَةُ معناها البندق العربیَّة القديمة) .

یحكي القاضی أن رجلاً شَرِبَ خمرًا فَسَكَّرَ ، وأَمْسَكَ بِغُلامٍ أَمْرَدَ ، وَذَهَبَ إلى أَحَدِ الشيوخ ، وقال : اعقد لی علی هذا الولد ، فقال : کَیْفَ هذا ؟ لا یجوز ! فَأَخْرَجَ السکرانُ الطَّبَنجَةَ ، وَهَمَّ بِقَتْلِهِ ، ثُمَّ تَرَكَهُ وَذَهَبَ إلى شَیْخٍ آخَرَ وفي يده الطَّبَنجَةُ ، فَقَالَ لَهُ : اعقد لی علی هذا الغلام وإِلَّا فَأَنْتَ تَرَى

(۱) وهو ملحق یصدر مع مجلَّة « الأسرة » السعودیة .

الطَّبْنَجَة، فقال الشيخ : مُدَّ يَدَكَ ، بِسْمِ اللَّهِ .. وَأَوْهَمَهُ بِالْعَقْدِ ، فَخَرَجَ السَّكْرَانُ وهو يقول قَدْ عَقَدَ لِي الشَّيْخُ عَلَى هَذَا الْوَلَدِ ، فَدَخَلَ رَجُلٌ عَلَى الشَّيْخِ ، وَقَالَ لَهُ : عَلَى أَيِّ مَذْهَبٍ عَقَدْتَ لَهُ ؟! فَقَالَ الشَّيْخُ : عَلَى مَذْهَبِ الطَّبْنَجَةِ . فَصَارَتْ مَثَلًا ! .

وهذا مُطَابِقٌ لِقَوْلِ الشَّاعِرِ أَبُو الْعَلَاءِ الْمُعَرِّي :

حَكُوا بِاطِلَالٍ وَانْتَضَوْا صَارِمًا وَقَالُوا : صَدَقْنَا ، فَقُلْنَا : نَعَمْ

● **قلت :** وَمِمَّا يُنَاسِبُ هَذَا مَا وَرَدَ فِي كِتَابِ « نَفْحَةِ الْيَمَنِ » (٦٤) : « قِيلَ اصْطَحَبَ أَسَدٌ وَثَعْلَبٌ وَذئْبٌ ، فَخَرَجُوا يَصِيدُونَ ، فَصَادُوا حِمَارًا وَظَبْيًا وَأَرْنَبًا ، فَقَالَ الْأَسَدُ : لِلذَّئْبِ اقْسِمْ بَيْنَنَا صَيْدَنَا ، فَقَالَ : الْحِمَارُ لَكَ ، وَالْأَرْنَبُ لِلثَّعْلَبِ ، وَالظَّبْيُ لِي ، فَخَلَبَهُ الْأَسَدُ ، فَأَخْرَجَ عَيْنَهُ ، فَقَالَ الثَّعْلَبُ : قَاتَلَهُ اللَّهُ ! مَا أَجْهَلُهُ بِالْقِسْمَةِ ! ، فَقَالَ الْأَسَدُ : هَاتِ أَنْتَ يَا أَبَا مُعَاوِيَةَ ، فَاقْسِمْ ، فَقَالَ : يَا أَبَا الْحَارِثِ ، الْأَمْرُ أَوْضَحُ مِنْ ذَلِكَ ، الْحِمَارُ لِعَدَائِكَ وَالظَّبْيُ لِعِشَائِكَ وَتَخَلَّلَ بِالْأَرْنَبِ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ ، فَقَالَ الْأَسَدُ : قَاتَلَكَ اللَّهُ ، مَا أَقْضَاكَ ! مِنْ أَيْنَ تَعَلَّمْتَ هَذَا ؟ قَالَ الثَّعْلَبُ : مِنْ عَيْنِ الذَّئْبِ .



﴿ ٧ ﴾ صاحب مسجد الفليحي وعبد الذكي

يحكي القاضي العمراني أن الذي بنى مسجد الفليحي ^(١) بصنعاء القديمة كان رجلاً صالحاً يدعى الشيخ أحمد الفليحي ، فأوصى ببناء المسجد بعد موته من تركته ، وفي يوم من الأيام كان الحاج أحمد الفليحي سائراً مع عبد ذكي له ، وكان الطريق مظلماً ، وكان العبد يحمل سراجاً ليضيء لسيده ، فكان يسير بالسراج خلفه وسيده يقول له : سر أمامي ، الذي يريد أن يضيء لإنسان ينبغي أن يسير أمامه لا خلفه ، فيقول العبد : هذا على مذهبك ، فيقول الفليحي : على مذهبي ! كيف ؟ قال : أنت عندما أردت أن تعمل حسنة ، وهي بناء المسجد ؛ لتضيء لك ، جعلتها بعد موتك أي خلقتك ، فهلاً جعلتها أمامك لتضيء لك ، فقال الفليحي : صدقت . وقام على بناء المسجد في حياته .

فلما عمر المسجد وابتدأ الناس يصلون فيه ، طلب الفليحي من هذا العبد المتقدم ذكره أن يدعو جميع المصلين في صلاة العشاء ليتعشوا عنده ، فنزل العبد وجاء ومعه عدد قليل ، وكان المصلون في المسجد كثيرين ، فقال الفليحي : ألم أقل لك تدعوا جميع المصلين ، وجئتني بهذا العدد القليل ، أين بقية المصلين ؟ فقال العبد : هؤلاء هم المصلون ، قال : كيف ؟ والباقي ، قال

(١) يقول العلامة الحجري - رحمه الله - في « مساجد صنعاء » (٩٠) : « مسجد الفليحي : من المساجد العامرة في الجهة الشمالية من صنعاء ، وهو من أحسن المساجد وأنفسها ، أول من أسسه الحاج أحمد بن عبد الله الفليحي في سنة ٦٦٥ هـ ، وهو مقبور بجوار المسجد ، وبنو الفليحي أصلهمسكنهم في جهة (حلملم والمصانع) من بلاد (تلا) ومنهم من دخل صنعاء وسكنها ، وقد زاد في المسجد زيادة نافعة ... إلخ » .

قلت : ومن الجدير بالذكر أن الإمام الشوكاني - رحمه الله - (ت ١٢٥٠ هـ) مدفون في حجرة غرب هذا المسجد .

العبد : بَعْدَ صَلَاةِ الْعِشَاءِ سَأَلْتَهُمْ عَنِ السُّورَةِ الَّتِي قَرَأَهَا الْإِمَامُ فِي الصَّلَاةِ ، فَلَمْ يَعْرِفِ الْجَوَابَ إِلَّا هَؤُلَاءِ ، وَالْباقُونَ لَمْ يُجِيبُوا ، فَلَمْ أَعْتَبِرْهُمْ مُصَلِّينَ .. فَضَحِكُ الْفَلِيحِي - رَحِمَهُ اللَّهُ - (١) .

(٨) خَادِمُ الشَّامِيِّ وَأَنْسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

يحكي القاضي مُحَمَّدٌ - حَفِظَهُ اللَّهُ - : كَانَ السَّيِّدُ الْعَلَامَةُ هَاشِمُ بْنُ يَحْيَى الشَّامِيِّ (٢) مِنْ أَكْبَارِ عُلَمَاءِ صَنْعَاءَ وَالْيَمَنِ فِي الْقَرْنِ الثَّانِي عَشَرَ الْهَجْرِيِّ وَكَانَ يَسْكُنُ بِحَارَةِ (الْعِلْمِيِّ) (٣) بِصَنْعَاءِ الْقَدِيمَةِ ، فَمَرَضَ بِالْفَالِجِ (٤) (أَيِ الشَّلَلِ النَّصْفِيِّ) فَجَاءَ إِمَامُ الْيَمَنِ فِي تِلْكَ الْفَتْرَةِ الْمُنْصُورِ حُسَيْنُ (٥) بْنُ

(١) ومن الأمثال اليمنية « كمل الفليحي » : قال القاضي الأكوخ : « يساق حينما يتم اجتماع شمل الأجرة والأصدقاء » . راجع « الأمثال اليمنية » (٨٨٦/٢) .

(٢) السيد العلامة هاشم بن يحيى الشامي صنعاني ، ولد سنة ١٠٨٧ هـ بحدّة ونشأ بصنعاء ، وأخذ العلم عن أكابر علمائها ، كالسيد العلامة زيد بن محمد بن الحسن بن الإمام القاسم ، والعلامة الحسين بن محمد المغربي ، وطبقتهما وبرع في جميع العلوم ، وفاق الأقران ، ودرس للطلبة وانتفع به أهل صنعاء ، وتخرج به جماعة من العلماء كالعلامة عبد القادر بن أحمد (أكبر شيوخ الشوكاني) والعلامة أحمد بن محمد القلطن ، وكثير من العلماء النبلاء ، وتولّى القضاء بصنعاء أياماً ، وله شعر فائق وفصاحة زائدة ، وله المؤلفات العجيبة المفيدة ، منها « صيانة العقائد » ، « نجوم الأنظار حاشية على البحر الزخار » ، « موارد الظمآن » مختصر من إغالة اللفهان ، وغيرها من الكتب المفيدة ، وله آراء واجتهادات مصيبة ، وتوفي - رحمه الله - في بيته بصنعاء في ٢٣ من صفر ١١٥٨ هـ . راجع ترجمته في « البدر الطالع » (٣٢١/٢ - ٣٢٤) ، و« نشر العرف » (٢٨٥ - ٢٧١/٣) .

(٣) هذه الحارة هي التي عاش فيها القاضي العمراني - حفظه الله - معظم سني عمره ، وما زالت بنفس التسمية ، وما زال بيت القاضي موجوداً فيها وقد رأيته .

(٤) هذا في آخر عمره ، ثم شفي منه وبقيت آثاره ، ثم عاد الألم فأقعده في داره ، وقد استمر به هذا المرض ست سنوات حتى توفي - رحمه الله - .

(٥) الإمام المنصور بالله الحسين بن المتوكل على الله القاسم بن حسين بن أحمد بن حسن بن الإمام =

المتوكل لزيارة الشامي في بيته ، فلما وصل المنصور حسين إلى بيت الشامي ، كان في استقباله خادم قديم للعلامة الشامي ، فأراد الإمام المنصور أن يداعب ذلك الخادم ، فقال له : كم لكم عند الوالد هاشم الشامي ؟ قال الخادم : أنا في خدمته منذ عشر سنين ، فقال المنصور : منذ عشر سنين ، هذه المدة خدم فيها أنس بن مالك رضي الله عنه النبي صلى الله عليه وسلم فحفظ عن النبي صلى الله عليه وسلم آلاف الأحاديث ، وعلماً جماً ، فماذا حفظت أنت من علم الوالد هاشم الشامي ؟ فقال الخادم : ما كان عند النبي صلى الله عليه وسلم بقرة يعصب ^(١) لها أنس بن مالك (التعصب نوع من طعام الحيوانات يعصب بالقضب من عيدان الذرة يأخذ في إعداده جهداً) ، ولو كان للنبي صلى الله عليه وسلم هذه البقرة ما حفظ أنس بن مالك حديثاً واحداً ، فضحك المنصور وتعجب من قدرة الخادم على الجواب المسكت !! .

• قلت : ولك عندي هنا - عزيزي القارئ - فائدتان :

الأولى : أن العلامة الشهير محمد بن إسماعيل الأمير (المعروف بالصنعاني) صاحب « سبل السلام » و « منحة الغفار » وغيرها من الكتب القيمة ، كان متزوجاً بالشريفة (محصنة) ابنة السيد العلامة هاشم بن يحيى الشامي المذكور في هذه الحكاية ، وكان هذا الزواج في شوال سنة ١١٣٦ هـ ، وأنجبت له في سنة ١١٤١ هـ أول أولاده إبراهيم ، وترى إبراهيم في أحضان

القاسم ، ببيع بالإمامة على اليمن عند موت والده في رمضان سنة ١١٣٩ هـ ونازعه أناس في الإمامة ، ولكن كانت الغلبة له ، فإنه كان مشهوراً بالشجاعة وعلو الهمة والمصابرة في القتال واحتمال مشاق الغزو ، ودامت إمامته مع سعادة كبيرة وظفر بالأعداء ظفراً لم يسمع بمثله ، وكان جميع القطر اليمني داخلاً تحت طاعته ، ولم يخرج عن طاعته إلا بلاد تميز بالحجرية ، فإن أخاه أحمد كان مستولياً عليها ، وكان موته في سنة ١١٦١ هـ . راجع ترجمته في « البدر الطالع » (٢٢٥/١ - ٢٢٦) .

(١) قال القاضي العمراني : العصب هو أن يأخذ الإنسان بعضاً من أغصان القضب ، ويعصب بها على عيدان الذرة ويطعمها البقرة أو نحوها من الحيوانات .

الكمال والعفة ، حتّى أصبحَ عالماً كبيراً ، وبرزَ في الوعظِ والخطابةِ ، وكانَ حسنَ التلاوةِ جداً .

فمما يحكى عنه أنّه قصَدَ اليهودَ في يومِ عيدٍ لهم إلى كنيسَتهم ، وهم يستمعون إلى أخبارهم ، فصلّى في الكنيسة ركعتين ، ثم تلى سورة القصص ، فأقبلوا عليه يستمعون وتركوا ما هم فيه ، فلمّا ختمها التفت فإذا كبير الأخبار يكي ويقول : صدق الله ، فطمع إبراهيم في إسلامه ، فتأخّر ، فقال : مالك تأخّرت ؟ فقال : قد سمعنا القرآن من غيرك فما فعل بنا شيئاً ، وإنك لا تهدي من أحببت ، ولكن الله يهدي من يشاء .

ومما يحكى عن إبراهيم أنّه كان يدخل على المهدي عبّاس ، فيعظه ويقبل منه المهدي ، ويتعجب من شأنه ، ويرغب في مُحادثته لكمالِ إحسانه في تبيانه ولما مات المهدي عبّاس ، دخل على ولده المنصور علي بن العباس في سنة ١١٩١ هـ إلى دار البهمة ببئر العزب ، فناصحه وأنكر عليه التوسع في البنيان ، وأشياء أنكرها ، ثم قصَدَ في تلك الليلة المسجد الجامع بصنعاء ونحى إمام المحراب ، وتقدّم لصلاة العشاء بالناس ، فقرأ في الركعة الأولى : ﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ ﴾ [آل عمران : ٦٨] إلى قوله : ﴿ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [آل عمران : ٩٥] ، وقرأ في الركعة الثانية : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴾ [آل عمران : ٩٦] ، وأصبح خارجاً من صنعاء إلى الحديدة ، وصعد منبر جامع الحديدة في يوم الجمعة ، فخطب ، وذكر للناس انتكاس الزمان ، وتغيّر أمر السلطان وغير ذلك ، وركب في البحر إلى مكة المشرفة ، وكان مغري بها شديد الحب لها .

ومن شعر إبراهيم^(١) - رحمه الله - :

برئت من المنازل والقباب
فمنزلي الفضاء وسقف بيتي
فأنت إذا أردت دخلت بيتي
لأنني لم أجِد مضراع باب
ولا انشق الثرى عن عود نحت
ولا خفت الإباق على عبيدي
ولا حاسبت يوماً قهرماناً
ففي ذا راحة وبلوغ عيش
فلا يعسر على أحد حجابي
سماء الله أو قطع السحاب
على مسلماً من غير باب
يكون من السماء إلى التراب
أؤمل أن أشد به ثيابي
ولا خفت الرصاص على دوابي
فأخشى أن أغلب في الحساب
فدأب الدهر ذا أبداً ودابي

الفائدة الثانية : كان من اجتهادات العلامة هاشم بن يحيى الشامي -

رحمه الله - : أن إقرارات النساء لقرباتهن ، وتمليكهن لهم ، وإباحتهن ، ونحو ذلك لا تصح عنده ؛ لضعف إدراكهن ، وعدم خبرتهن ، وحكي عنه : أنه وصل إليه بعض أهل صنعاء بقريفة له ، وقد كتب عليها مرقوماً (كتاباً) في تمليكه أموالاً ، وجاء بمعرفين بها ، فقرأ عليها الشامي ذلك المرقوم ، فقالت له أن يكتب عليها أنها قد ملكته ، فعرفها أنه مال كثير ، فقالت : قد ملكته ولو كان كثيراً ، فقال لها : هل معك حلقة (خاتم) في يدك ؟ قالت : نعم ، فتناولها منها ، ثم قال لها : وهذه (أي الحلقة) نكتبها من جملة التمليك ، فقالت : أما الحلقة فلا ؛ لأنها حقي ، فكرر عليها ذلك ،

(١) توفي - رحمه الله - بمكة في يوم الثلاثاء ١٢ من شوال ١٢١٣ هـ عن اثنين وسبعين سنة وأشهر من مولده ، راجع ترجمته في « نيل الوطر » (٢٨/١ - ٣٤) ، و« البدر الطالع » (٤٢٢/١ - ٤٢٤) ، و« مصطلح اليمن » (١٦٧ - ١٧٦) .

فلم تسعد ، فعلم من هذا أن المرأة لا تعد ما غاب عنها ملكاً لها ، وأقبل على قريبها يعظه ويخوفه من الله تعالى ، ومزق ذلك المرقوم .

وقال الشوكاني في « البدر الطالع » ^(١) بعد إirاده هذه الحكاية في ترجمة العلامة الشامي المذكور : « وأقول : لا ريب أن غالب النساء ينخدعن ويفعلن لا سيما للقرابة ، كما يريدونه بأدنى ترغيب أو ترهيب خصوصاً المحجبات ، وقد يوجد فيهن نادراً من لهن من كمال الإدراك ، ومعرفة التصرفات ، وحقائق الأمور ما للرجال الكملاء ، وقد رأيت من ذلك عجائب وغرائب ، والذي ينبغي الاعتماد عليه والوقوف عنده ، وهو البحث عن حال المرأة التي وقع منها ذلك ، فإن كانت مُمَارِسةً للتصرفات ، ومُطَّلعةً على حقائق الأمور ، وفيها من الشدة والرشد ما يذهب معه مظنة التغرير عليها ، فتصرفها صحيح كتصرف الرجال ، وإن لم يكن كذلك ، فالحكم باطل ؛ لأن وصاياها التي لا تتعلق بقرية تخصها من حج أو صدقة أو كفارة هو الواجب ، وكذلك تخصيصها لبعض القرابة دون بعض ، بنذر أو هبة أو تملك أو إقرار يظهر فيه التولييع ، وأما تصرفاتها بالبيع إلى الغير والمعاوضة ، فالظاهر الصحة ، وإذا ادعت الغبن ، كانت دعواها مقبولة وإن طابقت الواقع ، ولا يحل دفعها بمجرد كونها مكلفة ، متولية للبيع ، ولا غبن على مكلف أشبه إلا في النادر » .



(١) راجع هذه الحكاية في « البدر الطالع » (٣٢٢/٢ - ٣٢٣) ، ونشر العرف (٢٧٥/٣) .

(٩) احتياطاً..!

يَحْكِي الْقَاضِي الْعِمْرَانِي أَنَّ رَجُلًا مُوسُوسًا كَانَ يُؤَمُّ النَّاسَ فِي أَحَدِ مَسَاجِدِ قَرْيَةٍ مِنَ الْقُرَى ، فَكَانَ فِي كُلِّ صَلَاةٍ يَسْجُدُ لِلسَّهْوِ ^(١) سَوَاءً وَقَعَ مِنْهُ مَا يَسْتَحِقُّ أَنْ يَسْجُدَ لَهُ أَوْ لَمْ يَقَعْ ، فَسَأَلَهُ الْمُصَلُّونَ : لِمَ هَذَا السُّجُودُ الْمُسْتَمِرُّ ؟ فَقَالَ : احتياطاً .. ! .

وَفِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ كَانَ هَذَا الرَّجُلُ رَاكِبًا حِمَارًا ، فَأَمَالَ الْحِمَارُ رَأْسَهُ نَاحِيَةَ الْأَرْضِ ، وَأَلْقَى بِالرَّجْلِ مِنْ عَلَى ظَهْرِهِ ، وَأَخَذَ الْحِمَارُ يَضْرِبُ الرَّجُلَ بِقَدَمَيْهِ ، فَتَكَسَّرَ الرَّجُلُ ، وَجَاءَ النَّاسُ لِإِنْقَاذِهِ ، فَقَالَ الرَّجُلُ - وَهُوَ مُصَابٌ - : الْعَجِيبُ أَنَّ هَذَا الْحِمَارَ أَلْقَى بِي مِنْ عَلَى ظَهْرِهِ ، وَلَمْ يَكْتَفِ بِهَذَا بَلْ زَادَنِي رُفْسًا بِرَجْلَيْهِ ، أَلَمْ يَكْفِهِ الْإِقَاطِي ؟ ! فَقَالَ لَهُ النَّاسُ : احتياطاً .. أَرَادَ الْحِمَارُ أَنْ يَحْتَاطَ ، فَرُبَّمَا لَمْ تَتَكَسَّرْ مِنَ الرَّمِيَةِ الْأُولَى ، فَرَفَسَكَ بِرَجْلَيْهِ احتياطاً ، فَمَذَهَبَ الْحِمَارُ فِي الرَّفْسِ كَمَذَهَبِكَ فِي سُجُودِ السَّهْوِ الاحتياطي ! .

● قُلْتُ : وَمَا طَالَعْتَهُ مِنْ قِصَصِ الْمُسُوسِينَ ، مَا أَوْرَدَهُ ابْنُ الْجُوزِيِّ فِي « أَخْبَارِ الظُّرَافِ وَالْمُتَمَاجِنِينَ » (١٤٨) قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى ابْنِ عَقِيلٍ (وَالمُرَادُ بِهِ ابْنُ عَقِيلِ الْحَنْبَلِيِّ الْمُتَوَفَى سَنَةَ ٥١٣ هـ ، وَهُوَ شَيْخُ ابْنِ الْجُوزِيِّ) ، فَقَالَ لَهُ : إِنِّي أَغْتَمِسُ فِي النَّهْرِ غَمْسَتَيْنِ وَثَلَاثًا وَلَا أُتَيِّقَنَّ أَنَّهُ قَدْ عَمَّنِي الْمَاءُ ، وَلَا أَنِّي قَدْ تَطَهَّرْتُ ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَقِيلٍ : لَا تُصَلِّ ، قِيلَ لَهُ : كَيْفَ قُلْتَ عَنْ هَذَا ؟ قَالَ : لِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « رُفِعَ الْقَلَمُ عَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَفِيْقَ » ، وَمِنْ

(١) وَيَحْكِي أَنَّ أَحَدَ أُمَّةِ الصَّلَاةِ كَانَ يَسْجُدُ لِلسَّهْوِ فِي كُلِّ فَرَسٍ ، فَسَأَلَهُ أَحَدُهُمْ عَنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ : نَتَرَعَلُ بِأَبْتِهِمْ (وَهِيَ عِبَارَةٌ صِنَاعِيَّةٌ مَعْنَاهَا أَنْعَبُهُمْ ، وَالتَّرَعَالُ : كَثْرَةُ التَّرَدُّدِ عَلَى الشَّيْءِ مَعَ التَّعَبِ لِلْحَصُولِ عَلَيْهِ . رَاجِعْ « اللَّهْجَةُ الْيَمَانِيَّةُ » لِزَيْدِ عَنَانَ (١٨٨) .

ينغمس في النهر مرتين وثلاثاً ، ويظن أنه ما اغتسل فهو مجنون ! .

ومن ذلك أيضاً : ما ورد في الكتاب المذكور (١١٠) : جاء رجل إلى أبي خازم القاضي (من العلماء الكبار ، توفي سنة ٢٩٢ هـ) فقال : إن الشيطان يأتيني ، فيقول : إنك قد طلق امرأتك ، فيشككني ، فقال له : أو ليس قد طلقته ؟ قال : لا ، قال : ألم تأتني أمس ، فتطلقها عندي ؟ فقال : والله ، ما جئتك إلا اليوم ، ولا طلقته بوجه من الوجوه ، قال : فاحلف للشيطان كما حلفت لي وأنت في عافية .

(١٠) أحد .. أحد ..!

يحكي القاضي أن رجلاً كان يضربُ طفلاً له ، والولد يبكي ويجري ويقول : أحد .. أحد .. وأبوه يزيد من الضرب ويقول : يا حمار ... جعلتني أمية بن خلف (١) .



(١) أمية بن خلف الجمحي : صنديد من صناديد المشركين ، كان بلال بن رباح رضي الله عنه مولاه ، فكان يعذب بلالاً ويطرحه في بطحاء مكة ويضع الصخرة العظيمة على صدره ، ثم يقول : لا والله لا تزال هكذا أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى ، فيقول بلال - وهو في هذه الحالة - : أحد .. أحد ، حتى مر به أبو بكر فاشتره ، فأعتقه ، وأسر عبد الرحمن بن عوف أمية بن خلف في غزوة أحد في السنة الثالثة من الهجرة ، فرآه بلال ، فصاح : لا نجوت إن نجيا يا أنصار الله رأس الكفر أمية بن خلف ، فاجتمعوا عليه فقتلوه ، لعنه الله . راجع « الرحيق المختوم » (٨٨ ، ١٥٨ ، ٢٢٠) .

(١١) «ماشي» اليمنية والمصرية!

كلمة (ماشي) باللهجة اليمنية تعني (لا) أي النفي وأصلها (ما شيء) وأما (ماشي) باللهجة المصرية ، فتعني (نعم) ، فهي اسم فاعل من الفعل (مشى) وبمناسبة اختلاف اللهجتين ..

يحكي القاضي العمراني أن رجلاً يمينياً ذهب إلى القاهرة العاصمة المصرية واستقل سيارة أجرة ، فلما أوصله السائق إلى المكان الذي يريده أعطى اليمينى السائق جنيهاً مصرياً ، وقال : هذا مناسب ؟ ، فقال السائق المصري : ماشي ، فظن اليمينى أن السائق غير موافق على هذه الأجرة ، فزاده من النقود ، وقال : هذا كاف ؟ ، فقال السائق : ماشي ، فغضب اليمينى ، وقال : ماذا تريد ؟ أنت طماع ! وما زلت تقول ماشي ماشي .. وأخذ يصيح ، فقال السائق المصري : أقول ماشي ماشي ، يعني موافق ، اكتفيت ، وأنت الذي تعطيني زيادة ، ما أفعل لك ؟ ! .

وتذكرني هذه اللطيفة ، بالمثل العربي « مَنْ دَخَلَ ظِفَارَ حُمْرٍ ، أَي مِنْ دَخَلَ (ظفار) وهي المدينة اليمنية الأثرية المعروفة ، فليتكلم الحميرية ، وأصل هذا المثل أن أعرابياً من شَمَال الجزيرة ، ممن لا يعرفون الحميرية ذهب إلى أحد ملوك حمير في (ظفار) ^(١) ، وكان الملك جالساً في مكان مرتفع ، فلما وصل إِلَيْهِ الأعرابي ، قال له الملك : ثب ، وهي بلغة (حمير) بمعنى (اجلس) ، وبلغة عرب الشَمال معناها (اقفز) ، فقال الأعرابي : طاعة لأمر الملك ، فقفز من المكان المرتفع ، فوقع فمات ، فتعجب الملك ، وقال : لماذا فعل هذا ؟ ! ، فبينوا له أنها بلغته تعني القفز ، فقال الملك : مَنْ دَخَلَ ظِفَارَ حُمْرٍ . فصارت مثلاً ^(٢) .

(١) راجع « شمس العلوم ، لنشوان الحميري (٣٠٦/٢) وه الأمثال اليمنية » للأكوع (١٢١٠/٢) .

(٢) نفس المصدر .

﴿ ١٢ ﴾ امتنع عن الخروج من النار !

يحكي القاضي العمراني أنَّ الشوكاني - رحمه الله - كان يُقرئ طلبته (صحيح البخاري) وكانت تمر به أحاديث الشفاعة التي فيها خروج أناس من النار من بعد ما امتحشوا ، وكان هناك طالب من الطلبة معتزلي العقيدة - والمعتزلة تُنكر الشفاعة الثابتة من خروج بعض المسلمين من النار - فكان هذا الطالب كلما مرَّت أحاديث الشفاعة حاول أن يشوش ويعترض ويناقش ويُجادل فما كان من الشوكاني إلا أن قال له : عندما يأتون لإخراجك من النار امتنع عن الخروج ، وقل : أنا معتزلي لَنْ أخرج .. ! .

﴿ ١٣ ﴾ فسجد الملائكة كلهم أجمعين إلا إبليس..!

يحكي القاضي العمراني أنَّ من قاعدة الهادوية إذا وردت سجدة من سجديات القرآن في الصلاة لا يسجدونها ، فكان رجل من الهادوية يُصلي في الحرم مع الناس ، فقرأ إمام الحرم آية سجدة ، فسجد وسجد الناس كلهم إلا هذا الهادوي ظل واقفاً منتصباً ، ولم يسجد اتباعاً للمذهب ، فبعد سجودهم قام أحد المصلين وأشار إلى هذا الهادوي الذي لم يسجد ، وقال : فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس .. ! .



(١٤) ذكاء إياس

يحكي القاضي العمراني أن رجلاً من آل البيت خرج وترك أمه وزوجته ، ولم يرجع ، فجاء رجل وادّعى أنه هو العلوي الذي خرج ، فأنكرت الزوجة أن يكون هو زوجها ، والعجيب أن الأم أقرت أنه ابنها ، ورفعت القضية إلى حاكم (ذمار) ، فحكم بأن تمكنه الزوجة من نفسها وأنه زوجها ، فأنكرت الزوجة ، ورفعت أمرها إلى الإمام المهدي عباس ، فأحال القضية إلى شيخ الإسلام السحولي ، وكان رجلاً ذكياً ، تولى قبل الشوكاني ، فلما عرض عليه الأمر ، قال : الأمر هين ، وسأل أهل العلوي الغائب عما كان يحفظه من القرآن ، وعن شيء من خطه ، فأخبروه وأعطوه ورقة بخطه ، واستدعى المدعي وأمره أن يكتب شيئاً بخطه ، فوجد الخط مختلفاً تماماً ، وسأله عن محفوظه من القرآن ، فكان مختلفاً تماماً عن الغائب ، فعندئذ جزم القاضي بأنه كذاب فأمر بتعزيزه (وتسمى بلغة أهل صنعاء « دردحوا به » أو « حومروا به ») ، وكان يتم التعزيز بأن يركب المعزر على حمار ووجهه ناحية ذيل الحمار ، ووجهه مسود ، ويضربون خلفه على طيلة أو طاسة ، ففعلوا به هكذا ، فمر قبيلي ، فرآه فسأل عنه ، فأخبر بما أدعاه ، فقال : هذا مزين قبيلة كذا .. وأما قاضي ذمار فخشي على نفسه أن يعزر أو يؤدب ، فقدم استقالته وترك القضاء .



﴿١٥﴾ يا الله اسقينا الغيثَ

يَحْكِي القاضي العمراني أن جزَّاراً كان يأتي إِلَيْهِ طِفْلٌ يَشْتَرِي مِنْهُ اللَّحْمَ (أي : يشرك ، بلغة أهل صنعاء) وكان هذا الطِفْلُ يتعب الجزَّار ، ويعبث بأدواته ويتقافز داخل الملحمة ، والجزَّار في غاية الضيق ، وفي يوم من الأيام استسقى أهل صنعاء ، فنزلت الأمطار ، ووقعت صاعقة ، فأصابَت هذا الطِفْلَ فأهلكته ، فارتاح الجزَّار مِنْ عِبَثِ الطِفْلِ ، ثُمَّ جَاءَهُ طِفْلٌ آخَرُ ، وأخذ يفعل مثل ما كان يفعل الطِفْلُ الأول ، فسأله الجزَّار عن اسمه وأسرته ، فقال : أنا أَخو الولدَ الَّذِي أَهْلَكَتَهُ الصَّاعِقَةُ ، فأخذَ الجزَّارُ يَقُطِّعَ اللَّحْمَ بالسَّاطور ، وهو يقول : يا الله اسقينا الغيثَ .. يا الله اسقينا (أي : اسقنا) الغيثَ .. يُلَمِّحُ بأن تأتي صاعقة أخرى فتأخذ الولد الثاني .. !

﴿١٦﴾ أهلاً بأخ الأب أبصرني

وصلَ القاضي العمرانيُّ إِلَى مَجْلِسِ الإمام أحمد ملك اليمن قبل الثورة ، وكان الإمام في « تعز » فلمَّا دخلَ إِلَى المجلس ، قال له الإمام أحمد : أهلاً بأخ الأب أبصرني (أي العمراني ؛ لأنَّ معنى أخ الأب : عم ، وأبصرني : رأيَ مجموعتهما : عمراني) ففهمها القاضي ، وقال هو بين يديكم ، فأعجب الإمام أحمدُ سُرْعَةَ فهم القاضي ، فأخبرَ الجالسينَ بِمَا وَقَعَ ، فقالوا : كان المفروض أن يُجيبَ عليك بأحجيةٍ مثل استقبالك له بأحجية ، فالتفتَ إِلَيْهِ الإمام أحمدُ وقال : صحيح مالك لا تُجيب بأحجية ؟ ! .

فقال القاضي : كان على لِساني أحجية ، ولكن لم أرَهَا مُناسبةً لمقامكم ، فقال الإمام أحمد : ما هي ؟ قال القاضي : كُنْتُ سأقول المش سارق ،)

المش: المخ (بلغة أهل صنعاء) ، والسارق : لص ، فمجموعهما : المخلص (فضحك الإمام وأعجبه القاضي - حفظه الله - .

(١٧) مهالة تحتاج إلى تفكير..!

يحكي القاضي محمد - حفظه الله - : أن جحا دخل إلى بستانٍ وأخذَ يجمع من البصلِ والفجلِ (القشمي ، بعامية أهل اليمن) وغيره ، ويضع في شنطة كانت معه ، فجاء صاحب البستان ، وأمسك بجحا ، وقال له : ما أدخلك إلى بستانِي ؟ فقال جحا : قامت رِيحٌ شديدةٌ ، فقدفتني إلى بستانِكَ ، فقال صاحب البستان : فكيف قطعتَ هذا الفجلِ والكراث وغيره ؟ فقال جحا : لما اشتدتْ الرِيحُ أُمسكتُ بهذه النباتات ، فخرجت وقلعت في يدي ، فقال صاحب البستان : وما الذي أدخلها في الشنطة ؟ فقال جحا : أنا جالسٌ منذُ فترةٍ أفكر في هذا !.. (وبعامية صنعاء : أنا جالسٌ مطنن ..) .

(١٨) أنا أخاطبُ أهلَ «ثلا» أم أنت ؟

يحكي القاضي العمراني ، فيقول : كان لأهل (ثلا) ^(١) خطيب ، وفي إحدى الجمعِ أخذَ يعدّ خطبةً في الصدقة وإيثار الفقراء ، وحثّ الناس على العطاء حتّى لو كان أكله أو غدائه ، وكان يجرب نفسه أمام زوجته ويسألها رأيها ، فتستحسن كلامه ، ثم ذهب يوم الجمعة فخطب في الناس ، وحثّهم

(١) ثلا : بضم الثاء المثناة وفتح اللام ، ثم أُلِف ، إحدى مديريات محافظة صنعاء ، وفي التقسيم الجديد أصبحت تابعة لمحافظة عمران ، تقع في الشمال الغربي لها ، وهي بلد حميري قديم ، بها آثار كثيرة حميرية وإسلامية قيل أنها سميت باسم ثلا بن لبخة بن أقيان بن حمير الأصغر ، ينسب إليها كثير من العلماء والفضلاء . راجع « الموسوعة اليمنية » (٢٩٨/١ - ٢٩٩) ، ونشر العرف ، (١٥٩/١) .

على الصدقة والإيثار ، فلما انتهى عاد إلى بيته ، وطلب من زوجته تقريب الغداء ، فقالت : ولكن جاء فقير فأعطيته إياه بسبب كلامك عن الإيثار ، وإعطاء الفقير ، فقال الخطيب لها : أنا أخطب أهل (ثلا) أم أخطبك ^(١) !!؟ .

● قلت : وما يناسب ذلك ما قرأته في « أخبار الحمقى والمغفلين » لابن الجوزي (١٢٦) : قال ابن خلف : قصّ قاص بالمدينة ، فقال : رأى أبو هريرة (الصحابي) على ابنته خاتم ذهب ، فقال : يا بنية ، لا تتختمي بالذهب ، فإنه لهب ، فبينما هو (أي القاص) يحدثهم إذ بدت كفه ، فإذا فيه خاتم ذهب ، فقالوا له : أتنهانا عن لبس الذهب وتلبسه ؟! فقال : لم أكن ابنة أبي هريرة .

{١٩} إنما الأعمال بالنيات..!

يحكي القاضي العمراني : أن الحاج محمد السنيدار كان من تجار صنعاء الصالحين ، وكان دائم العطاء للفقراء ، وكان مشهوراً بالتوسم في الفقراء ، حتى أنه كان ربماً يقابل الرجل صاحب الهيئة الحسنة ، فيضع في يده بضع ريالاً متفرساً فيه أنه فقير ، وكان يصيب في معظم الأحوال ، وكان له ابن يغتاز من إنفاقه الأموال على الفقراء ، ويكلم أباه بأن هؤلاء الناس يدعون

(١) وما يناسب ذلك من الأمثلة اليمنية قولهم : « تلك مسألة أخرى » ، وقصة هذا المثل أن رجلاً سأل الحاكم ، فقال : بقرتي نطحت بقرة حتى أوجعتها ، وأنا خائف من الأرض (أي ثمن ما أفسدت بقرتي) ، فقال الحاكم : لا تخف جراح العجمي (أي الحيوان) جبار (أي : هدر) ، فقال الرجل : هيه بقرتك المنطوحة . فقال القاضي : تلك مسألة أخرى . راجع « اللهجة اليمنية » لزيد عنان (١١٣) .

الفقر؛ ليخدعوه ويأخذوا أمواله ، والحاجّ السنيدار لا يستمع له ، وأراد هذا الولد أن يُثبتَ لأبيه أن الفقراء يخدعونهُ ، فلبسَ لباسَ رجلٍ غريب ، ووقفَ لأبيه في الطريق ، وقلّدَ صوتَ مسكين ، وقال : امرأتي مسكينة عندها ولادة ، وليس عندها أحدٌ يُنفقُ عليها ، فمدّ الحاجّ السنيدار يده بعدة ريالات ، وأعطاهَا لابنه الذي يتزيا بزِي الرجل المسكين ..

ثمّ عاد الحاجّ السنيدار إلى بيته ، وبعد دقائق جاء ابنه ودقّ الباب ، فلمّا فتح الحاجّ السنيدار الباب ، ضحكَ الولد ، وقال : ألم أقل لك أنهم يخدعونك وحكى له القصة ، فغضبَ الحاجّ محمد السنيدار ، وحلفَ أن هذا الولد لن يبيتَ تحتَ خشبة البيت حتى يوصل هذه الفلوس إلى رجل فقير معه امرأة مسكينة عندها ولادة ، وقال : إنني أخرجت هذه الفلوس لهذا الغرض ، ولا بد من تنفيذه ، فخرج الولد هائماً على وجهه ، يبحث عن زوج امرأة عندها ولادة ، وأخذ يسأل عقال الحارات حتّى وصل إلى إحدى الحارات ، فأخبره العاقل أن هناك امرأة في الحارة قد ولدت ، وليس عندها نفقة وزوجها فقير ، فذهب إليها وأوصلا إليها المال ، وكتب له العاقل ورقة بهذا ، وعاد إلى أبيه وأراه الورقة ، فقال الحاجّ محمد السنيدار : الآن تستطيع أن تبيت بعد أن أوصلت الفلوس إلى من أخرجت لهم .. ! .



(٢٠) سنة ضربة الخطيب^(١) !

يُحكى القاضي العمراني ، فيقول :

ضرب أحد الخطباء في صنعاء وهو يخطب ، فاشتهر ذلك بين الناس ، فاستحيا هذا الخطيب وترك صنعاء ، واغترب لعدة سنوات ، ثم عاد إلى صنعاء ، وفي مدخل صنعاء (ربّما كان سواد حزيز) أراد أن يستريح ويشرب كوباً من القهوة قبل دخوله صنعاء ، فجلس في (مقهى) وطلب من المرأة القائمة على المقهى كوباً من القهوة ، فوضعت على النار ، وجلست تتحدث مع صاحبة لها وهو يسمعها ، فقالت إحداهما للأخرى : كم عمر ابنتك ؟ فقالت الأخرى : ابنتي ولدت سنة ضربة الخطيب ، فلما سمع ذلك انزعج انزعاجاً شديداً ، وقام عائداً على أعقابهِ مُمتنعاً عن دخول صنعاء ، وقال : أبلغ من شهرة الضربة أن يؤرخوا بها !! .

● قلت : وقرأت في « أخبار الحمقى والمغفلين » لابن الجوزي^(١٦٢) : ضرب أبو النجم (الشاعر المعروف) في ليلة ضرطتين ، فخاف أن تكون امرأته قد سمعته ، فقال : أسمعت شيئاً ؟ قالت : لا ، ما سمعت منهما شيئاً ، فقال : لعنك الله ، فمن أعلمك أنهما اثنتان ؟! وراجع « موسوعة العذاب » (٤٥١/١) .

وقرأت فيه أيضاً (١٦٣) : قال أبو العيناء : كنتُ بحمص ، فمات لجار

(١) ذكرها زيد بن علي عنان في كتابه « اللهجة اليمانية » (٥٦-٥٧) بصورة مختلفة ، ولفظه : « ضرب الخطيب في المنبر ، فهرب مدة أكثر من عشر سنين لوماً ينسوا الناس ، وعندما رجع ، لقي ولد عمره نحو عشر سنين خارج المدينة ، فقال : ابن من أنت ؟ فأجابه ، فقال : في كم عمرك ؟ قال : مانس داري إلا أمي قالت : أنا ولدت سنة ما ضرب الخطيب ، فرجع وقال : بب قدنا ذا تاريخ كلمة بب تقال للاستغراب أو التعجب » .

لي بنت ، فقيل له : كم لها ؟ قال : ما أدري ، ولكنها ولدت أيام البراغيث .
ومما يناسب هذا قول العرب في المثل : « إيش في الضرطة من هلاك المنجل » يضرب في تباعد الكلام من جنسه ، وأصله أن امرأة ضرطت عند زوجها ، فلامها زوجها ، فقالت : وأنت ضيَّعت منجلا ، فقال : إيش في الضرطة من هلاك المنجل . راجع « مجمع الأمثال ، مختارات » (٣٣) .
وفي « أخبار الحمقى » (٩٣) : صعد بعض الولاة المنبر ، فخطب فقال :
إن أكرمتكموني أكرمتكم ، وإن أهنتكموني لتكونن أهون علي من ضرطتي هذه ،
وضرط ضرطة ! .

ومن شجون هذا الحديث ما طالعه في « مسالك الأبصار » للعصامي (١٣٠) قال : وأهدى بعض عمال عبد الملك له تروساً مكلفة بالدر والياقوت ، فأعجبه ذلك ، وعنده جماعة من خاصته وأهل خلوته ، فقال عبد الملك لرجل من جلسائه اسمه « خالد » : اغمز منها ترساً نمتحن صلابته ، فقام خالد ، فغمز الترس فضرط ، فاستضحك عبد الملك ، وضحك جلساؤه ، فقال عبد الملك : كم دية الضرطة ؟ قال بعضهم : أربعمئة درهم وقطيفة ، فأمر عبد الملك لخالد بذلك ، فأنشأ رجل من القوم يقول :

وَيَحْبُوهُ الْأَمِيرُ بِهَا بُدُورًا	أَيَضْرُطُ خَالِدٌ مِنْ غَمَزِ تَرَسٍ
وَيَالِكَ ضَرْطَةً أَغْنَتْ فَقِيرًا	فَيَالِكَ ضَرْطَةً جَلَبَتْ غَنَاءً
وَنَالُوا مِثْلَ مَا أُعْطِيَ عَشِيرًا	فَوَدَّ النَّاسُ لَوْ ضَرَطُوا جَمِيعًا
فَأَضْرَطَ أَصْلَحَ اللَّهِ الْأَمِيرًا	وَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ الضَّرْطَ يُغْنِي

فقال عبد الملك : أعطوه أربعمئة درهم ، ولا حاجة لنا في ضراطك ! .

﴿٢١﴾ يس والحلبة!

يحكي القاضي العمراني : أنَّ مؤذناً كَانَ يَصْعَدُ إِلَى المنارة (أو الصومعة بلغة أهل صنعاء) لِيُؤذِنَ ، فكان يَطْلُعُ عَلَى بيوت صنعاء ، وأعجبتَه امرأةٌ ، فكان كُلُّمَا صعد إلى المنارة أخذ يُشير إليها ^(١) ، وكانت المرأة عفيفة ، فلما أكثر من هذه الحركات اشتكته إلى زوجها ، وكان ابنها يسمع ، فما كان من الزوج إلا أنْ ذَهَبَ إِلَى الجامع الكبير ، وطلب من أحد الفقهاء أن يدرس سورة (أي : يقرأ) يس على هذا المؤذن ، وأخذ الابن حلة من الحلبة ، وانتظر حتى صعد المؤذن المنارة وسكب الحلبة على درجات المنارة التي ينزل عليها المؤذن إلى صوح المسجد ، فلما انتهى المؤذن من أذانه ، وأراد أن ينزل انزلت قدمه في الحلبة ، فتدحرج حتى وصل الخبر إلى زوج المرأة ، قال : رأيت ماذا فعلت يس ؟! ، وكان ولده بجانبه ، فقال : والحلبة . فصارت مثلاً .

● قلت : وما يشبه ذلك ما ورد في كتاب « أخبار أبي العيناء اليمامي »

(١) يقول الحجري - رحمه الله - في « مساجد صنعاء » (٣٥-٣٦) : « ويقول أبو العباس محمد بن يزيد المبرد في « الكامل » أنَّ خالد بن عبد الله القسري بلغه شعر لرجل من موالى الأنصار يقول

لِيَبْتَغِي فِيهِ الْمُؤَذِّنَ حَبِيبَاتِي
فِيَشِيرُونَ أَوْ تُشِيرَ إِلَيْهِمْ
إِنَّهُمْ يَبْصُرُونَ مَنْ فِي السُّطُوحِ
بِالْهُوَى كُلِّ ذَاتِ دَلِّ مَلِيحِ

فهدم منار المساجد حتى جفها عن دور الناس ، فهجاه الفرزدق ، وقال :
أَلَا قَطَعَ الرَّحْمَنُ ظَهْرَ مَطِيَّةٍ
وَكَيْفَ يَوْمَ النَّاسِ مِنْ كِبَانَتِ أُمِّهِ
يَبْنِي بَيْعَةً فِيهَا النَّصَارَى لِأُمِّهِ
وَقَالَ أَيْضاً :

عَلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِخَالِدٍ
بَنَى بَيْعَةً فِيهَا الصَّلِيبَ لِأُمِّهِ
وَأَصْحَابِيهِ لَا طَهَرَ اللَّهُ خَالِدًا
وَيَهْدِمُ مِنْ بَغْضِ الصَّلَاةِ الْمَسَاجِدَ

والحق أنَّ خَالِدًا لَمْ يَهْدِمِ المنائرَ إِلَّا لمصلحة ارتأها « أ. هـ ، وراجع « موسوعة العذاب » (١/٢٠٢-٢٠٣) .

(١٣٢) ، قال أبو العيناء : حَدَّثَنِي بعض أهل العلم ، قال : مرَّ الشَّعْبِي بِإِبِلٍ قد أثر فيها الجرب ، فقال : يا فتيان ، ألا ترون إِبِلَكُمْ هذه ؟ قالوا : إنَّ لنا عجوزاً نتكل على دعائها ، قال : أحبُّ أن تُضَيِّقُوا إلى دعائها شيئاً من القطران (والقطران يُعالج به جرب الإبل) .

● **قلت :** ومما يُناسب أن يذكر هنا ، ما حكاه ابن الجوزي في « ذم الهوى » (٤٥٩ - ٤٦٠) ، وابن القيم في « الداء والدواء » قال : بلغني عن رجل كان ببغداد - يُقال له صالح المؤذن ، أذن أربعين سنة ، وكان يعرف بالصَّلاح - أنه صعد يوماً إلى المنارة (المؤذنة أو الصَّومعة بلغة أهل اليمن) ليؤذن ، فرأى بنت رجل نصراني كان بيته إلى جانب المسجد ، فافتتن بها ، فجاء فطرق الباب ، فقالت : من ؟ فقال : أنا صالح المؤذن ، ففتحت له ، فلما دخل ضمها إليه ، فقالت : أنتم أصحاب الأمانات ، فما هذه الخيانة ؟! فقال : إن وافقتيني على ما أريد وإلا قتلتك ، فقالت : لا ، إلا أن تترك دينك ، فقال : أنا برئ من الإسلام ، ومما جاء به محمد ، ثم دنا إليها ، فقالت : أنما قلتَ هذا لتقضي غرضك ، ثم تعود إلى دينك ، فكل من لحم الخنزير ، فأكل ، قالت : فاشرب الخمر ، فشرب ، فلما دبَّ الشراب فيه دنا إليها ، فدخلت بيتاً وأغلقت الباب وقالت : اصعد إلى السطح حتَّى إذا جاء أبي زوجني منك ، فصعد فسقط فمات ، فخرجت فلفته في مسح ، فجاء أبوها فقصّت عليه القصة ، فأخرجه في الليل ، فرماه في السكة ، فظهر حديثه ، فرُمي في مزبلة ! .

وقرأت في كتاب « أخبار الظراف والمتماجنين » لابن الجوزي (١٤٠) - (١٤١) : أنَّ رجلاً قال لرجل : بماذا تداوي عينك ؟ قال : بالقرآن ودعاء

العجوز ، فقال : اجعل معهما شيئاً من أنزروت (والأنزروت بالفارسية ، وهو العنزروت بالعربية ، وهو صمغ شجرة تنبت في بلاد الفرس في طعمه مرارة ويستخدم في علاج أمراض العيون) .

• **ومن الأمثال المشهورة :** « اقرأ يس ، وفي يدك حجر » أي اعمل بالأسباب وتوكل على الله ، قال رسول الله ﷺ : « اعقلها وتوكل » ، وهو حديث أورده العلامة الألباني في « صحيح الجامع الصغير وزيادته » .

يعتقد بعض الناس هذه الاعتقادات في « سورة يس » ، لما روي في فضلها : « يس لما قرأت له » ، وقد قال العلماء في هذه الرواية : لا أصل لها بهذا اللفظ . راجع « تمييز الطيب من الخبيث » لابن البديع ! .

• **ومن أمثالهم المرتبطة بسورة يس ، قولهم :** « الغرق أهون » وقصته : أن سفينة مالت بركابها ، وكادت تغرق بهم ، فنادى الربان ركاب السفينة : يا مسلمين ، ألف شرف يس (أي : اقرأوا يس ألف مرة) ، فأجاب أحد الركاب : « الغرق أهون » . راجع « اللهجة اليمنية » لزيد عنان .



(٢٢) من يرث من؟!

يَحْكِي الْقَاضِي الْعِمْرَانِي : أَنَّ بَعْضَ النِّسَاءِ اللَّاتِي كُنَّ يُرِدْنَ الْحَجَّ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُنَّ مَحَرَّمٌ ، كُنَّ يَعْقِدْنَ عَلَى بَعْضِ الرِّجَالِ الْمُسَارِينَ إِلَى الْحَجِّ ، وَلَا يَتِمُّ دُخُولُ^(١) وَلَكِنْ شَيْءٌ يَعْمَلُ حَتَّى يَسْتَطِيعَ أَنْ يَصْحَبَهَا ، وَيَخْلُوَ بِهَا ، وَكَانَتْ تُسَمَّى « مَلِكَةُ النَّظَرِ »^(٢) أَيُّ عَقْدٍ مِنْ أَجْلِ إِيَاخَةِ النَّظَرِ إِلَيْهَا وَالْخُلُوةِ بِهَا ، ثُمَّ إِذَا عَادُوا مِنَ الْحَجِّ طَلَّقَهَا ؟!

فِيحْكِي أَنَّ امْرَأَةً عَقَدَ لَهَا عَلَى رَجُلٍ لَتَحَجَّ ، أَيُّ عَقْدٍ « مَلِكَةُ النَّظَرِ » وَسَارَتْ مَعَ زَوْجِهَا هَذَا لِلْحَجِّ ، فَلَا حَظَّ أَنَّ حَالَتَهَا الصَّحِيَّةَ مُتَأَخَّرَةٌ ، فَلَمَّا حَجَّوْا وَعَادُوا إِلَى صَنْعَاءَ طَلَبَتْ مِنْهُ أَنْ يُطْلِقَهَا عَلَى حَسَبِ الْعُرْفِ فِي مَلِكَةِ النَّظَرِ ، فَأَبَى ؛ طَمَعًا مِنْهُ فِي أَنْ يَرِثَهَا كَزَوْجٍ ، وَتَدْخُلُ النَّاسَ ، فَأَصْرَّ عَلَى عَدَمِ طَلَاقِهَا ، فَاتَّفَقُوا فِي النِّهَايَةِ عَلَى أَنْ تَبْقَى فِي بَيْتِهَا ، وَيَقَى فِي بَيْتِهِ ، وَلَا يَنْفَقَ عَلَيْهَا ، وَلَا تَجْلِسَ مَعَهُ ، وَاسْتَمَرُّوا عَلَى هَذَا الْوَضْعِ ، فَحَدَّثَ عَكْسَ مَا كَانَ الرَّجُلُ يَتَمَنَّى ، فَقَدْ مَاتَ الرَّجُلُ أَوَّلًا ، وَوَرِثَتْهُ الْمَرْأَةُ الَّتِي كَانَ يَطْمَعُ أَنْ يَرِثَهَا . فَتَأَمَّلْ !



(١) مِنْ شُرُوطِ الْحَجِّ الْإِسْطَاعَةُ ، وَمِنْ الْإِسْطَاعَةِ وَجُودُ الْمُحَرَّمِ لِلْمَرْأَةِ ، فَإِذَا فَقَدَ الْمُحَرَّمُ فَلَا يَجُوزُ لَهَا السَّفَرُ ، وَلَا يَجِبُ عَلَيْهَا الْحَجُّ إِلَّا بِوُجُودِهِ وَمُوَافَقَتِهِ عَلَى السَّفَرِ مَعَهَا ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مِنْ إِسْطَاعٍ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ [آل عمران : ٩٧] وَتَحْصِيلُ شُرُوطِ الْوَاجِبِ لِيَجِبَ لَا يَحِبُّ ، فَلَا يَجِبُ عَلَى الْمَرْأَةِ أَنْ تَتَزَوَّجَ لِتَوْفُّرِ الشَّرْطِ ، بَلْ أَنْ يَعْمَلُوا هَذِهِ الصُّورَةَ « مَلِكَةُ النَّظَرِ » ، رَاجِعْ « فِتَاوَى اللِّجْنَةِ الدَّائِمَةِ » (٩٨-٨٧/١١) .

(٢) عَقْدُ « مَلِكَةِ النَّظَرِ » صَحِيحٌ عِنْدَ جُمْهُورِ عُلَمَاءِ الْيَمَنِ إِلَّا الْقَاسِمَ بْنَ مُحَمَّدٍ فَإِنَّهُ قَالَ : هُوَ بَاطِلٌ ، قَالَهُ الْقَاضِي مُحَمَّدٌ ، وَفِي بَعْضِ الْبِلَادِ يَعْقِدُونَ لِلْمَرْأَةِ الَّتِي تَرِيدُ الْحَجَّ وَإِنْ كَانَتْ مُتَزَوِّجَةً ، فَاعْجَبْ مِنْ هَذِهِ الْجَهَالَاتِ ! . رَاجِعْ « السَّنَنُ وَالْمُبْتَدَعَاتُ » لِلشَّيْخِ مُحَمَّدِ عَبْدِ السَّلَامِ الشَّقِيرِيِّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - ! .

(٢٣) تفضلوا عليه به

يحكي القاضي محمد - حفظه الله - فيقول : كان هناك خادم يُسمّى «قبول» ، فطرده سيده من خدمته ، فاستجار بأحد الأدباء ، فأرسل هذه العبارة لسيده ، فكانت سبباً في عودته إلى خدمة سيده ، والعبارة هي : صدر إليكم قبول ، تفضلوا عليه به ، فإنه أهل للاستخدام (١) .

(٢٤) لا رحم الله الصينيين!

يحكي القاضي محمد - حفظه الله - :

كانت امرأة فقيرة تسكن في حجة ، وكان لها قرابة يطمئنون عليها بالمراسلة ، وكانوا لا يستطيعون المجيء عندها ؛ لأن الطريق بين حجة وصنعاء كانت وعرة جداً وغير مرصوفة ، فكان المسافر يقطعها في عدة أيام ، وبعد فترة رُصف الطريق بين صنعاء وحجة على أيدي الصينيين (٢) ، فأصبحت الطريق سهلة وأصبح المسافر يصل في ساعات من صنعاء إلى حجة ، فأصبح قرابتها هؤلاء يأتون إليها كثيراً ، ويحتاجون إلى ضيافة ، وهي ليس عندها شيء ، فتستقبلهم قائلة : أهلاً وسهلاً .. لا رحم الله الصينيين ! .

● قلت : وما يمكن ذكره هنا ، ما حكاها صالح محسن في كتاب « ثورة ١٩٤٨ م » (٣٩٢) وهو بصدد الكلام على حادثة نهب صنعاء بعد فشل ثورة

(١) الاستخدام ، مُصطلح بلاغي يرد في علم البديع ، وهو : ذكر لفظ مشترك بين معنيين ، يراد به أحدهما ، ثم يعاد عليه ضمير أو إشارة بمعناه الآخر ، أو يعاد عليه ضميران يراد بثنائيهما غير ما يراد بأولهما . راجع « جواهر البلاغة » للسيد أحمد الهاشمي (٣٦٥) .
(٢) القائم على عملية رصف الطرق في اليمن شركة صينية منذ فترة طويلة .

الدستور (١٩٤٨ م - ١٣٦٧ هـ) قال : « وهناك قصة لعجوز في « حجة » أنه جاء إليها أهل أرحب بعد أن جمعوا من النّهب ما جمعوا وأبقوه لديها حتّى يأتوا بالجمال لأخذه ، فوافقت على بقائه لديها ، وعندما وصلت الجمال حملوها ، وبقي جمل بدون حمولة ، فقاموا بنهب هذه المرأة وحملوا الجمل وذهبوا ، فخرجت المرأة تصيح وتبكي في الشارع ، فقال أحدهم لرفيقه : ارمها (أي بالرصاص) يا صالح ، ارمها .. قتلت الإمام وتبكي » !.

﴿ ٢٥ ﴾ كفن للميت الذولميت

يحكي القاضي محمد - حفظه الله - :

أن رجلاً وقف في أحد مساجد صنعاء ، وتكلّم بحرقة بأنّه قد مات له ميت ، وأنّه لا يجد ما يكفنه به ، ونادى في الناس بصوت باكٍ : هل يرضيكم أن نترك الميت هكذا حتّى يجيف ؟ وتأثّر الناس بهذا ، وأقبلوا عليه ليعطوه ، ولكن فجأة نادى فيهم أحد المصلين : لا تعطوه شيئاً ، وأنا مساعد - إن كان هناك ميتٌ حقيقة - أن أدفع من ألف إلى عشرة ، بشرط أن أشاهد هذا الميت ؛ لأنني رأيت هذا الرجل يقول هذا الكلام في مسجد آخر من يومين أو ثلاثة ، فأنكر السائل ، وقال : تفضل معي لأريك الميت . فقال الرجل : باسم الله ، هيّا . وذهب ليلبس جوربه ويأخذ حذاءه ، فابتهر السائل الكذاب هذه الفرصة ، وفرّ هارباً يلتمس النّجاة !! .

● قلت : وهذه القصة تذكّرني بما حكاها المؤرخ زبارة في « نيل الوطر » (٢٢٨) في ترجمة الفقيه الأديب أحمد محمد العلفي ، قال زبارة : « وله مع

وزراء المنصور على قضية مشهورة كان قد أفلس ، فعرضَ بِحاجته لهم ، فلم ينل شيئاً منهم ، فأمسى ليلةً بأشدَّ ما لقيَ ، وكتب إلى كُلِّ واحدٍ منهم أن ولدي محمداً قد مات ، ولا أجد ما أكفّنه به ، فاحضروا دفنه ، فبعث إليه كُلُّ واحدٍ منهم بكفنٍ ومالٍ ، وأصبحوا يتواردون إلى المسجد الجامع بالروضة ، فلما أصبح قيل له : إنَّ وزراء الإمام وأعيان الدولة بالجامع ينتظرونك للجنائز ، فخرج إليهم وهو يضحك ، واعتذر بأن ولده أصابه بلغم وأقاله الله ، فعلموا أنه خدعهم ، ومازالوا يضحكون ، ومازالت القالة شهراً من تلك الحالة « ١ . هـ .

● **ومما يناسب ذلك : ما حكى^(١) أن أبا دلامة الشاعر^(٢) دخل على الخليفة العباسي المهدي^(٣) يوماً فسلم عليه ، ثم قعد وأرخى عيونه بالبكاء ، فقال له المهدي : ما لك ؟ قال أبو دلامة : ماتت أم دلامة . فقال : إنَّ الله وإنَّا إليه راجعون ، ودخلته رقة لما رأى من جزعه ، فقال له : عظم الله أجرك يا أبا دلامة ، وأمر له بألف درهم ، وقال له : استعن بها في مصيبتك . فأخذها ودعا له وانصرف ، فلما دخل إلى منزله قال لأم دلامة : اذهبي فاستأذني على الخيزران جارية المهدي ، فإذا دخلت عليها فتباكي وقولي : مات أبو دلامة . فمضت واستأذنت على الخيزران ، فأذنت لها ، فلما اطمئنت أرسلت عينها بالبكاء ، فقالت لها : ما لك ؟ قالت : مات أبو دلامة . قالت : إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون ، عظم الله أجرك وتوجعت لها وأمرت لها بألفي درهم ، فدعت لها**

(١) راجع القصة في « نفحة اليمن فيما يزول بذكره الشجن » لأحمد محمد الشرواني (٧٣) .
 (٢) أبو دلامة : زبد بن الجون الأسدي بالولاء ت(١٦١هـ) شاعر مطبوع ، من أهل الظرف والدعابة ، أسود اللون ، نشأ في الكوفة ، واتصل بالخلفاء من بني العباس ، فكانوا يستلطفونه ، ويندقون عليه صلاتهم ، وله في بعضهم مدائح ، وكان يتهم بالزندقة لتهتكه .
 (٣) راجع « أزمعة التاريخ الإسلامي (٢١٠/١-٢٢٥) .

وانصرفت ، فلم يلبث المهدي أن دخل على الخيزران ، فقالت : يا سيدي ، أما علمت أن أبا دلامة مات ! ، قال : لا يا حبيبتي إنما هي امرأته أم دلامة . قالت : لا والله إنه أبو دلامة . فقال : سبحان الله ! خرج من عندي الساعة ، فقالت : وخرجت من عندي الساعة ! وأخبرته بخبرها وبكائها ، فضحك وتعجب من حيلهما .

(٦٦) البخاري ذكر فضائل الإمام علي عليه السلام

كان العلامة حسن بن زيد الديلمي ^(١) قد استقر بمدينة ذمار ^(٢) للإقراء والتدريس بمدرسة ذمار الشمسية ، فكان يدرس جميع الفنون واعتنى بتدريس الأمهات الست وغيرها من كتب الحديث ، وقد جرى بينه وبين بعض أهل ذمار قلاقل ^(٣) لتدريسه بهذه المدرسة في علوم الحديث ، ومن هذه القلاقل

(١) مولده - رحمه الله - بالذاري في رجب سنة ١٣١٢ هـ ورحل إلى مدينة ذمار فأخذ عن علمائها ، ثم هاجر إلى صنعاء فأخذ عن كبار علمائها ، وأخذ عن القاضي إسحاق المجاهد في سنن أبي داود والنسائي والموطأ وبلوغ المرام وغير ذلك ، وأخذ عن المولى الحسين بن علي العمري صحيح البخاري وصحيح مسلم وسنن أبي داود والمنذري وغير ذلك ، توفي - رحمه الله - في بدايات القرن الخامس عشر من الهجرة ، راجع ترجمته في « نزهة النظر » لمحمد زبارة وولده أحمد (٢٢٣/١-٢٢٤) ، و« تحفة الأخوان » للجرفي (٦٧) .

(٢) مدينة كبيرة تبعد عن صنعاء بمائة كيلو متر ، ويطلق عليها كرسي الزيدية ، ويكثر فيها التعمص ، وينسب إليها نفر من أهل العلم ، وكانت أحد مراكز العلم والثقافة في اليمن ، وجامعها الكبير يعد من أقدم المساجد الإسلامية ، وسميت باسم الملك ذمار علي ، أو ذمار بن دهمان ، ودمار : بفتح الذال المعجمة والبناء على الكسر زنة حزام ، وهكذا ينطق به اليمنيون ، وحكى الإمام البخاري : كسر الذال ، وتبعه كثير من أهل المعاجم ؛ لأنه دخل اليمن وأخذ عن علمائها . راجع « صفة جزيرة العرب » للهمداني (١٠٠-١٠١) ، و« الموسوعة اليمنية » (٤٧٢/١-٤٧٣) ، و« اليمن الخضراء » للأكوع (٧٩) .

(٣) وكادت المسألة في ذلك تعظم لولا تدارك الإمام يحيى حميد الدين لذلك بإصدار أوامره القاطعة بجزر مريدي التعرض للكلام في ذلك وتقرير العلامة المذكور على ما هو فيه من التدريس والإقراء . راجع « نزهة النظر » (٢٢٤/١) .

يحكي القاضي محمد - حفظه الله - :

كان العلامة المذكور يدرس يوماً في المدرسة الشمسية « صحيح البخاري » وحوله طلبته ، فأراد أحد المتعصبين من الشيعة ، ويدعى عليّ عقبات أن يوقع بهذا العالم ، فذهب إلى القبائل التي حول ذمار ، واستغاث بهم ، وقال لهم إنّ الديلمي يريد أن يبدّل مذهب أهل البيت وهو مبغض لعليّ بن أبي طالب والعترة المصطفوية ، فجاءت القبائل ، وحاصرت المسجد الذي يدرس فيه هذا العالم ، فمن فطنته وذكائه لما شعر بالأمر ، أمر الطلبة أن يفتحوا « صحيح البخاري » على باب فضائل عليّ بن أبي طالب ، وأخذ يُحدّث بهذه الفضائل ، والقبائل يسمعون ويتعجبون من سماعهم الأحاديث في فضل عليّ بن أبي طالب عليه السلام ثم قالوا لبعضهم : ولد عقبات هذا يكذب على ولد الديلمي أسمعتم الأحاديث في فضل أمير المؤمنين ^(١) ، وهذا ولد عقبات يقول بأنه

(١) بعض المتعصبين من الشيعة يشيع أنّ البخاري لم يرو شيئاً في فضل علي بن أبي طالب عليه السلام ، وهذا كذب عجيب ؛ لأنه لو كان كذّاباً على كتاب مفقود ، لكان الأمر محتملاً ، فكيف والبخاري في كلّ بيت ؟! ، ولكن هؤلاء الكذّابين يستغلون كسل الناس وإهمالهم التحقّق من كذب الدعاوي أو صدقها ، وهاك ما أورده البخاري - رحمه الله - في فضل علي عليه السلام ، قال البخاري - رحمه الله - (٢٠٧/٤ - ٢٠٩) : « باب مناقب علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي أبي الحسن عليه السلام ، وقال النبي ﷺ لعلي : « أنت مني وأنا منك » ، وقال عمر رضي الله عنه : توفي رسول الله ﷺ وهو عنه راض ، حدّثنا .. ثم أورد حديث : « لأعطين الراية غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله » .. ثم أورد حديث : « اجلس يا أبا تراب » مرتين ثم حديث ابن عمر رضي الله عنه : « ... فذكر محاسن عمله ، وقال : هو ذاك بيته أوسط بيوت النبي ﷺ .. » ، ثم أورد حديث : « .. إذا أخذتما مضاجعكما .. » ، ثم ختم بما رواه عن عبيدة عن علي عليه السلام قال : « اقضوا كما كنتم تقضون فإنّي أكره الاختلاف حتى يكون للناس جماعة أو أموت كما مات أصحابي » قال البخاري : فكان ابن سيرين يرى أنّ عامة ما يروى على عليّ الكذب . أ. هـ . وبعدها باب ، قال البخاري : « باب مناقب قرابة رسول الله ﷺ ، ومنقبه فاطمة عليها السلام بنت النبي ﷺ وقال النبي ﷺ : « فاطمة سيدة نساء أهل الجنة » ، ثم أورد ثلاثة أحاديث منها : حديث : « فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني » فتأمل عزيزي القارئ ما ذكرته لك وراجع بنفسك في البخاري لتعلم قدر هذا الإمام - رحمه الله - .

يغض أمير المؤمنين ، هذا الديلمي ^(١) جدّه (أي علي بن أبي طالب) ، ثمّ انصرفوا لاعتين لعقبات هذا ^(٢) !! .

﴿ ٢٧ ﴾ رؤيا الشوكاني للأمير في المنام

حكى القاضي محمّد - حفظه الله - ^(٣) :

أن الإمام الشوكاني ^(٤) - رحمه الله - قال : وقد رأيت العلامة محمد

(١) قال زيارة : في « نيل الحنينين بأنساب من باليمن من بيوت عترة الحسين » (١٢٦-١٢٧) : بيت الديلمي : السادة بيت الديلمي ، ينسبون إلى الإمام الأعظم الشهيد المنصور بالله أبو الفتح الديلمي الشهيد في سنة ٤٤٦ للهجرة بقاع الديلمي بين شراع وذمار ، وهو الناصر بن الحسين بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن علي بن الحسين بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب .. ثمّ قال : وجامع نسب السادة الأعلام منهم الذين بمدينة ذمار ، هو السيد علي بن ناصر بن محمد بن المنتصر بن عبد الله بن محمد بن صلاح بن عبد الله بن الحسن بن المطهر بن صلاح بن محمد بن أحمد بن إبراهيم بن قاسم بن أحمد بن عبد الله بن الإمام أبي الفتح الديلمي .. إلخ .

(٢) وهذه الحن وقعت كثيراً لمن درس الكتب الستة ونشر علومها كابن الوزير والجلال والمقبلي والأمير والشوكاني وبيت العمراني .

(٣) سمعتها من القاضي محمّد - حفظه الله - من حوالي ست سنوات ، ثمّ وجدتها في « البدر الطالع » للشوكاني في ترجمة العلامة الأمير (١٣٨/٢) .

(٤) الإمام العالم محمد بن علي الشوكاني إمام مجتهد فقيه بارع ولد سنة ١١٧٣ هـ ، وتوفي سنة ١٢٥٠ هـ ، له مؤلفات عديدة منها : « نيل الأوطار » ، « وبل الغمام » و« السيل الجرار » و« فتح القدير » و« الدراري المضية » و« البدر الطالع » وغيرها ، راجع ترجمته لنفسه في كتابه « البدر الطالع » (٢١٤/٢ - ٢٢٥) ، وألفت عنه عدّة رسائل علميّة ، منها : « الشوكاني المفسّر » للدكتور إبراهيم توفيق أبو بكر الديب ، رسالة دكتوراه بكلية أصول الدين ، قسم التفسير وعلوم القرآن ، جامعة الأزهر عام ١٩٧٧ م ، « الإمام الشوكاني مفسراً » للدكتور محمد حسن بن أحمد الغماري ، رسالة دكتوراه بكلية الشريعة ، جامعة أم القرى عام ١٤٠٠ هـ (١٩٨٠ م) ، و« القراءات في تفسير الشوكاني فتح القدير » للدكتور أحمد بن عبد الله المقرئ ، رسالة ماجستير بالجامعة الإسلامية ، شعبة التفسير ، عام ١٤٠٤-١٤٠٥ هـ . و« الإمام الشوكاني حياته وفكره » للدكتور عبد الغني قاسم غالب الشرجبي ، رسالة دكتوراه بجامعة صنعاء ، كلية التربية ، عام ١٤٠٨ هـ ، و« الإمام الشوكاني وآراؤه الاعتقاديّة في الإلهيات بين السلف والزبديّة » للباحث سعيد إبراهيم سيد أحمد ، رسالة ماجستير بكلية الشريعة ، جامعة أم القرى ١٤٠٦ هـ ، و« منهج الإمام الشوكاني في العقيدة » للدكتور عبد الله نومسوك « رسالة دكتوراه بالجامعة الإسلامية ، قسم العقيدة ١٤١٢ هـ .

بن إسماعيل الأمير^(١) في المنام في سنة ١٢٠٦ هـ ، وهو يمشي راجلاً وأنا راكب في جماعة معي ، فلما رأيته نزلت وسلّمت عليه ، فدار بيني وبينه كلام حفظت منه أنّه قال : دَقُّ الإسناد وتأنق في تفسير كلام رسول الله صلى عليه وآله وسلم ، فخطر ببالي عند ذلك أنّه يشير إلى ما أصنعه في قراءة البخاري في الجامع ، وكان يحضر تلك القراءة جماعة من العلماء ، ويجتمع من العوام عالم لا يحصون ، فكنت في بعض الأوقات أفسّر الألفاظ الحديثية بما يفهم أولئك العوام الحاضرون ، فأردت أن أقول له إنه يحضر جماعة لا يفهمون الألفاظ العربية ، فبادر وقال - قبل أن أتكلّم - : قد علمت أنّه يقرأ عليك جماعة وفيهم عامة ، ولكن دقق الإسناد وتأنق في تفسير كلام رسول الله ﷺ ، ثمّ سألته عند ذلك عن أهل الحديث : ما حالهم في الآخرة ؟ فقال : بلغوا بحديثهم الجنّة ، أو بلغوا بحديثهم بين يدي الرحمن ، ثمّ بكى بكاءً عالياً وضمّني إليه وفارقني ، فقصصت ذلك على بعض من له يد في التعبير ، وسألته عن تأويل البكاء والضّم ، فقال : لأبدّ أن يجري لك شيء مما جرى^(٢) له

(١) الإمام العلم محمد بن إسماعيل الأمير ، المعروف بالصنعاني ، إمام مجتهد ، نيز التقليد ، وعمل بالكتاب والسنة وصنف المصنفات الفريدة المفيدة ، مثل : « سبل السلام » و « منحة الغفار » و « العدة » وغيرها ، وقد وقعت له محن بسبب نشره للسنة وعمله بالدليل ، توفي - رحمه الله - سنة ١١٨٢ هـ ، راجع ترجمته في « البدر الطالع » (١٣٢/٢ - ١٣٩) ، و « نشر العرف » لزيارة (٢٩/٣ - ٦٩) ، وكتاب « مصلح اليمن محمد بن إسماعيل » لعبد الرحمن طيب بeker .

(٢) من المحن التي جرت للأمير : أنّه لم يذكر الأئمة الذين جرت العادة بذكرهم في نهاية الخطبة الثانية ، فثار عليه جماع من آل الإمام الذين لا أنسة لهم بالعلم ، وعضدهم جماعة من العوام وتواعدوا فيما بينهم على قتله في المنبر يوم الجمعة المقبلة ، وكان من أعظم المحشدين لذلك السيد يوسف العجمي ، فبلغ الإمام المهدي ما قد وقع التواطؤ عليه ، فأرسل لجماعة من أكابر آل الإمام وسجنهم وأرسل للأمير أيضاً وسجنه ، وأمر بطرد السيد يوسف المذكور من الديار اليمنية وولّى الخطابة غير الأمير .. وما زال الأمير في محن من أهل عصره حتّى توفي - رحمه الله - . راجع « البدر الطالع » (١٣٤/٢) وما بعدها .

من الامتحان ، فوق من ذلك بعد تلك الرؤيا عجائب وغرائب ^(١) ، كفى الله شرّها .

● قلت : ومما يناسب ذلك ما طالعته في رسالة « الحاوي لمساوي السماوي » للعلامة يحيى بن المطهر بن إسماعيل - رحمه الله - ١٢٦٨ هـ وهي مخطوطة ، قال : « .. رأى من يغلب الظنّ بصدقه منامًا : أن الصّحابة على فرسانهم في القاع الذي غربي بير العزب ، فقالوا : جئنا ننصر محمدًا الشوكاني الذي يذبُّ عنا .. » .

(٢٨) المسفلة « متخصصة في رؤيا الأموات » !

المسفل أو المسفلة : رجل أو امرأة تزعم أنها أوتيت موهبة رؤية الأموات في المنام ، ومعرفة أحوالهم في قبورهم من سعادة أو شقاوة ! ، فإذا مات إنسان - ذكرًا أو أنثى - جاء أهله إلى المسفلة ، فسألوها أن ترى لهم هذا الميت في منامها وتعرف حاله ، وما عليه من ديون - إن كانت - أو ما له من حقوق عند الناس - إن وجدت فتصبح المسفلة مُخبِرة أنها رأت هذا الميت في منامها وأنّ حاله طيّبة أو سيّئة ، وأنّ عليه من الدّين كذا وكذا .. ، أو له من المال عند فلان كذا وكذا ... ، أو أنّ له مالاً مُخبأً في المكان الفلاني .. إلى آخر مثل هذه الأخبار العجيبة .. وبمناسبة الكلام على المسفلة ، حكى لنا القاضي محمّد هذه الحكاية الطريفة ^(٢) :

(١) أي أنه قد وقع للإمام الشوكاني محن عديدة مثلما وقع للأمير تمامًا ، راجع بعض ما وقع للشوكاني من المحن فيما حكاه بنفسه في كتابه « أدب الطلب » .

(٢) كنت قد سمعت هذه الحكاية من القاضي محمّد أولاً ، ثمّ طلبت منه مصدرًا من مصادرها ،

كان الأديب الفقيه أحمد بن محمد العلفي قد صحب سعد يحيى العلفي وكان الأخير غنياً ، وكان يُكرم الأديب أحمد العلفي المذكور ويُعطيه من ماله ، فلماً توفي سعد العلفي هذا ، وورثه ولده أحمد سعد يحيى ، فكان هذا الولد شديد الإسراف ، ولم ينل منه الأديب أحمد العلفي شيئاً ، فاحتال عليه بأن دسّ إليه من يُحدثه بخبر المسفلة التي تُخبر عن الموتى وعن أحوالهم ، فقصّ الجماعة الحاضرون بموقف أحمد سعد يحيى خبرها ، فتعجب من أمرها ، وسألهم عما قاله العلماء فيها ، فقالوا : إنهم قضوا بصحة ما تُخبر به ^(١) ، فلماً علم الأديب أحمد العلفي أنه قد تمكن الخبر من قلبه ، أرسل امرأة بأجرة تُخبر أحمد سعد يحيى أنها مسفلة ، فسألها أن تأتي بخبر والده ، فعادت إلى الأديب العلفي فأخبرته ، فقال لها : قلّي له - إذا جئت غداً - : إنّي دخلت المقبرة (أي بروحها كما تزعم المسفلة) ، فوجدت والدك في نعيم وسرور في

== فذكر لي « نيل الوطر » للمؤرخ زيارة ، فوجدتها في ترجمة الفقيه أحمد بن محمد العلفي (٢٢٩-٢٣٠) وهي موجودة أيضاً في « نشر العرف » (٧٣٣/١) لزيارة .

(١) هذا زعم غير صحيح ، ولا أعلم من يقول بصحة ما تُخبر به شيخنا العلامة محمد بن إسماعيل العمراني - حفظه الله - ، إلا أنه يقول : شأنها صحيح ، ولكن لا يعمل بقولها في الشريعة ، فإذا أخبرت بأن الميت له دين على فلان ، لا يصح إلزامه بهذا الدين إلا ببينة شرعية ، وهو في تصحيح شأنها اعتمد على كلام العلامة محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني في « جمع الشتيت » (٨٦) قال : « .. قلت : واعلم أن الله تعالى لما طوى أمور سكّان القبور عن المشاهدة للمعدّب منهم والمنعم جعل لبعض عباده اطلاعاً على أحوالهم في المنام ومشاهدتهم لأمر صادقة عند الأنام بحيث أنه قد يخص تعالى رجلاً أو امرأة بذلك ، وتصير معروفة بإتيان الأموات في منامها وتأتي عنه بأخبار يصدقها فيه قرباتهم ومن كان يلبسه ، وقد يرسل بعض قرابة الميت من الأحياء إلى من يريده من الأموات من عرف بإتيانه بأخبار الموتى ويبلغ عنه ما توصي به إليه ويأتي بجوابه ، وقد أخبرنا أمة بعد أمة من خيار الناس بوقوع ذلك حتى صار يقيناً ، لكثرة وقوعه ، ويسمون من يأتي الموتى بالمسفل والمسفلة .. إلخ كلامه رحمه الله » .

● قلت : وهذا الذي قاله الأمير - رحمه الله - مردود ، فالمسفلة دجّالة من الدجّالين ومُدّعية لعلم الغيب ولا يعلم الغيب إلا الله ، ومدّعية أنها تستدعي الرؤساء في الوقت الذي تريد ، والنبي ﷺ يقول : « الرؤيا من الله .. » الحديث متفق عليه ، ولولا أن المكان غير مناسب لأكملت الرد على الأمير ، وقد كتبت رسالة طويلة في بطلان أمر المسفلة وبيان أنها دجّالة .

جنات عالية ، خلا أنه قال : لم يجد بعد الموت مُكدرًا ولا مكروهًا إلا من أحمد بن محمد العلفي (الأديب المُدبر للحيلة) ، ففعلت ، فقال الأديب العلفي : فلم أشعر إلا وقد أرسل إليّ واستفهمني عن والده ، فقلت : نعم ، إنه كان بيني وبين والدك أمر عظيم واتصال كليّ ، وأنه فعل معي وفعل (أي قصر في حق صحبتي له ، ولم يقم بحقها) ، وإنّي لا أعذره بين يدي الله عز وجل ، ولا بدّ من السؤال عما صنع معي من المصائب .

فقال : سألتك بالله إلا ما أقلته من المصائب ، ولك ما اقترحت ، قال الأديب العلفي : فاقترحت من فاخر ثياب والده ما كان يستجوده ، فأعطاني ، فلمّا أخذ العلفي ما أخذ باع ذلك كلّهُ في السوق ، فبلغ أحمد سعد يحيى فشراه بمال جزيل ، ثمّ دسّ العلفي إليه من يخبره بأن تلك حيلة منه ، فتألم لذلك ولقيه بعدها وهو يضحك ، فعلم أنه قد خدعه ، ولعنه جهاراً . ١. هـ .

● قلت : وقد وجدت حكاية أخرى لطيفة في « نيل الوطر » (١٥٢ - ١٥٣) في ترجمة القاضي علي بن قاسم حنش الصنعاني المتوفي سنة ١٢١٩ هـ ، وهي تدل على ما ذكرت في الحاشية من كذب المسفل ، قال زيارة : « ولصاحب الترجمة (أي القاضي علي بن قاسم حنش الصنعاني) خبر مع مسفلة كانت تأتي الناس بأحوال موتاهم ، فأراد إظهار كذبها وكذب مرماهم ، فدعاها إليه ، وسألها عن والده ، وأوهمها أنه مات ، فوعده بدخول المقبرة (أي بروحها) ليلتها ، لتأتيه بحديث عن أبيه ، وكان والده إذ ذاك على قيد الحياة ، فلمّا أصبح دعا جماعة ممن فتن بها ، ووالده مع الجماعة ، فوقفت خلف باب منزله فاستفصحتها الخبر عن والده ، فقالت : رأيت والدك في نعم ونعمي لابساً لحلة عظمى محفوراً بالوصائف مسرور القلب منشرح

الخطر ، وقالت : إنه أودعها وصية إليه ، وبالح في شرح حاله عليه ، وأنها لا تتكلم بحضرة واحد من الناس ، فقال لها : هذا الوالد في المكان ، استتمي شرح القصة ، ومن رأسك إلى رأسه ، فضحك حاضروه .

● **تنبيه :** اعلم - أيها القارئ العزيز - أن الرؤى والأحلام ليست بحجة أو دليلاً في الشريعة المطهرة ، وإنما علمها البشارة والندارة ، باستثناء الأنبياء فإنهم إذا رأوا في منامهم فهو وحي من الوحي بدليل رؤيا نبي الله إبراهيم عليه السلام : ﴿ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى ﴾ [الصفافات: ١٠٢] ، وأما إذا رأى عامة الناس الأنبياء في المنام ، فليست بحجة شرعية ، وإن كان المرأي هو سيد ولد آدم ﷺ ، فرؤياه حق كما في الحديث المتواتر : « من رآني في المنام فقد رآني حقاً ، فإن الشيطان لا يتمثل بي » ولكنها ليست دليلاً شرعياً لاحتمال الكذب من الرائي أو الوهم أو الاختلاط ، وعلى هذا وقع الإجماع ، قال النووي - رحمه الله - في « شرح مسلم » (١١٥/١) : « قال القاضي عياض - رحمه الله - : هذا ومثله استثناس واستظهار على ما تقرر من ضعف أبان ، لا أنه يقطع بأمر المنام ، ولا أنه تبطل بسببه سنة تثبت ، ولا تثبت به سنة لم تثبت ، وهذا بإجماع العلماء ، هذا كلام القاضي ، وكذا قاله غيره من أصحابنا وغيرهم ، فنقلوا الاتفاق على أنه لا يغير بسبب ما يراه النائم ما تقرر في الشرع ، وليس هذا الذي ذكرناه مخالفاً لقوله ﷺ : « من رآني في المنام فقد رآني » فإن معنى الحديث أن رؤيته صحيحة وليست من أضغاث الأحلام وتلبيس الشيطان ، ولكن لا يجوز إثبات حكم شرعي به ؛ لأن حالة النوم ليست حالة ضبط وتحقيق .. إلخ » وراجع « التنكيل » للمعلمي (٢٤٢/٢) .

(٢٩) لا يُقتل مرتين^(١)!

يحكي القاضي العمراني - حفظه الله - ، فيقول :

كان يعلى بن أمية والياً على اليمن ، فوصل إليه رجل من حفاش يشكو رجلاً قتل ابنه ، فكتب يعلى بن أمية إلى سعيد بن عبد الله الكندي ، وكان عامله على حفاش وملحان أن يرسل إليه القاتل ، فقدم به سعيد على يعلى ، فدعا يعلى عدة من صلحاء أهل صنعاء ، ودفع إلى أب المقتول سيفاً يقال له البحتري ، وقال له : اقله ، وهؤلاء شهود ، فضربه حتى جدعه بالسيف ، ورأى أنه قد قتله ، فاحتمله أهله ليدفنوه في قبره ، فوجدوه يتنفس وبه رمق ، فداووه فشفي ، ثم وجده أبو القاتل بعد ذلك يرعى غنم أبيه ، فأتى يعلى وقال : إن قاتل ابني حي ، فكتب يعلى إلى عامله ، فأشخصه إليه ، فإذا هو ، فحسبت جراحه فوجد فيها الدية ، فقال له يعلى : إن شئت فادفع إليه الدية واقله ، وإلا فدعه ، فلحق الرجل (أبو المقتول) بعمر بن الخطاب رضي الله عنه وشكا إليه يعلى وأنه حال بينه وبين قاتل ابنه ، فغضب عمر رضي الله عنه وعزل يعلى ، وبعث المغيرة بن شعبة ، وأمره بأن يشخص إليه يعلى بن أمية ، فأشخصه المغيرة وأساء إليه ، فلما قدم يعلى على عمر وأخبره الخبر ، استشار علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فأشار عليه بصحة ما قضى به يعلى ، فردّه عمر رضي الله عنه إلى عمله وعزل المغيرة ، ولما رجع يعلى أحسن إلى المغيرة ، فقال المغيرة : والله إن يعلى خيراً مني حين عزل وحين ولي .



﴿ ٣٠ ﴾ لو اجتمع عليه أهل صنعاء لقتلهم به !

وحكى القاضي محمد - حفظه الله - (١) :

وحدث في مدّة ولاية يعلى بن أميّة (٢) على اليمن ، أنّه كان يعيش في صنعاء صبي يدعى أصيل ، وكان لوالد أصيل زوجة فاسدة ، وكان لها ستة أخلاء ، وأنّها قالت لأخلائها : أنّهم لا يستطيعون الانفراد بها ، حتّى يقتلوا ابن زوجها (أصيل) ، فقالوا لها : أمسكيه عندك ، فأمسكته فقتلوه وألقوه في بئر قرب غمدان ، وأخذت أم أصيل تطوف بالشوارع وتسأل عنه وتدعو الله أن يكشف لها ما وقع لولدها ، واهتمّ الوالي يعلى بن أميّة بقضية أصيل وبذل جهده في حل القضية ، ووعد من يساعد في كشف الأمر بالوعود الحسنة والمكانة السامية ، وبعد أيام قلائل ، وصل إليه بعض الأذكىاء من أعوانه وأخبره أنه شاهد في بئر قرب قصر غمدان ذباباً أخضر يصعد منه بكثرة ، وأنّه لا يكون هذا الذباب إلا عند ميتة ، فخرج يعلى إلى البئر المذكور ، وأمر بنزول أحد الحاضرين للكشف عن البئر ، فانتدب أحد القتاتلين - وهم لا يعلمون - وكان حاضراً لمراقبة الحالة ، فلما نزل البئر ، وجد القتيل طافياً على الماء فوضعه في حفرة بجانب البئر ، وأخبر الوالي أنّه ما وجد شيئاً ، فلم يصدقه الوالي ؛ لأنّ الرائحة كانت قويّة بعد نزول القتاتل وتحريكه للقتيل ، وأمر الوالي

(١) كنت قد سمعتها من القاضي محمد في البداية ، ثمّ وجدتّها في « مساجد صنعاء ، عامرها وموفياها » للحجري (١٣٤-١٣٥) وراجع « وصف صنعاء » لعلي بن عبد الله بن القاسم (١١) .

(٢) قال الحجري في المصدر المذكور : « .. يعلى بن أميّة ، أو ابن منية ، فأمية أبوه ، وهو أمية بن أبي عبيد بن همام بن الحارث بن بكر من بني مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، ومنية أمه ، وهي منية بنت شبيب بن الحارث من بني مازن بن منصور بن عكرمة بن جعبه بن قيس بن عيلان ، وهذا يعلى هو الذي استخلفه أبان بن سعيد على ولاية صنعاء في زمن الرسول ﷺ ، واستمرت ولايته إلى مقتل عثمان رضي الله عنه .. إلخ » .

بنزول رجل آخر من الحاضرين ، فكشف الحقيقة ، وحينئذ ظهرت أمارات الخوف على القاتل ، وامتقع لونه ، فأمر الوالي بحفظه إلى أن أخرج القاتل من البئر ، فكان الوالي التشديد على القاتل ، فاعترف بكل شيء وذكر شركاءه في الجناية ، فقبض عليهم الوالي ، ورفع القصة إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فتردد عمر رضي الله عنه في قتل الجميع حتى قال له علي بن أبي طالب رضي الله عنه : أرأيت أو أن نفراً اشتركوا في سرقة جزور (أي : جمل) ، فأخذ هذا عضواً وهذا عضواً ، أكنت قاطعهم ؟ قال : نعم ، قال : فكذلك هذا . فكتب عمر إلى يعلى بقتل جميع المشاركين في قتل (أصيل) ، وقال كلمته الشهيرة : « لو اجتمع عليه أهل صنعاء لقتلتهم به » فقتلوا الستة مع زوجة والد أصيل .

(٣١) الطبقية تصد عن دين الله عز وجل

يحكي ^(١) القاضي محمد - حفظه الله - :

كان هناك رجل مثقف واسع الاطلاع قبل الثورة (١٩٦٢ م) يُسمى المحلوي ^(٢) ، ولولعه بالبحث والاطلاع ، فقد استعار التوراة والإنجيل (العهد الجديد والعهد القديم) من بيت سعيد يسر ، وأراد أن يدرس التوراة على الحاخام اليهودي الكبير يحيى الأبيض ^(٣) الذي كان متبحراً في العلوم اليهودية

(١) هذه الحكاية كنت سمعتها من القاضي محمد - حفظه الله - من عدة سنوات ، ثم وجدتُها أخيراً في كتاب « الطريق إلى الحرية مذكرات العزي صالح السنيدي » (٦٠-٦١) وفيها زيادات فأدخلتها .

(٢) محمد بن عبد الله المحلوي ، مثقف سياسي صاحب نكتة وظرف ، كان من أوائل الثوار على العهد الإمامي ، حبس عدة مرات ، ثم توفي على إثر خروجه من الحبس . راجع الكلام عليه في « الطريق إلى الحرية » (١١-٢٣) .

(٣) وكان ددعي المذهب مثل البروتستانت في المسيحية .

والإسلامية مُنصفاً إلى حد ما^(١) ، وفي يوم خلا المحلوي مع يحيى الأبيض ، فقال له : بالله عليك بصفتك قد اطلعت على كتب المسلمين اطلاعاً كاملاً ، فما رأيك في الدين الإسلامي ؟ فقال الحاخام يحيى الأبيض : الذي جاء به محمد عليه السلام هو الحق ، ولا ننكره ولكن أين المسلمون اليوم ؟ فقال المحلوي : هل لك رغبة في الدين الإسلامي ، وهل تحدثك نفسك بشيء ؟ فقال : بالله عليك يا عزي ، أنا بين اليهود بهذا المنصب ومقدّر عندهم ، بل وعند المسلمين وخاصة رجال الحكومة ، فماذا يحدث لو أسلمت ؟ ماذا سيكون موقفهم مني ؟ أنظف القاذورات أو موقر^(٢) ، هل سيقدروني مثل أيام النبي « له ما لنا ، وعليه ما علينا ، ويؤتي أجره مرتين »^(٣) ؟ ولكن لن يحدث شيء من هذا سيسمونني : يحيى المهتدي^(٤) ويحتقروني ، من منهم سيزوجني بأخته أو ابنته ؟ فهذا أحسن لي والله المطلّع على السرائر . فسكت المحلوي ، وانتقل به إلى حديث آخر .

● قلت : ومما يمكن أن يضاف إلى هذا ، ما ذكره ابن الجوزي في

(١) حتى أنه عندما اطلع على كتاب « إظهار الحق » لرحمت الله الهندي العلامة الكبير الذاب عن الدين الإسلامي الذي جرت مناظرة بينه وبين العالم المسيحي فندر في حيدر آباد ، اطلع عليه الأبيض وأيد بعض ما فيه . راجع « الطريق إلى الحرية » (٦٠) .

(٢) قبل أن يعرف الناس الطواحين ، كان في كل بيت في اليمن رحي ، وبكثرة استعمالها تصيح ملساء ، فيوقرونها أي يضربونها بأزميل لتعود خشنة كما كانت ويسمي من يعمل ذلك موقر ، وهي مهنة وضعية لا يحترفها إلا من سدت أمامه أبواب الرزق . راجع « الطريق إلى الحرية » (٨) .

(٣) الحديث الأول وهو « له ما لنا وعليه ما علينا » لا يصح ، راجع في ذلك « تخریج كتاب الحلال والحرام » للألباني ، والحديث الثاني وهو « يؤتي أجره مرتين » صحيح مشهور .

(٤) كان أهل اليمن يظلمون على من أسلم من اليهود والنصارى المهتدي ، وكان النظام الطبقي ينظر إلى المهتدي نظرة احتقار ويجعله في أدنى الطبقات ، ومن أمثالهم التي تحمل هذا التعصب « اليهودي يهودي ولو أسلم » والمعنى أن طبيعة اليهودي هي المكر واللؤم فلا يظهر من لؤمه ولو أسلم . راجع « الأمثال اليمنية » للقاضي إسماعيل الأكواع (١٣٨٨/٢) رقم (٦٠٢٨) .

« أخبار الظُراف والمتماجنين » (١٣٦ - ١٣٧) قال : « قال عبد الله بن سليمان بن الأشعث سمعت أبي يقول : كان هارون الأعور^(١) يهودياً فأسلم ، وحسن إسلامه ، وحفظ القرآن والنحو ، فناظره إنسان في مسألة فغلبه هارون ، فلم يدر المغلوب ما يصنع ، فقال له : أنت كنت يهودياً فأسلمت . فقال هارون : فبئس ما صنعت ؟! ، فغلبه في هذا أيضاً .

(٣٢) عنزة ولو طارت^(٢) !

قال القاضي محمد - حفظه الله - :

خطب العلامة يحيى بن محمد الكبسي^(٣) خطبة بليغة في الجامع الكبير بصنعاء ، في يوم الجمعة ناهياً الناس عن الجمع بين الصَّلَاتين ، ومبيناً لهم لزوم التَّوَقُّيت ، شارحاً لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴾ [النساء : ١٠٣] ، ثُمَّ صلى بهم الجمعة ، فبمجرد أن قال السَّلَام

(١) هارون بن الحائك الضَّرير : نحوي على مذهب الكوفيين من أعيان أصحاب ثعلب ومن طبقته ، وكان يناظر المبرد .

(٢) هذا مثل يضرب للمعاندة المستمر في عناده ، وإن ظهر بعده عن الصواب ، وأصل قصته : أن رجلين كانا يسيران في غابة في الظلام ، فرأيا شيئاً يتحرك من بعد ، فقال أحدهما : هذه عنزة وقال الآخر : هذا طائر ، وأمسك بحجر وألقاه ناحيته ، فطار في الجو فقال الأول : عنزة ولو طارت ، فصارت مثلاً .

(٣) هو السيد العلامة يحيى بن محمد بن أحمد الكبسي ، مولده سنة ١٣٢١ هـ ، أخذ عن مشايخ المدرسة العلمية في العربية والفقه والأصول وأتقنها وتولى القضاء بناحية حريب مدة طويلة ، ثم كان من أعضاء الهيئة الشرعية بمدينة نمر أيام الإمام أحمد ، وفي عهد الجمهورية صار من أعضاء محكمة الاستئناف ، وهو ذو خلق كريم ، توفي منذ حوالي ١٥ سنة ، راجع ترجمته في « نزهة النظر » (٦٤٦/٢) . هذا ما نقلته من « نزهة النظر » وقد ضرب عليه القاضي العمراني بالقلم وكتب : « السيد يحيى الكبسي ، كان علماً ضريراً من حفاظ القراءات السبع ، ومن له على بعض العلوم الإسلامية ، ولم يتول أي ولاية ، لكونه كان ضريراً أعمى ، وقد عاش في الرُوضة إلى أن مات » .

عليكم ورحمة الله ، قال رجل صائحاً : عصر ! فقال بعض الحاضرين : ومن أراد أن يقرح يقرح (أي : ومن أراد أن ينفجر فلينفجر !) ، وفعلاً أُقيمت صلاة العصر في وسط صرح الجامع الكبير .

(٣٣) أخرج هذا العبد !

قال القاضي محمد - حفظه الله - :

كان الإمام المنصور علي إماماً على اليمن في الفترة (١١٨٩ - ١٢٢٤ هـ) وكان أسوداً كأنه عبد ؛ لأن أمه كانت جارية حبشية ، وأراد في يوم من الأيام أن يدخل الحمام العام ، فطلب من الحمامي أن يفرغ له الحمام ففرغه إلا من رجل كبير السن شبيه كان يغتسل ويتحمم ، فأمر المنصور علي بتركه في الحمام ، ودخل المنصور علي يتحمم بجوار الرجل الشبيه ، وبعد دقيقة مرّ ابن الحمامي ليعخدم المنصور علي ، فناداه الرجل الشبيه ، فقال الصبي : ماذا تريد ؟ فقال الرجل الشبيه : أريد أن تبعد هذا العبد - وأشار إلى المنصور علي - من هنا ؛ فإنه قد سدّ نفسي (وبلغه أهل صنعاء : غاثي نفسي) بمنظره الكريه عن الاستحمام ، فأخذ الغلام الدلو وضربه به ، فرآه المنصور علي وقال : ما هذا ؟ لماذا تضرب هذا الرجل الشبيه ؟ أما عندك أدب ؟ ما السبب ؟ فقال الصبي : ما فيش (أي : ليس هناك شيء) ، فقال المنصور : لأبد من حبسك . فقال الصبي : يا سيدي ، أنا كنت في مصلحتكم . فقال المنصور : كيف ؟ فحكى له الصبي الحكاية ، فضحك المنصور ، وقال : ما نفعل ، كان لا يعجبهم إلا الجواري السود ! .

● قلت : ومما يناسب هذه الحكاية ما روي : أن علي بن موسى الرضا - رحمه الله - كان يميل لونه إلى السّواد ؛ لأنّ أمه كانت أمة سوداء ، وكان له بنيسابور على باب داره حمام ، وكان إذا دخل الحمام ، فرغ له ، فدخل ذات يوم ، فأطبق الحمّامي باب الحمام ، ومر إلى بعض حوائجه ، فتقدّم إنسان رستاقى إلى باب الحمام ودخل ونزع ثيابه ، ودخل الحمام ، فرأى علي بن موسى ، فظنّ أنّه بعض خدم الحمام ، فقال : قم فاحمل إليّ الماء . فقام علي بن موسى - رحمه الله - وامثل جميع ما كان يأمره ، فرجع الحمّامي ، فرأى ثياب الرستاقى ، وسمع كلامه مع علي بن موسى - رحمه الله - ، فخاف وهرب وخلاهما ، فلمّا خرج عليّ بن موسى وسأل عن الحمّامي قيل له : إنّهُ خاف مما جرى ، فهرب ، فقال : لا ينبغي أن يهرب ، ليس الذنب له ، إنّما الذنب لمن وضع ماءه عند أمة سوداء . راجع « حقائق النمام » للكوكباني (٢٠٦)

● قلت : وهذه الأمة تُدعى « أم البنين » !! .



﴿ ۳۴ ﴾ انقلاب عسکری فی تعز (۱)

یحکی القاضي محمد - حفظہ اللہ - :

كان عبد الله عبد الوهّاب نعمان (۲) يحرر جريدة « الفضول » (۳) من عدن في عهد الإمام أحمد ، وكانت نصف شهرية ، وفي يوم من الأيام نشر في العنوان الرئيسي في جريدة « الفضول » « انقلاب عسكري في مدينة تعز » وهزّ العنوان الناس ، فاشترى الجريدة ، ثمّ وجدوا تحت العنوان شرحاً لهذا الانقلاب : بأنّه قد سقط أمس جندي (عسكري) من على حماره ، فانقلب على رأسه .. إلخ ، فضحك الناس وتعجبوا ! .



(۱) تعز : بفتح المثناة وكسر المهملة ، إحدى مدن اليمن الكبار ، كانت في بعض الفترات عاصمة لليمن ، تبعد عن صنعاء بمسافة ۲۵۶ كيلو متر ، ممنوعة من الصرف للعجميّة ووزن الفعل ، وسيأتي - إن شاء الله - مزيد كلام عليها . وراجع « الموسوعة اليمنية » (۲۴۱/۱ - ۲۴۲) .

(۲) قال القاضي العمراني : « كان عبد الله النعمان يدرس معي القرآن في العلامة ، وكان لا يحفظ وكان سيدنا يضربه بسبب ذلك ، وكنت أظنه بليداً ، ولكن يبدو أنه أدخله أبوه وأجره على ذلك ، ولم يكن عنده رغبة ، ولذلك لم يكن يحفظ ، ولكن ظهر ذكاؤه وشعره بعد ذلك ، فكان غاية في الذكاء وإجادة الشعر » أ. هـ . قلت : وقد خلطت « الموسوعة اليمنية » (۶۳۵/۲) بين ترجمة عبد الله محرر « الفضول » وأبيه عبد الوهّاب ، فانتبه .

(۳) في « الموسوعة اليمنية » (۵۶۰/۲) : « .. ومن أبرز الصحف اليمنية في الأربعينات (الفضول) وقد صدرت في عدن عام ۱۹۴۸ م ، وكرد فعل لظهور صحيفة الفضول في عدن ، وصحيفة السلام في كاردف ، صدرت في عدن صحيفة سبأ عام ۱۹۴۹ م لصاحبها محمد عبده صالح الشرجبي ، وكانت موالية للإمام أحمد ، وقد نقلت إلى تعز بعد أن أغلقها في عدن الحاكم الإنجليزي سيجر ... إلخ » .

(٣٥) التَّوْقِيتُ جَائِزًا

من المعلوم تساهل المتمذهبين بالمذهب الهادي في مسألة توقيت الصلوات، فيجمعون غالباً بين الظهر والعصر، وبين المغرب والعشاء، وكان ممن يجمع بين الصلوات الإمام يحيى حميد الدين الذي حكم اليمن في الفترة (١٣٢٣-١٣٦٧هـ)، فيحكي القاضي محمد - حفظه الله - :

أنه كان الإمام يحيى في يوم من الأيام جالساً في ديوانه، وذلك في آخر عمره وعنده القاضي العلامة عبد الله العيزري بعد أذان العصر، وكان الإمام يحيى قد جمع بين الظهر والعصر، فجاء السيد علي بن حسين الشامي، وقال: من لم يصل العصر؟ فقال القاضي العيزري^(١): أنا، فقاما يصليان معاً صلاة العصر في وقتها، وبعد أن سلما، أراد الإمام يحيى أن يبين صواب فعله في الجمع بين الصلاتين، فقال للموجودين في حضرته: انظروا إلى هذين اللذين لا يأخذان برخصة رسول الله، فالتفت إليه القاضي العيزري، وقال: يا مولانا، كونوا وقتوا ولو مرة في السنة حتى يعلم الناس أن التوقيت جائز!

● قلت: وما يناسب ذلك ما ورد في كتاب «أخبار أبي العيناء» (٥٨):
«قال محمد بن مكرم يوماً: مذهبي الجمع بين الصلاتين، فقال أبو العيناء: صدقت، تجمع بينهما بالترك».

(١) القاضي العلامة فخر الدين عبد الله بن محمد العيزري، مولده بضروران ١٢٧٨هـ، ونشأ بمدينة ضروران، وقرأ على كبار مشايخ اليمن، منهم القاضي يحيى بن علي الإرياني والقاضي علي بن محسن الغشم والسيد علي بن يحيى بن المتوكل، وكان عالماً حافظاً ورعاً تقياً زاهداً واسع الإطلاع كثير المحفوظات، هاجر إلى الإمام المنصور محمد بن يحيى فقابلته بالإكرام، وكان من أعيان أصحابه وأصحاب ولده الإمام يحيى، وفي عام ١٣٦٤هـ مرض بمدينة ذمار، وتوفاه الله بها في رمضان من نفس العام. راجع ترجمته في «نزهة النظر» (٣٩٥ - ٣٩٦).

﴿٣٦﴾ أجز تعليم القرآن!

يحكي القاضي محمد - حفظه الله - :

بعد أن توفي الإمام صلاح الدين الذي حكم اليمن في الفترة (٧٧٣-٧٩٣هـ) ، أعلن الإمام المهدي نفسه إماماً على اليمن ، وأعلن الإمام علي بن صلاح الدين نفسه إماماً على اليمن ، وبايع هذا أناس ، وبايع الآخر آخرون ، وقامت معركة بين الفريقين انتهت بهزيمة الإمام المهدي ، وحبس في السجن لمدة سبع سنين ، ألف فيها كتاب « الأزهار » ، وعليه اعتماد المتأخرين من الهادوية في الفقه ، وشرحه بكتاب « الغيث المدرار » ، وألف كتاب « البحر الزخار » كل هذا وهو محبوس ، وفي هذه الفترة علّم ولد السجّان القرآن ، وقال له السجّان : أجرك عندي أن أطلقك من الحبس ، فلما أتمّ الولد القرآن ، فتح السجّان باب السجن للمهدي ليهرب ، وهرب معه السجّان وولده .

﴿٣٧﴾ خير الأسماء ما عطط!

يحكي القاضي محمد - حفظه الله - :

أنّه كان بمدينة صنعاء فقيه يُعلم الأولاد الصغار القرآن ، وكان في الأولاد أخوان ، أحدهما يدعى محمّداً ، والآخر يدعى أحمد ، وكان أبوهما غنياً ، وكان معهما ولدٌ ثالث يدعى عطية ، وكان والده فقيراً ، وفي يوم من الأيام أعطى الأخوان محمّداً وأحمد لهذا المعلم فلوساً ، فمدحهما وأثنى عليهما ، وقال : نعم ، صدق رسول الله ﷺ : « خير الأسماء ما عبّد وحُمّد » ^(١) ، فقال الولد عطية : وما عطط يا مولانا ! .

(١) وقال ابن الديبع في « تمييز الطيب من الخبيث » (١٦) : « .. وأما ما يذكر على الألسنة من قولهم : خير الأسماء ما حمد وما عبّد ، فقال شيخنا - أي الحافظ السخاوي - : ما علمته » وراجع « كشف الخفاء » (٣٩٠/١) رقم (١٢٤٥) .

(٣٨) فقه امرأة (١)

يحكي القاضي محمد - حفظه الله - فيقول (٢) :

كان الفقيه حسن النحوي (٣) من كبار علماء الهادوية في القرن الثامن ، وهو مؤلف كتاب « التذكرة » (٤) الذي استفاد منه الإمام المهدي في تأليفه لكتاب « الأزهار » معتمد المتأخرين من الهادوية ، وكانت لهذا الفقيه ابنة ذكية درست الفقه الهادي ، وما درست فيه أن المطلقة تعتد بثلاث حيض ، وحتى تغسل جميع بدننها ، أو تيممه للعذر ، أو يمضي عليها وقت الصلاة الاضطراري تأخيراً من عدتها بالحيض ، فمهما لم يحصل للمعتدة أحد هذه الأمور الثلاثة ، فالنكاح في حكم الباقي فترث مطلقها ویرثها .

(١) هذه المرأة تذكرني بالشريفة فاطمة بنت الإمام المهدي أحمد بن يحيى التي ترجمها الشوكاني في « البدر الطالع » (٢٦٦/٢) فقال : « .. هي مشهورة بالعلم ولها مع والدها مراجعات في مسائل كمسألة الخضاب بالعصفر ، فإنه قال : إن فاطمة ترجع إلى نفسها في استنباط الأحكام ، وهذه المقالة تدل على أنها كانت مبرزة في العلم ، فإن الإمام لا يقول مثل هذه المقالة إلا لمن هو حقيق بها ، وكان زوجها الإمام المطهر يرجع إليها فيما يشكل عليه من مسائل وإذا ضايقه التلامذة في بحث دخل إليها ، فتفيدة الصواب ، فيخرج بذلك إليهم ، فيقولون : ليس هذا منك ، هو من خلف الحجاب ، وماتت قبل والدها - رحمه الله - ، وقد تقدم تاريخ موته ، أنه سنة ٨٤٠ هـ . »

(٢) راجع « الشعاع الفاضل » للعلامة على الدب (حاشية ص ٤٢) .

(٣) العلامة الحسن بن محمد بن سابق الدين المعروف بالنحوي الصنعاني الزيدي ، عالم الزيدية في زمانه وشيخ شيوخهم كان يحضر حلقة تدريسه زهاء ثمانين عالماً ، وله تحقيق وإتقان لاسيما لعلم الفقه يفوق الوصف ، وكان زاهداً ورعاً متقشفاً متواضعاً ، وكان يأكل من عمل يده ، وله من المؤلفات : « التذكرة الفاخرة » ، وتعليق على « اللمع » ، واختصر « الانتصار » للإمام يحيى بن حمزة ، وله تفسير . تولّى قضاء صنعاء وانتفع به الناس واستمر على حاله الجميلة حتى مات سنة ٧٩١ هـ . راجع « البدر الطالع » (٢١٠/١) .

(٤) يقول الشوكاني في « البدر الطالع » (٢١٠/١) : « .. وله (أي الفقيه حسن النحوي) مصنفات منها في الفقه كتاب « التذكرة الفاخرة » أودعه من المسائل ما لا يحيط به الحصر مع إيجاز وحسن تعبير ، وهو كان مدرس الزيدية وعمدتهم حتى اختصره الإمام المهدي أحمد بن يحيى وجرّد منه « الأزهار » فمال الطلبة من حينئذ إلى هذا المختصر »

فكانت ابنة الفقيه حسن النحويّ قد طلقها زوجها طلاقاً رجعيّاً ، فذهبت إلى إحدى حمّامات صنعاء ^(١) ؛ لتغتسل بعد الحيضة الثالثة ، وقبل أن تشرع في الاغتسال ، جاءت امرأة تنعي إليها طليقها ، فأشهدت على ذلك النساء الموجودات في الحمّام وأنها لم تُكْمَلْ غسلها ، وعلى هذا لم تنته عدتها ، فلما خرجت ورثتها الحاكم من زوجها لكونها مازالت في عدته الرجعية على المذهب الهادي ! .

(٣٩) شهادة الفاسق مقبولة !

من المعلوم عند كلّ طالب علم اشتراط العدالة في الشهادة ، ولكن بعض العلماء اجتهدوا ، فقالوا بالعمل بشهادة الفاسق على الفاسق في موضع لا يحضره إلاّ الفسّاق كالخمّارات ، والأماكن المشبوهة من باب المصالح المرسلة أو الاستحسان حتّى لا تهدر الدّماء في المواضع التي لا يحضرها العدول .

ومما يحكيه القاضي محمّد - حفظه الله - في هذا الشأن ، يقول :

كان هناك بقعة خارج باب اليمن عندما يسمى بـ « عرضي الطبشي » يجتمع فيها الفسّاق ، فيعاقرون الخمر ، ويتعاطون الحشيش ، وغير ذلك من المنكرات ، وفي يوم وقعت بين هؤلاء الفسّاق منازعة أدّت إلى أن قتل أحدهما صاحبه ، فرفعت إلى المحكمة ، فحكمت بالقصاص ، بشهادة الشهود الموجودين ، فظعن محامي القاتل في الشهود بأنهم فسّاق ، فأجابت المحكمة

(١) راجع الكلام على الحمّامات في اليمن عموماً ، وفي صنعاء خصوصاً في « الموسوعة اليمنية » (١/٤١٥-٤٢٠) .

بأن هذا الموضع لا يحضره إلا الفسّاق ، فإذا لم تأخذ المحكمة بشهادة هؤلاء أهدرت الدماء ، وأقرت محكمة الاستئناف والمحكمة العليا هذا الحكم ، ووصل الحكم عند القاضي محمد في مكتب المظالم برئاسة الجمهورية ، فوافق عليه وعرض على رئيس الجمهورية ، فوقع ، ونفذ القصاص في القاتل .

وهذه القصة وقعت منذ عشرين أو خمس وعشرين سنة على قول القاضي محمد - حفظه الله - .

● قلت : ومما يناسب ذلك ما ذكره صاحب « المستطرف » (٣١٩/٢) ، قال : « وتقدّم اثنان إلى أبي صمصامة القاضي ، فادّعى أحدهما على الآخر طنبوراً ، فأنكر ، فقال للمدّعي : ألك بيّنة ؟ فقال : لي شاهدان ، فأحضر رجلين شهدا له ، فقال المدّعي عليه : سلهما يا سيدي عن صناعتهما ، فأخبر أحدهما أنه نباذ (أي يبيع الخمر) ، وقال الآخر : إنه قوّاد ، فالتفت القاضي إلى المدعي عليه ، وقال : أتريد على طنبور أعدل من هذين ، ادفع إليه طنبوره » .



(٤٠) البوارد التسع !

يحكي القاضي العمراني فيقول :

سأل سيف الإسلام ^(١) عبد الله بن الإمام يحيى العلامة الحسين بن علي عبد القادر عامل صنعاء ^(٢) سابقاً عن التسع البوارد التي تسند إليها في المجالس كل قصة أو حكاية باردة ، فيقال : هذه من التسع البوارد ^(٣) ، فنظمها بقوله :

أَضْحَى مَلَاذَا ^(٤) لِلْأَوَابِدِ ^(٥)	مَنْبِي السَّلَامِ عَلَى الَّذِي
مَا أزدَانُ جَيْدٌ بِالْقَلَائِدِ ^(٦)	يَغْشَاهُ طُولَ زَمَانٍ
قَدْ عَنَعْنَتَهَا أُمُّ قَالِدٍ ^(٨)	وَأَفَى السُّؤَالِ ^(٧) عَنِ الَّتِي
جَاءَتْ عَنِ الْحَبْرِ ابْنِ زَايِدٍ ^(٩)	بِرَأْوِيَةٍ مَوْصُولَةٍ

(١) سيف الإسلام: لقب يُطلق على أولاد الإمام قبل الثورة، راجع « الطريق إلى الحرية » (٢٦ حاشية).

(٢) عامل صنعاء : أي بمثابة محافظ صنعاء الآن .

(٣) أي أن من حكى خرافة أو شيئاً بارداً لا يصدق ، قيل له : هذه من التسع البوارد ، فمن هنا نشأ سؤال : ما التسع البوارد هذه ؟ فنظمها عامل صنعاء المذكور .

(٤) ملجأ .

(٥) الأوابد : جمع أبدة ، وهي الشاردة النافرة .

(٦) ما ازدان جيد بالقلائد : أي ما تحلى عنق بالعقود والآلئ .

(٧) وصل السؤال .

(٨) أم قالد : هي كنية أم الجنية أو الجنية الكبيرة عند أهل صنعاء .

(٩) علي بن زايد : شخصية يمنية شبه أسطورية ، اختلف في شأنها ، نسبت إليها أقوال وأمثال بعضها موافق للشريعة وبعضها مخالف . راجع في شأن هذه الشخصية الغريبة كتاب « أقوال علي بن زايد ، دراسة ونصوص » وكتاب « أحكام علي بن زايد » جمعها ونسقها المستشرق أناتولي أغارشيف ، ومن لطيف ما يحكي عن علي بن زايد : قيل إنه خرج من بيته يبحث عن حبوب لطعام العشاء ، ولما رجع خائباً اختبأ في زاوية يتسمع منها أقاويل زوجاته الثلاث ، فقالت الأولى : ما حصل علي قرض ، فذهب يسرق ، وقالت الثانية : إن تأخر بسبب اجتماع القرية لأداء القسم على الوفاء بالنار ، وقالت الثالثة : إحداهن أخبرتها بأنها رأت زوجها يتحدث مع فلانة ، ولعلها قد وعدته ، فهو لديها ، وفي اليوم الثاني كان يغني على محراثه هكذا :

- وَالنَّاسُ قَدْ ضَمُّوا إِلَيَّ
فَالْيَكْمُ يَا سَيِّدِي
الْقَوْلُ عِنْدَ عَثُورِهِمْ
وَكَذَا إِذَا اكْتَحَلَ امْرُؤُ
وَإِذَا عَوَى كَلْبُ الدُّجَى
وَضَعِ الْيَسِيرَ مِنَ الْحَصِيرِ
وَالنَّفْسُ بِيَدِي إِذَا بَدَأَ
وَإِذَا اشْتَكَى عُنُقَ امْرِئٍ
- مَا جَاءَ فِي نَظْمِي زَوَائِدُ
تَعْدَادُهَا فِي نَظْمٍ بَارِدُ
لَقَطُ مِنَ الْمَلْحِ الشُّوَارِدُ
كَهَيِّ لِمَسْحِ الْعَيْنِ قَاصِدُ
شَرَحُوا مَلَاقِطَ الْمَوَاقِدِ
لَعَيْنٍ مِنْ رَفَتِ عَوَائِدِ
مَسَحُوهُ بِكُوفِيَّةِ ابْنِ دَاوُدَ
وَضَعُوا الْحِذَاءَ عَلَى الْمَرَاقِدِ

فِي قَلْبِ الزُّرْعِ الْأَخْضَلِ
زَانِي وَسَارِقُ وَخِلَافِ

يَقُولُ عَلِيٌّ بْنُ زَايِدٍ
أُمْسِيَتْ مِنْ فَقْرٍ لَيْلِهِ

« رجعة الحكيم بن زايد » للبردوني (٢٦) .

- (١) أي أن بعض الناس لهم زيادات على هذا النظم .
(٢) أي خذوا تعداد التسع البوارد في شعر بارد يليق بها .
(٣) أي يقولون عندما يعثر الطفل أي يسقط ، لقط الملح ، فيلقط من الأرض بعض الحجارة .
(٤) إذا اكتحل إنسان تنفس في يديه ، ومسح بهما عينيه .
(٥) وإذا سمعوا عواء الكلب في الليل أخذوا الملقاط الذي يحركون به الفحم في النار وثبتوه مفتوحاً .
(٦) وإذا رفث عين إنسان ، أي تحركت حركة لا إرادية ، أخذ شيئاً من الحصى وحرقه ، ووضعوه على عينه .
(٧) والنفدي هو الدملي يظهر في جفن العين ، فيعتقدون بأنه إذا مسح عليه بكوفية أو شال يهودي فإنه يذهب ويشفى الإنسان ، والمراد بابن داود عليه السلام هو اليهودي ، وقد حكى لي القاضي محمد حفظه الله - بمناسبة هذه الخرافة : أن رجلاً يمينياً كانت له قضية في محكمة ، فظلمه القاضي والكتاب والحاجب ، فخرج من المحكمة وهو في غاية من الغضب والانزعاج ، فوجد رجلاً فيه دمل في جفنه (النفدي بعامة صنعاء يطارد يهودياً ليمسح بكوفيته هذا النفدي ، فقال له المظلوم : دع اليهودي ، وادخل المحكمة وامسح النفدي بكوفية الطارف ، أي بكوفية القاضي أو الكاتب أو الحاجب .. إشارة إلى أنهم يهود في تعاملهم .
(٨) إذا اشتكى إنسان ألماً في عنقه ، وضع الحذاء تحت الوسادة التي ينام عليها . راجع « اللهجة اليمانية » لزيد عنان (٢٠٣) .

(١) مَنْ بَعْدَ حَكِّ الْعَيْنِ فَاسِدٌ
 (٢) كَفِّ إِلَى كَفِّ مُبَاعِدٍ
 (٣) أَيْضًا مِنَ التَّسْعِ الْبَوَارِدِ
 لِلأُولَى وَلَهَا عَقَايِدِ
 وَالْفَكْرُ بَعْدَ النَّهْبِ (٥) جَامِدِ
 مَا خَرَّ لِلرَّحْمَنِ سَاجِدِ

مَنْ لَمْ يَقْبَلْ كَفُّهُ
 وَالْقَبْضُ لِلْمُقْرَاضِ مِنْ
 وَالْكَنْسُ بَعْدَ مُسَافِرِ
 هَذِهِ هِيَ الرُّعَمَاتُ (٤) كَانَتْ
 سَجَّلَتْهَا بِتَكْلُفِ
 وَأَسْلَمَ وَدُمَ فِي نَعْمَةٍ



- (١) إذا حَكَّ الإنسان عينه ، ينبغي عليه أن يقبلها بعد الحَكِّ .
- (٢) إذا أراد إنسان أن يتناول إنساناً آخر المقرض أي المقص ، فيجب أن يتناول إِيَّاه في يده ، ولا يقذفه في الهواء .
- (٣) إذا سافر إنسان ، فإنهم يتشاءمون بذلك ويمنعونه .
- (٤) أي هذه هي الاعتقادات والمزاعم الفاسدة التي تناقلها الآخرون من الأولين .
- قُلْتُ :** ولقد انتهت معظم هذه السِّخَافَات من اعتقادات معظم اليمنيين ، ولكن للأسف تذهب خرافات وتأتي خرافات أخرى ، فلا يخلو بلد من بلاد المسلمين في هذه العصور من هذه الاعتقادات الباردة الفاسدة على الرغم من التقدم العلمي ، وكثرة الحاصلين على الماجستير والدكتوراه ، والسبب الأساسي الجهل بالعقيدة الإسلامية الصحيحة !!! .
- (٥) أي بعد نهب صنعاء من القبائل التي حاصرتها بعد فشل ثورة الدستور (١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م) .

﴿٤١﴾ حسن التعليل^(١) وهرعة البديهة

حكي القاضي محمد - حفظه الله - :

كان القاضي أحمد بن ناصر بن عبد الحق المخلافي اليمني^(٢) من العلماء الأدباء الشعراء ، فاتفق أنه خرج من الحمام^(٣) ، فلقبه بعض أصدقائه ، وسأله عن سبب دخوله الحمام - والظاهر أن الناس كانوا في مجاعة وأزمة ، فكأنه استغرب تنعمه مع سوء حال الناس - فأنشده قول الشاعر^(٤) :

وَلَمْ أَدْخُلِ الْحَمَّامَ مِنْ أَجْلِ لَذَّةٍ وَكَيْفَ وَنَارُ الشُّوقِ بَيْنَ جَوَانِحِي
وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكْفِنِي فَيْضُ أَدْمَعِي دَخَلْتُ لِأُبْكِي مِنْ جَمِيعِ جَوَارِحِي

وكان قد استعمل الحناء وأثره على يده^(٥) ، فقال له : فما هذا ؟ يشير إلى الحناء ، فقال مرتجلاً :

وَلَيْسَ خِضَابًا مَا يَكْفِي وَإِنَّمَا مَسَحْتُ بِهِ أَثَرَ الدُّمُوعِ السَّوَاحِ

(١) حسن التعليل ، باب من أبواب البديع ، وهو : أن ينكر الأديب صراحة أو ضمناً علة الشيء المعروفة ، ويأتي بعلة أخرى أدبية طريفة ، لها اعتبار لطيف ، ومشملة على دقة النظر ، بحيث تناسب الغرض الذي يرمي إليه . راجع « جواهر البلاغة » للهاشمي (٣٧١) .

(٢) مولده سنة ١٠٥٥ هـ في صنعاء ، وطلب العلم صغيراً ، وكان واسع الاطلاع كثير النقل ، وله رسائل ومسائل مفيدة ، وشرع في شرح « مجموع الإمام زيد » وكان فيه تعصب ، وقيل : كان جارودياً رافضياً ثم رجع إلى القول بالتوقف عن السب ، وله أشعار ، تولّى القضاء والوزارة وامتحن بالحبس حتى توفي بعد سنة ١١١٦ هـ ، و« المخلافي » بكسر الميم ، نسبة إلى مخالف الحجة . راجع ترجمته في « ملحق البدر الطالع » لزيارة (٤٦-٤٧ ، رقم ٨٢) ، و« نشر العرف » لزيارة أيضاً (٢٩٥/١ - ٣٣٠ ، رقم ٩٢) .

(٣) راجع هذه الحكاية والأبيات في « حقائق المنام في الكلام على ما يتعلق بالحمام » للكوكباني (١٥٤) والمصدرين السابقين .

(٤) يقال : بأن هذه الأبيات لصدر الدين بن الوكيل سعيد بن محمد المنوفي المصري المكي الذي استوطن اليمن مدة ، وتوفي سنة ١١٣٠ هـ .

(٥) هل يجوز للذكر أن يخضب يديه ورجليه بالحناء ، أم لا يجوز ؟ فيه تفصيل وخلاف . راجعه في « حقائق المنام » (١٤٩-١٥٠) .

• **قلتُ** : ثُمَّ صَدَّرَ المخلافي البيتين المذكورين وعجزهما ونقلهما إلى

الوعظ ، فقال ^(١) :

وَكَيْفَ التَّذَاذِي بِالْيَنَارِ اللّوَاخِ
وَكَيْفَ وَنَارُ الشَّقْوَ بَيْنَ جَوَانِحِي
عَلَى مَاضِيَاتٍ مِنْ ذُنُوبٍ فَوَاضِحِ
دَخَلْتُ لِأَبْكِي مِنْ جَمِيعِ جَوَارِحِي
مَسَحَتْ بِهِ أَثَرُ الدُّمُوعِ السَّوَاخِ
وَلَمْ أَدْخُلِ الْحَمَامَ مِنْ أَجْلِ لَذَّةٍ
وَلَا جِئْتُهُ أَبْغِي اصْطِلَاءَ بِنَارِهِ
وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكْفِنِي فَيْضُ أَدْمَعِي
وَلَمَّا رَأَيْتُ الْعَيْنَ لَمْ يَكْفِ وَبِلَهَا
وَلَيْسَ خِضَابًا مَا بِكَفِّي وَإِنَّمَا

﴿٤٢﴾ بَآرَة، وَبَغْرَة، وَبَقْرَة!!

يحكي القاضي محمد - حفظه الله - :

في أيام الحرب بين الجمهورية والملكية في اليمن في الفترة (١٩٦٢-١٩٦٧م) ، وكان الجيش المصري قد جاء لمساعدة الجمهورية ، فكان الجندي المصري ربّما يتخفى في صورة يمّنيّ إذا وقع في منطقة للقباثل التي مع الملكية، فكان بعض رجال القباثل يختبرون من يجدونه ليعرفوا حقيقته فيقولون له : قل : « بقرة » ، فإذا نطق بها عرفوه ؛ لأنّه إذا قال : « بآرة » فهو مصري، وإذا قال « بغرة » فهو من المناطق الوسطى تعز وما حولها ، وإذا قال : « بقرة » بالجيم القاهرية فهو صنعاني ! .

• **قلتُ** : وأنا سمعت من أحد الإخوة السوريين بأنّه في أثناء الحرب اللبنانية ، كان حزب الكتائب يميزون بين السوريّ والفلسطيني ، بأن يقولوا له : قل : بندورة (أي طماطم) ، فإذا فتح النون فهو سوري ، وإن سكّن النون فهو فلسطيني ، وربّما يرتّبون على ذلك تركه أو قتله .

(٤٣) لنا بقية يومنا يا يهودي!

اشتهر في كتب الهادوية أنّ يهودياً جاءَ يتقاضى ديناً من النبي ﷺ ، ولم يكن اليوم الذي فيه موعد سداد الدين قد انتهى ، فقال النبي ﷺ : « لنا بقية يومنا يا يهودي » ^(١) ، أي أننا وعدناك أن نسد دينك في هذا اليوم ، ولكن اليوم لم ينته ، فأماننا مهلة إلى بقية اليوم .

ويحكي القاضي بمناسبة هذه الرواية لطيفتين :

• **الأولى :** أنّ العلامة القاضي زيد علي الديلمي ^(٢) كان عنده أوراق مقاضاة لبيت ملقاط ، فاشتكوه إلى الإمام يحيى حميد الدين ، فحدد الإمام له يوم الخميس ليخرج لهم هذه الأوراق ، ولما جاء يوم الخميس ، جاء أصحاب الأوراق من بيت ملقاط على الموعد ، فأراد الإمام أن يرسلهم إلى القاضي زيد الديلمي ، فقالوا : يا مولانا القاضي زيد لا يداوم في هذا اليوم ، ويذهب إلى الحمام ليتحمم ، فقال الإمام : ولو .. اذهبوا إليه ، وكتب إليه ورقة : تفضلوا

(١) هذا الحديث موجود في «أمالي أحمد بن عيسى» ولكنه غير موجود في كتب السنة فهو غير صحيح .

(٢) مولده بدمار في ليلة النصف من شعبان سنة ١٢٨٤ هـ ، واشتغل بطلب العلم ، فأخذ عن علماء دمار ومدينة جبله ، وهو من المحققين للفنون نحواً وصرفاً وفقهاً ومال إلى السنة وترجيح الدليل وهو حسن الأخلاق كثير المحفوظات ، حبسه الترك سنة ١٣٢٩ هـ ، وفي سنة ثلاثين تعين حاكماً بصنعاء فسلك أحسن المسالك ، وكان الإمام يحيى حميد الدين يشد أزره ونصبه الإمام يحيى سنة ١٣٥٠ هـ رئيساً للمحكمة الاستئنافية بصنعاء ، ومن أمثال أهل صنعاء : « قفر الحيد ، ولا حصمة السيد زيد » والحيد : الهاوية ، وحصمة : كلمة يقولها أحد الخصمين للآخر طالباً منه المثول أمام الحاكم ، فإذا لم يتبعه على الفور فإن الحاكم يرسل له جندياً بعد أن يتأكد أن الشاكي قد قال للمشكوبه : « حصمة الحاكم » ، والسيد زيد : هو زيد بن علي الديلمي المذكور في هذه الترجمة ، وكان مشهوراً بالصرامة وقوة المنطق والحجة ، تولّى القضاء في صنعاء بعد الائتلاف بين الإمام يحيى حميد الدين ، وبين المشير عزت باشا الوالي العثماني سنة ١٣٢٩ هـ المعروف بصلح دعان ، والمعنى : أن الوثوب من حرف الجبل أهون من المثول أمام السيد زيد ، لما كان له من مهابة عند الناس ، وكانت وفاته بصنعاء في ذي الحجة سنة ١٣٦٦ هـ - رحمه الله - . راجع ترجمته في « نزهة النظر » (٣٠٤-٣٠٥) و« تحفة الأخوان » (٧٥-٧٦) ، و« الأمثال اليمنية » (٨١٦/٢-٨١٧).

بإخراج أوراق بيت ملقاط ، فذهب إليه العسكري بالورقة ، وهو خارج من الحمام ، فكتب على ظهرها: لنا بقيّة يومنا .. يا مولانا. فلما وصلت إلى الإمام فهم ما فيها من تلميح وغضب وأخذ يقول: حمار .. حمار .. من أهل ذمار .

● **الثانية :** كان الشيخ علي فضة ^(١) يدرس بالمدرسة العلمية ، وكان من عادته مع الطلبة أن يذكر بعضاً من الحديث والطلبة يرددون بصوت عالٍ بقيّة الحديث ، فمثلاً يقول : إنّما الأعمال بإيش ؟ فيقولون بصوت واحد مرتفع : بالنيّات .

فجاء عند هذا الحديث وقال : لنا بقيّة يومنا ، يا إيش ؟ ، فقال الطلبة بصوتٍ عالٍ غير معتاد : يا يهودي ، ففهم أنّها مقصودة فغضب ! .

﴿٤٤﴾ عقلاء المجانين ^(٢) !!

يحكي القاضي العمراني ، فيقول :

دخل أناسٌ عند ملك ، ودخل معهم مجنون معه جرة ، فقال :

ولما رأيتُ القومَ شدّوا رحالَهُم إلى بحركِ الطّامي أتيتُ بجرتي

فأمَرَ الملكُ بأن تُملأَ جرتُه ذهباً ، فخرج بها المجنون فتصدّق بها ، فلما سأله الملك عن هذا ، أنشد قائلاً :

(١) الفقيه علي بن محمد فضة : مولده بهجرة (دار عمرو) من وادي الفروات في سنجان في سنة ١٣٠١ هـ ، وهاجر إلى مدينة صنعاء وأخذ عن كبار علمائها ورحل إلى مدينة حوث وأخذ عن علمائها وعاد إلى صنعاء واستفاد في العلوم كلها وعكف على التدريس بمسجد التقوى ، ودرس بالمدرسة العلمية لما افتتحت . ترجمته في « نزهة النظر » (٤٥٨ - ٤٥٩) ، و« تحفة الأخوان » (١٠٢) .

(٢) هناك من اشتهر بين الناس أنّه مجنون ، يأتي بأقوال حكيمة عجيبة ، فيقال لهم : « عقلاء المجانين » وقدima كنت طالعت كتاباً بهذا الاسم « عقلاء المجانين » جمع فيه نوادرهم ، ولكن ذهب عني الآن اسم مؤلفه .

يَجُودُ عَلَيْنَا الْخَيْرُونَ بِمَالِهِمْ وَنَحْنُ بِمَالِ الْخَيْرِينَ نَجُودُ
فَقَالَ الْمَلِكُ : املأوا له جرته عشر مرات ذهباً ، فأخذها وخرج !! .

(٤٥) أهلاً وجبلاً !

حكى القاضي مُحَمَّد - حفظه الله - :

أَرَادَ الْعَلَامَةُ الْمَوْسُوعِيُّ شَيْخَ الْعَرُوبَةِ أَحْمَدَ زَكِي بَاشَا ^(١) أَنْ يَزُورَ الْيَمَنَ فِي
عَهْدِ الْإِمَامِ يَحْيَى حَمِيدِ الدِّينِ ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى الْحَدِيدَةِ أَحْضَرُوهُ إِلَى صَنْعَاءَ
عَلَى بَغْلَةٍ ، وَخَافُوا أَنْ يَحْمِلُوهُ عَلَى السَّيَّارَةِ ؛ خَوْفًا مِنْ حَوَادِثِ الطَّرِيقِ ، وَهُوَ
فِي الطَّرِيقِ بَيْنَ الْحَدِيدَةِ وَصَنْعَاءَ ، كَانَ لَا يَرَى حَوْلَهُ إِلَّا الْجِبَالَ الشَّامِخَةَ
الْمُرْتَفِعَةَ الَّتِي لَمْ يَرِ مِثْلَهَا ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى الْإِمَامِ يَحْيَى ، قَالَ لَهُ : أَهْلًا وَسَهْلًا ،
فَقَالَ شَيْخُ الْعَرُوبَةِ : قُلْ : أَهْلًا وَجِبْلًا .. أَيْنَ السَّهْلُ عِنْدَكُمْ ؟ !! .

● **قلت :** ومما يناسب ذكره هنا ما أوردته مجلة « مساء » عن أحد
المشاركين من صنعاء ، قال : أخبرني أحد الأخوة أنه كان مُسَافِرًا يَوْمًا مَعَ
أُسْرَتِهِ عَلَى طَرِيقِ جَبَلِيٍّ ، وَأَثْنَاءَ صُعُودِهِمْ كَانَ أَحَدُ أَطْفَالِهِ يَتَأَمَّلُ الْمُرْتَفَعَاتِ
الشَّاهِقَةِ الْمُحِيطَةَ بِالطَّرِيقِ ، فَسَأَلَ أَبَاهُ - وَقَدْ أَصَابَهُ الْمَلَلُ - : أَيُّهُ ، كَمْ بَقِيَ مِنَ
الْوَقْتِ حَتَّى نَصِلَ إِلَى السَّمَاءِ ؟ ! .

(١) أحمد زكي باشا : علامة مصري عالم باللغة والتاريخ والآثار ، يهوى جمع النواذر من مخطوطات أو
أثریات أو كتب ، سافر إلى كثير من البلدان وتعرف على كثير من الملوك والرؤساء والعلماء
والفضلاء ، أثار الدنيا بمقالات وأبحاث ، منها أن قبر الحسين عليه السلام ليس صحيحاً أنه موجود في
القاهرة ، وغير ذلك من أبحاثه القيِّمة الَّتِي تُشَبِّهُ الصَّوَاعِقَ فِي رَفْعِهَا عَلَى الْجَامِدِينَ ، أَلْفَتْ عَنْهُ
كُتُبًا مِنْهَا « أَحْمَدُ زَكِي بَاشَا شَيْخُ الْعَرُوبَةِ » لِأَنُورِ الْجَنْدِي . مُرَاجَعَةُ .

(٤٦) السنوہ.. لسنہ اللہ !

التابعي حجر بن قيس المدري ^(١) نسبة إلى مدر ^(٢) من قرى بلاد أرحب ^(٣) المشهورة ، أحد قبائل همدان ^(٤) ، وحجر بن قيس : صاحب عي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وله عنه روايات كثيرة وبه تفقه ويعرف بصحبته ، وكان من أجل الفقهاء ، وكان طاوس يراجع في المسائل التي تُشكل عليه ، يحكي القاضي محمد :

أنَّ ^(٥) علياً رضي الله عنه قال لحجر بن قيس يوماً : كيف بك يا حجر إذا أمرت بلعني ؟ قال : أو كائن ذلك يا أمير المؤمنين ؟! قال : نعم ، قال : فكيف أصنع ؟ قال العني ولا تتبرأ مني .

(١) قال ابن حجر في « تقريب التهذيب » (١٥٤) رقم (١١٤٥) : « حجر بن قيس الهمداني ، المدري ، الحجوري ، بفتح المهمله وضم الجيم ، ثقة من الثالثة . د س ق (أي روى له أبو داود والنسائي وابن ماجه) .

(٢) مدر : بفتحتين ، آخره راء ، أكثر ديار همدان قصوراً ، قال أبو علكم المراني من قصيدته المشهورة : وفي ريشام وفي النجدين من مدر على المنار وجف الشيد إيواناً

راجع « صفة جزيرة العرب » للهمداني (١٥٩-٢٢١) و« السمن الخضراء » للأكوع (٥٥ ، ٢٨٠) .
(٣) أرحب : ناحية مشهورة من نواحي محافظة صنعاء في الجهة الشمالية الشرقية ، وأرحب هي أيضاً قبيلة من همدان تنسب إلى أرحب بن الدعام ، وتنمى إلى بكيل ، وفي « معجم البلدان » لياقوت : « أرحب على وزن أفعل ، مخلاف باليمن تسمى بقبيلة كبيرة من همدان » . راجع المزيد في « الموسوعة اليمنية » (٩٣/١-٩٤) .

(٤) همدان : بفتح فسكون ، أكبر قبيلة يمنية وتحوي البطين حاشد وبكيل ، واليوم تقع أراضي القبائل الهمدانية (حاشد وبكيل) في المنطقة الممتدة شمال صنعاء حتى صعدة ، وما بين الجوف شرقاً وتهامة غرباً ، وهي منقسمة بخط طولي ما بين صنعاء وصعدة ، فشرقية لبكيل ، وغربية لحاشد ، ولكن التداخل قائم بين بلديهما ، وفي المنطقة الشمالية الغربية من صنعاء تقع أراضي همدان بن زايد ، وهو قيل ينتمي - كما يبدو - إلى الأقبال الهمدانيين الأوائل وتؤلف هذه المنطقة مديرية في محافظة صنعاء ... راجع « الموسوعة اليمنية » (٩٨٣/٢-٩٨٤) .

(٥) ذكر هذه القصة الحجري في « مساجد صنعاء » (٩) ، وقال : « قال ابن مخرمه : وذكر الحافظ أبو نعيم في رياضة المتعلمين مسنداً أن ... وساق القصة ، وقال : انتهى من كتاب النسبة لأبي مخرمه !! » ، فلا أدري أهو مخرمه أو أبو مخرمه ؟ والقصة موجودة في كتاب « الأذكياء » لابن الجوزي (١٥٨-١٥٩) ، وفي « أخبار الظراف » له (٩٦) : « عن عبد الرزاق عن أبيه أن حجراً المدري ... » .

فلماً كانت ولاية محمد بن يوسف الثقفي^(١) - أخي الحجاج بن يوسف^(٢) - على صنعاء ، وكان حجر بن قيس خطيباً ، فصعد المنبر في إحدى الجمع ثم خطب ، فلماً فرغ من الخطبة - والأمير محمد بن يوسف حاضر - أمره أن لا ينزل حتى يلعن علياً ، فذكر قول علي عليه السلام ، فرفع صوته ، وقال : إن الأمير محمد بن يوسف أمرني أن ألعن علياً ، فalcنوه عليه لعنة الله ، فتفرق الناس عن المسجد ، وما فهمها إلا رجل واحد .

● قلت : وجدت هذه الحكاية بنفسها في كتاب « الأذكياء » لابن الجوزي (١٥٨-١٥٩) ، ووجدت حكاية أخرى مقاربة لها (١٥٩) ولفظها : « قال : قام الخطباء إلى المغيرة بن شعبة بالكوفة ، فقام صعصة بن صوحان ، فتكلم ، فقال المغيرة : أرجئوه فأقيموا على المصطبة ، فليلعن علياً ، فقال : لعن الله من لعن الله ولعن علي بن أبي طالب ، فأخبروه بذلك ، فقال : أقسم بالله لتعيدنه . فخرج فقال : إن هذا يأبى إلا علي بن أبي طالب ، فalcنوه لعنه الله ، فقال المغيرة : أخرجوه ، أخرج الله نفسه .

وفي « أخبار الظراف » لابن الجوزي (٩٦) : « قال القرشي : وامتنحت الخوارج شيعياً ، فقال : أنا من علي ، ومن عثمان بريء » .

(١) محمد بن يوسف الثقفي ، أخو الحجاج ، توفي سنة ٩١ هـ ، استعمله الحجاج على صنعاء ، ثم ضم إليه الجند ، فلم يزل والياً عليهما إلى أن توفي ، والجند : أحد أقسام اليمن الثلاثة .

(٢) الحجاج بن يوسف بن أبي عقيل الثقفي ، الأمير الشهير ، الظالم المبير ولي إمرة العراق عشرين سنة ومات سنة ٩٥ هـ ، راجع « تقريب التهذيب » لابن حجر (١٥٣) رقم (١١٤١) ومن طريق ما يحكى عن الحجاج أنه قرأ في سورة هود : « يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح » [هود: ٤٦] فلم يدر كيف يقرأ : (عمل) بالضم أو بالفتح ، فقال لحرسه : اتنني بقارئ ، فأبى به ، وقد ارتفع الحجاج من مجلسه ، فحس القارئ ، واعترض الحجاج أهل الحبس ستة أشهر ، فلماً انتهى إليه ، قال له : فيم حبست ؟ قال : في ابن نوح ، أصلح الله الأمير ، فأمر بإطلاقه ! . راجع « العقد الفريد » (٣٦/٥) ، و« موسوعة العذاب » (١٧٩/٣) .

﴿٤٧﴾ الزلايا هي القاتل !

كان السلطان عامر بن عبد الوهاب آخر سلطان من سلاطين بني طاهر الذين تولوا على اليمن الأسفل بعد بني رسول ، وكانت عاصمتهم في الصَّيف مدينة رداع ، وعاصمتهم في الشَّاء مدينة زيد ، وكان المنجّم قد قال للسلطان عامر بن عبد الوهاب أنَّ الزلايا ستقتلك ، فَهَمَّ السلطانُ عامر أنَّ المراد الأكلة المعروفة بالزلايا ، فكان يتجنبها طوال عمره ، ولا يأكلها أبداً ؛ خوفاً من أن يكونَ موته بها ، كما ذكر له المنجّم الدَّجال .

وحدثت حروب بعد ذلك وسقطت دولة بني رسول ، فهرب السلطان عامر لينجوبنفسه ، فوصل إلى ناحية سنوان خارج صنعاء ، فلقيه رجل من أهل سنوان يُسمَّى الزلايا فقتله ، وهو لا يعلم أنَّه السلطان عامر بن عبد الوهاب ! .

﴿٤٨﴾ عصمت إينونو واليمن !

عندما دخل الأتراك اليمنَ ، كان من ضمن ولايتهم على اليمن أحمد عزَّت باشا في الفترة ، وكان سكرتيره (أو ياوره بالتركية) هو عصمت إينونو ، وفي أحد الأيام مرَّ أحمد عزَّت باشا والياور عصمت إينونو راكبين في السيَّارة في أحد شوارع صنعاء ، وكان أحد سكَّان صنعاء قد وضع بعض الملابس في الشَّمس فوق سطح البيت وثبَّتها بحجرٍ ، فهبَّت ريحٌ شديدة أثناء مرور أحمد عزَّت باشا وياوره ، فوقع الحجر على السيَّارة ، فحطَّم سقفها ، وحمل الوالي والياور إلى المستشفى ، وأخذ أهل صنعاء يدوكورن ويتحدَّثون ويتوقعون ، بعضهم قال : أنَّ الوالي مات ، وبعضهم يقول : لم يمُت ، فنجم رجل تركي

يُدعى رجب أفندي ، وقال : إنَّ الوالي لم يمُت ، قالوا : والياور ؟ فضرب الرمل ، فقال : سيكونُ سلطاناً ، فتعجَّب النَّاسُ من ذلك ، فأعاد ضرب الرمل ، فخرج - بزعمه - أنَّه سلطان .

تلك القصة وقعت في صنعاء سنة ١٣٢٩ هـ ، ومَرَّت سنوات طويلة سقطت فيها الخلافة العثمانية ، وتولَّى الحكم في تركيا الملحد أتاتورك ، وكان نائبه عصمت إينونو المذكور سابقاً ، ولما هلك أتاتورك تولَّى الحكم بعده عصمت إينونو ، وكان أحد أحفاد العمري يستمع لإحدى الإذاعات ، فسمعهم يذيعون خبر تولي عصمت رئاسة الجمهورية التركية ، وذكروا في ترجمته - في الإذاعة - أنَّه عمل في اليمن ، فاستغربَ وسألَ جده المولى حسين العمري ^(١) ، فقال : نعم ، وحكى له هذه القصة .

﴿٤٩﴾ الأسدُ في حُصْنِ العَلَّامةِ الشماحي!

يحكي القاضي محمد ، فيقول :

كان الإمام أحمد قبل أن يُصبح إماماً على اليمن ولياً للعهد ، وكان أميراً على حجة وبعض المناطق ، وكان أحمد مشغولاً مشغولاً بالإمارة والحكم وضبط الأمور ، والإمام يحيى والده في صنعاء مهتم بأن يدرس ولي العهد العلوم الشرعية ولا ينشغل بالإمارة ، فطلب من العلامة الشماحي أن يدرس ولي العهد ، فكان الشماحي يأتي كلَّ يوم إلى مقام ولي العهد فيدرسه ثم يعود ،

(١) أَلَّفَ القاضي عبد الله عبد الكريم الجرافي في ترجمته كتاباً كاملاً ، هو « تحفة الإخوان بحلية علامة الزمان حليف السنة والقرآن المولى شيخ الإسلام المعمر الحسين بن علي العمري رحمه الله المتوفي في غرة شوال سنة ١٣٦١ هـ » ، وقد طبع فراجع .

وكان عند أحمد أسدٌ وله سايس يسوسه ، وفي يوم من الأيام جاء الشماحيّ ودخل المقام وجلس ، وكان يرتدي لباساً وزياً يشبه ما يلبسه ولي العهد ، وجلس ينتظر وليّ العهد ، وأراد وليّ العهد أن يداعب العلامة الشماحيّ مُداعبة خشنة ، ففتح للأسد باب القفص وسمح له بالدخول على الشماحيّ ، ومن حُسْن الحظ أنّ الأسد ظنّ الشماحيّ وليّ العهد ، فجلس الأسد في حجر الشماحيّ على هذا الظن ، وارتعش الشماحيّ وتصيب عرقاً ، ولم يستطع حراكاً ولا نطقاً ، ورأى هذا المنظر السائس القائم على رعاية الأسد ، فحدّر وليّ العهد من الدخول حتّى لا يدرك الأسد أنّ الذي يجلس في حجره ليس وليّ العهد ، فيخشى إذا عرف الأسد ذلك أن يلتفت إلى الشماحيّ ، فيهبّره ، ثمّ دخل السائس ونادى الأسد ، وقال له : تعال ، يكفي دع مولانا الآن ، فقام الأسد بكلّ هدوء مُطيعاً لسائسه ودخل القفص ، وعندئذ انتفض العلامة الشماحيّ ، وقام من مكانه غاضباً أشدّ الغضب ، وصاح : أنا جئتُ أعلم ولد الإمام ، أم جئتُ أعلم سرسري (سرسري بلغة أهل صنعاء : الحقير التافه) ؟ من أراد أن يتعلم ، يأت عندي ، وأنا بعد الآن لن أحضر عند أحد ، وانطلق لا يلوي على شيء ، ووليّ العهد يبتسم !! .



(٥٠) قاسم العزي والسفير المصري

حكى القاضي محمد - حفظه الله - :

كان قاسم العزي وزير الأوقاف في عهد الإمام يحيى حميد الدين ، وكان قاسم العزي رجلاً مُتَشَدِّداً ، تعتقدُ القبائلُ في فضله ومكانته ، لكونه من أهل البيت وعالمًا هادويًا ، وفي يوم العيد كان الناس يخرجون إلى الجبانة (وكانت في موضع مسجد المشهد الآن) فخرج قاسم العزي وجلس في الجبانة ، وخرج السفير المصري في ذلك الوقت ، وجاء مجلسه بجانب قاسم العزي ، وكان بعض العوام يدخل فيصللي ركعتين ، فمال السفير المصري على أذن قاسم العزي ، وسأله عن هذه الصلاة ؟ وقال في المذهب الهادوي أن يُصلي الداخل إلى الجبانة أو المصلى ؟ فما كان من قاسم العزي إلا أن قال للسفير : ما لكم أنتم يا أهل مصر .. وأنتم لا تصلون . فسكت السفير المصري حتى إذا عاد إلى موضع سفارته أرسل برقية شديدة اللهجة إلى الإمام يحيى ، وفيها أن وزير أوقافه قاسم العزي تعدى على شعب مصر كلهم وأنهمهم أنهم لا يصلون . فغضب الإمام يحيى ، وقال : هذا قاسم العزي صاحب مشاكل ، وأرسل محمد راغب باشا وزير الخارجية - وكان من الأتراك الذين بقوا في اليمن ، وكان رجلاً ذكياً لبقاً متكلماً - فأرسله الإمام يحيى ليعتذر للسفير المصري حتى تنتهي هذه الأزمة .



﴿٥١﴾ ملك مصر

كان السلطان المُجاهد من سلاطين بني رسول الذين كانوا يتسلطون على اليمن الأسفل تعز وما حولها ، وقع له أن يُجَمَّ له المنجم بأنَّه سيدخل مصر ، وسيشرب فرسه من النيل ، وحوله العساكر من كل ناحية ، فوَقَر في قلبه بأنَّه سيملك مصر .

وحدث أن ذهب الملك المجاهد ليحجَّ ، وفي مكة وقعت معركة بين الملك المُجاهد ومن معه وبين الجنود المصريين الَّذِينَ جاءوا إلى الحرم المكي ، فأُسر المصريون الملك المجاهد ، وأخذوه معهم إلى مصر ، ولَمَّا وصل إلى القاهرة ، أراد أن يسقي فرسه ، فنزل فرسه إلى النيل ليشربَ وحول الملك المجاهد الجنود المصريون يحافظون عليه من الهرب ، فعندئذ دمعت عينا الملك المُجاهد ، وتذكر ما نُجِّم به المنجم ! .

﴿٥٢﴾ سيقع قتل ودماء

يحكي القاضي محمد :

أنَّه في حوالي سنة ١٣٥٠ هـ ، نُجِّم أحد أهالي صنعاء وهو حسين كوكبان بأنَّه سيقع في عيد الأضحى هذه السنة دماء ، وحذر النَّاس من الخروج إلى العيد ، فخرج مُعظم النَّاس غير مصدقين له ، وكان من عادة الإمام يحيى حميد الدين أن يخرج أثواراً تَذِبح مع خروجه لصلاة العيد ، فذُبِحت وسال دماؤها ، فكانت تلك هي الدماء ، ولم يقع فتنة ولا شيء ! .

﴿ ٥٣ ﴾ وأعطيناهم الحصان كمان..!

أو « لالي ولا لك ولا للبساط »

يحكي القاضي محمد فيقول : كان هناك امرأة صنعانية فيها تغفيل ، وقد توفي أبوها وأمها منذ فترة ، وفي يوم من الأيام كان زوجها في عمله ، وهي جالسة في البيت ، فدق عليها باب البيت رجل دجال ، ففتحت له ، فقال لها: أنت فلانة ، وأبوك فلان ، وأمك فلانة ؟ (بلغة أهل صنعاء ، وفيها إبدال كاف المؤنث شيناً ، وأبوش فلان ، وأمش فلانة) ، قالت : نعم ، فقال : أبوك وأمك اليوم يتعرسوا في الجنة (أي يعمل لهما عرس في الجنة) وهما يحتاجان إلى ملابس لزوم العرس ، والزفة ، فقالت : صدق ؟! لا بد أن أحضر لهما أحسن الملابس .. لكن من أنت ؟ قال الدجال : مزين البلي (١) ، فقالت : مرحباً .. أعطني خمس دقائق لأجمع لك خير الملابس ، ثم جمعت له صرتين كبيرتين واحدة فيها ملابس رجال لأبيها ، والأخرى ملابس نساء لأُمها ، فأخذهما الدجال وذهب مُسرِعاً ، وبعد قليل جاء زوجها من عمله مُتعباً ، فلما فتحت له الباب قالت : قول لي (أي : قل لي) جنة (جنة (٢) وهي عبارة صنعانية معناها ، هنأني) فقال : لماذا ؟ قالت : قول لي جنة ، قال : جنة ، قالت أبي وأمي هيتعرسوا (أي : سوف يتعرسون) في الجنة ، فقال : كيف ؟ فحكّت له الحكاية كلها ، فصاح بها وقال : أنت غبية بلهاء ، هياً جهزي لي الحصان حتى ألحق هذا الدجال بسرعة ، فجهزت له الحصان ،

(١) المزين : أي « الحلاق » ، والقاعدة في اليمن أنّ المزين أو الحلاق كالخادم يوم العرس ، فيسمى في تحصيل ما يحتاجه العروسان ، وأهل البلي : أي الموتى .

(٢) من أمثال نساء صنعاء « حنه لَش » قالت : بعده ، وجنه بمعنى هنيئاً ، ولش : لك ، وبعده : بعد أي جهد وأي انتظار ، يضرب لمن يظفر بحاجته بعد طول معاناة لها وصبر عليها . راجع « الأمثال اليمنية » للأكوع (٤٢١/١) .

فركب عليه وأغذ السير^(١) ، حتّى رأى من بُعد الدّجال وفي يديه الصرتان ، والتفت الدّجال فرآه ، فأدرك أنّه زوج المرأة التي خدعها ، وفكر بسرعة في كيفية الخروج من هذا المأزق ، وفي أثناء تفكيره رأى رجلاً أصلع يحترث في قطعة أرض بجوار جبل ، وبجواره كومة من القش الكبيرة ، فأقبل الدجال ناحية الرجل الأصلع ، وخبأ الصرتين في كومة القش ، ثمّ قال الدجال للرجل الأصلع : أترى الرجل القادم على الحصان هناك ، إنّهُ مرسل من قبل السلطان ليصنع من رؤوس الصّلع بطاطا (البطاط : عبارة عن إناء من الجلد ، يوضع فيه السليط أي الزيت) ، وكان الرجل الأصلع غيباً مغفلاً ، فصدّقه وقال له : وما العمل ؟ قال الرجل : أرى أن تحاول الهرب منه ، فتصعد على الجبل ، فلا يصل إليك ، فنفّذ الرجل الأصلع ما أشار عليه به الدّجال ، وعندما وصل زوج إلى الدجال سأله : ألم تر رجلاً يحمل في يده صرتين ؟ فقال الدجال : نعم ، هذا الذي صعد فوق الجبل ، فقال زوج المرأة : ولكنّي لا أستطيع أن أطارده فوق الجبل وأنا على الحصان ، فقال الدّجال : دع الحصان عندي أحفظه لك حتّى تصعد على الجبل وتمسك بالرجل ، فقال زوج المرأة : شكراً لك ، ولكن حافظ على الحصان ، فقال الدّجال : نعم ، نعم ، طبعاً .

ثمّ صعد زوج المرأة على الجبل ليطارد الأصلع ، فلمّا أبصره الأصلع يطارده ، تأكّد له أنّه يريد أن يصنع من صلعبته بطاطا ، فلمّا اقترب زوج المرأة من الأصلع ، كان يقول له وهو يطارده : خذ واحدة ودع واحدة (وهو يريد الصرتين) ، والرجل الأصلع يضرب على رأسه ويقول : والله ما معي إلا هذه (وهو يريد صلعبته) .

وفي النهاية أخذ الرجل الأصلع حجراً مديباً ، وتوقف عن الجري وأخذ يضرب رأسه بالحجر ليشجّها ، ويقول : لا لي ولا لك ولا للبطاط (١) ، فلماً رآه زوج المرأة يفعل هذا ، استفسر عن السبب ، فحكى له ، وعرف أنه ليس هو اللص الذي خدع زوجته ، وتبين له أن اللص هو الذي ترك عنده الحصان ، فنزل مسرعاً ، فرأى اللص على بُعد لا يمكن الوصول إليه ، وقدركب الفرس ، ووضع إحدى الصرتين في ناحية على الفرس والصرة الأخرى في الناحية الأخرى ، فعلم أنه قد ضاع منه الفرس كما ضاعت الصرتان ، وأنه خدع كما خدعت زوجته ، فعاد إلى بيته متعباً محسوراً مخزياً لا يدري ما يقول لامرأته ، وقد وبّخها وشتّمها على صرتين ، فماذا ستقول له ، وقد أضاع الحصان ؟! فلماً وصل وفتحت له ، قالت : ما فعلتم ؟ فقال بسرعة : وجدناه صدقاً ، وزفتهم يوم الخميس ، ولم يكن لديهم حصان ، فأعطيناهم الحصان كمان (٢) ليتمخيلوا عليه (أي ليختالوا عليه) ! .



(١) هذا مثل صنعاني ، يُقال في الشيء الذي لا تستفيد منه أنت ولا غيرك .

(٢) هذا المثل يقال فيمن غلب مرتين (أو بلغة أهل صنعاء : زادوا عليه مرتين) وأذكر أن القاضي محمداً - حفظه الله - أرسل أحد أولاده لتحصيل دين كان عند أحد الناس ، ولما وصل ابن القاضي إلى المدين استطاع هذا الأخير أن يقترض منه مبلغاً ثانياً بالإضافة إلى الأول ، فلماً عاد ابن القاضي إلى البيت سأله القاضي : ماذا فعلت ؟ ، فقال : أعطيناهم الحصان كمان ...! ، ففهم القاضي ما وقع .

﴿٥٤﴾ أنا كبسي

هذا مثلٌ يضربه القاضي ، بمعنى : « أنا ساكت لا أتكلم » ، وقصته :

أن العلامة حسين بن محمد الكبسي ^(١) كان مندوب اليمن في جامعة الدول العربية بمصر في بداية نشأتها سنة ١٩٤٥ م ، وكانت تعليمات الإمام يحيى حميد الدين ألا يتكلم في أمر حتى يبرق للإمام بما يتكلم به ^(٢) ، وكان يطلب منه عبد الرحمن عزّام أمين الجامعة أن يتكلم ، فيمتنع فاشتهر بين الأعضاء في الجامعة العربية ، وفي الصحف أن الكبسي ساكت لا يتكلم ، حتى أنّهم جعلوا كرسيه - في أحد الاجتماعات - بحيث يكون ظهره للمجتمعين ووجهه إلى الناحية الأخرى ، فتمنى الكبسي يومئذ أن تبليه الأرض من الحرج ، ومما يذكر أن أعضاء الجامعة العربية اجتمعوا في مدينة أنشاص ، وركبوا في مركب ، وكانت المغنية المعروفة أم كلثوم بينهم ، وكان صوتها به بحة ، فطلبوا منها أن تغني ، فقالت : أنا اليوم عاملة كبسي . أي ساكنة !! .

(١) السيد العلامة حسين بن محمد بن عبد الله الكبسي : عالم وسياسي وطني من هجرة الكبس بخولان ، ولد بقرية نبعان من بلاد خبان قضاء يريم ، ودرس على علماء ذمار ، ثم رحل إلى صنعاء لطلب العلم ، فأخذ عن كبار مشايخها ، فدرس في جامعها الكبير ، ثم في المدرسة العلمية ، فبات من كبار أسانذتها ، وتولى نظارة أوقافها ، وفي عام ١٣٥٦ هـ - ١٩٧٣ م اختاره الإمام يحيى لمرافقة ابنه سيف الإسلام الحسين في جولته الرسمية إلى أوروبا واليابان ثم زار الصين ، واستفاد كثيراً من رحلاته ، وحضر عام ١٣٦٤ هـ - ١٩٤٥ م توقيع ميثاق الجامعة العربية بالقاهرة ثم عين مندوباً بها ، وكان من أنصار التجديد ، وزعماء ثورة الدستور عام ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ م التي قتل فيها الإمام يحيى فشارك في وضع الدستور ، وعين وزيراً لخارجية حكومة الثورة وبفشلها أعدم بمعتقل حجة في ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ م . راجع ترجمته في « نزهة النظر » (٢٨٧) ، و« تحفة الأخوان » (٧١ - ٧٢) ، و« الموسوعة اليمنية » (٣٦٢ - ٣٦٣) .

(٢) في مذكرات العزي صالح السنيدار « الطريق إلى الحرية » (١١٨ - ١١٩) ، قال : « .. وما يجدر ذكره انضمام السيد حسين الكبسي إلى صف الأحرار بعد أن كان مغروراً بالإمام وأولاده وخاصة بالسيف (وذلك لسبب) ما جرى له مع الإمام عند عودته من اليابان، ثم ما حدث له إذ أرسله الإمام يحيى ممثلاً لليمن في الجامعة العربية بمصر ، إذ أبرق له الإمام يحيى بأن يكون مستمعاً فقط » .

﴿٥٥﴾ كلهن شوعات

كلمة شوعة باللغة الدارجة الصناعية بمعنى قبيح ..
ومما يحكي القاضي: أنَّ العلامة عبد الرزاق بن محسن الرقيحي^(١) كان
خطيب الجامع الكبير، فجاءه بدوي، فقال: يا مولانا أين أشوع بين المغرب
والعشاء أذكر الله أم أصلي على النبي ﷺ؟ فقال مجيباً: كلهن شوعات^(٢)!! .

﴿٥٦﴾ خلق الله كباسي

كان السادة بيت الكبسي^(٣) مشهورين بالحج عن الآخرين ، فإذا مات
إنسان ولم يحج وأوصى بحجة من تركته ، جاء أقارب الميت إلى واحد من بيت
الكبسي ، وأعطاه الفلوس التي تركها الميت وصية ليحج عنه ، وكثر هذا

(١) العلامة الفقيه ، مولده بصنعاء ١٢٦٦ هـ ، وهو ممن قام وقعد وجد واجتهد في طلب العلوم وتحقيق
حدودها المرسوم ، وتفنن في فنونها وحقق ودقق شروحها ومتونها ، وكان عالماً عاملاً ورعاً ناسكاً
واعظاً حافظاً لا يترك التهجد الثالث الأخير ، وقد أخذ عليه أكابر علماء عصره وأسمع عليه تجويد
القرآن الجمل الفقير من الناس بجامع صنعاء ، وكان مهتماً بتقيد الشوارد النافعة والطرائف واللطائف
الأدبية ، توفي - رحمه الله - سنة ١٣٢٣ هـ .

راجع ترجمته في « نزهة النظر » (٣٥٥ - ٣٥٧) والموسوعة اليمنية ، (٦٣٢/٢ - ٦٣٣) .
(٢) هذا من باب مخاطبة العامي بما يفهمه ، والبدوي هنا أراد : أيها أكثر تأثيراً أو أحرأ ؟ ، فأجابه :
بأنها كلها مؤثرة نافعة .

(٣) قال العلامة المؤرخ محمد زبارة في « نيل الحسنيين بأنساب من باليمن من بيوت عترة الحسينين »
(١٧٣ - ١٧٦) : « بيت الكبسي : نسبة إلى هجرة الكبس المتوسطة بين بلاد اليمانية السفلى
واليمانية العليا من خولان العالية على مسافة يوم كامل جنوباً إلى الشرق من صنعاء ، والجامع
نسب جميع السادة الكباسية هو : السيد علي بن معتك بن الهيجان بن القاسم بن يحيى بن الإمام
الشهيد حمزة بن أبي هاشم الحسن بن عبد الرحمن الحسني الحمزي السابق ذكره ، وفي سادة
الكبس البيوت المعروفة بيت القاضي بيت عبد الرحمن وبيت يوسف وبيت غمضان وبيت المراحل
وبيت المغلس وبيت الشامام وبيت المريخ وبيت سيدنا وبيت الحلقة وبيت القحوة وبيت الغليسي
وبيت الهجوة وبيت القعطي وغيرهم . وفي غالب أهل بيت من هذه البيوت العلماء والصلحاء
والأتقياء ، وهم في جهات كثيرة من اليمن ومن أكابر أعلامهم .. إلخ » .

العمل في بيت الكبسي حتى اشتهروا به .

فيحكي القاضي محمد - حفظه الله - :

أن رجلاً مُتَرَفِّهاً من أهل صنعاء ركب على حماره وسار مع الحجيج الذين كانوا يخرجون جماعة واحدة من صنعاء وظلّوا سائرين ، وكانت القاعدة أن يسيروا في كل يوم من بعد طلوع الفجر حتى الظهر ، ويستريحوا بقية اليوم ثم يعاودون السير مع الفجر الجديد ، وهكذا حتى يبلغوا مكة في (٤٥ يوماً) ويسمونها (٤٥ مرحلة) ^(١) ، فلما وصل الحجيج إلى مدينة عمران تعب هذا المترفّ ، وسأل : أهكذا الحجّ ؟ قالوا : نعم .. هكذا إلى مكة .. خمس وأربعون مرحلة ، فأدار دابّته ناحية صنعاء ، فقالوا له : ماذا تريد أن تصنع ؟ قال : أرجع إلى صنعاء .. خلق الله كباسي !! .

(كناية عن أنه لن يحجّ في حياته ، وسيوصي بأن يحجّ عنه بعد موته ، ومن المشهور أن السادة من بيت الكبسي هم المشهورون بهذا العمل) .



(١) يحكي لي القاضي العمراني : أن الحجاج كانوا يجتمعون من أنحاء اليمن في صنعاء ليسيروا دفعة واحدة راكبين على الدواب وعليهم أمير وحراسة خوفاً من قطاع الطرق المنتشرين ، ثم يسيرون في بداية ذي القعدة في طريق (صنعاء - صعدة) يفتدون السير من بعد صلاة الفجر حتى تشتد الظهيرة ، فتتوقف القافلة بسبب الحرارة والحاجة إلى الراحة والغذاء ، فيمكثون هكذا إلى فجر اليوم التالي ثم يبدأون السير ويكررون هذا العمل خمسة وأربعين يوماً حتى يصلوا إلى مكة المكرمة .. وكانوا يتزودون بالطعام والماء وبعض المصنوعات كالإبر وغيرها حتى يحصلوا على ما يحتاجونه من أهل القرى التي يمرون عليها بتبادل ما يحملونه من مصنوعات بطعام أو شراب أو غيره من حاجياتهم ، وكان هذا طبعاً قديماً ، والآن تغيرت الحال ووجدت الطائرات والسيارات وغيرها فـ ﴿ سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين ﴾ [الزخرف : ١٣] .

﴿ ٥٧ ﴾ قيدوه..زوجه..!

يحكي القاضي محمد - حفظه الله - :

أن العلامة المحدث الحافظ معمر بن راشد ^(١) كان يرحل من بلد إلى بلد لينشر الحديث النبوي ، ويجمع إليه ما لم يكن عنده منه ، فلما حل في اليمن ، رغب أهل تلك الديار أن يبقى عندهم ، ليكسبوا من عمله وفضله ، فاخhtarوا له قيدا منعوه به من مغادرتهم ، وكان ذلك القيد هو أن زوجته امرأة منهم ، فكانت قيدا له حبسه عن الرحلة والعودة إلى الوطن الأول ، فاستمر لديهم إلى آخر الحياة .

● قلت :

أ - قال العجلي في ترجمة معمر بن راشد : « معمر بن راشد ، يكنى أبا عروة بصري سكن صنعاء اليمن ، وتزوج بها ، ثقة رجل صالح ، وكان من عقلاء الرجال روى عنه ابن المبارك ، ورحل إليه سفيان الثوري وسمع منه بصنعاء ، ولما دخل صنعاء ، كرهوا أن يخرج من بين أظهرهم ، فقال لهم رجل : قيدوه ، فزوجوه » فأقام عندهم حتى مات سنة ١٥٣ هـ - رحمه الله تعالى .

ب - من لطيف ما أُشير به إلى أن الزواج قيد ومسئوليات ثقيلة ^(٢) ، قول

(١) قال الحافظ ابن حجر في « تقريب التهذيب » (٥٤١) ترجمة رقم (٦٨٠٩) : « معمر بن راشد الأزدي مولاهم ، أبو عروة البصري ، نزيل اليمن ، ثقة ثبت فاضل إلا أن في روايته عن ثابت والأعمش وهشام بن عروة شيئا ، وكذا فيما حدث به بالبصرة ، من كبار السابعة (أي الطبقة) على ترتيب ابن حجر) مات سنة أربع وخمسين (أي بعد المائة) وهو ابن ثمان وخمسين سنة . ع (أي روت له الكتب الست) .

(٢) يقول الشيخ عبد الفتاح أبو غدة - رحمه الله - في كتابه اللطيف البديع « العلماء العزاب الذين ==

بعض الظرفاء :

إِنَّ ذُنْبَنَا أُمْسَكُوهُ وَتَمَارُوا فِي عَقَابِهِ
قَالَ شَيْخٌ : زَوِّجُوهُ وَدَعُّوهُ فِي عَذَابِهِ

﴿ ٥٨ ﴾ نبوغ الشوكاني

يحكي القاضي محمد - حفظه الله - :

أَنَّ الشوكاني حكى عن نفسه ، فقال ^(١) : « وَإِنِّي أَخْبِرُكَ أَيُّهَا الطَّالِبُ عَنْ نَفْسِي تَحَدَّثَا بِنِعْمَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ ثُمَّ تَقْرِيئًا لِمَا ذَكَرْتُ لَكَ مِنْ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ كَامِنٌ فِي طَبَائِعِ النَّاسِ ، ثَابِتٌ فِي غَرَائِزِهِمْ ، وَأَنَّهُ مِنَ الْفِطْرَةِ الَّتِي فَطَرَ اللَّهُ النَّاسَ عَلَيْهَا ، إِنِّي لَمَّا أَرَدْتُ الشَّرُوعَ فِي طَلْبِ الْعِلْمِ ، وَلَمْ أَكُنْ إِذْ ذَاكَ قَدْ عَرَفْتُ شَيْئًا مِنْهُ ، حَتَّى مَا يَتَعَلَّقُ بِالطَّهَارَةِ وَالصَّلَاةِ إِلَّا مُجَرَّدٌ مَا يَتَلَقَاهُ الصَّغِيرُ مِنْ تَعْلِيمِ الْكَبِيرِ لِكَيْفِيَّةِ الصَّلَاةِ وَالطَّهَارَةِ وَنَحْوَهُمَا ، فَكَانَ أَوَّلَ بَحْثٍ طَالَعْتُهُ بِحَثٍ كَوْنُ الْفَرْجَيْنِ مِنْ أَعْضَاءِ الْوُضُوءِ فِي « الْأَزْهَارِ » وَشَرَحَهُ ؛ لِأَنَّ الشَّيْخَ الَّذِي أَرَدْتُ الْقِرَاءَةَ عَلَيْهِ وَالْأَخْذَ عَنْهُ ، كَانَ قَدْ بَلَغَ فِي تَدْرِيسِ تِلْكَ تِلْكَ إِلَى هَذَا الْبَحْثِ ، فَلَمَّا طَالَعْتُ هَذَا الْبَحْثَ قَبْلَ الْحُضُورِ عِنْدَ الشَّيْخِ رَأَيْتُ اخْتِلَافَ الْأَقْوَالِ فِيهِ ، سَأَلْتُ وَالَّذِي - رَحِمَهُ اللَّهُ - عَنْ تِلْكَ الْأَقْوَالِ أَيُّهَا يَكُونُ الْعَمَلُ عَلَيْهِ ، فَقَالَ :

== أَمَّا الْعِلْمُ عَلَى الزَّوْجِ « (١٥) » : .. فَالزَّوْجُ وَمَا يَتَّصِلُ بِهِ وَمَا يَنْشَأُ عَنْهُ ، قِيدَ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَهُ مَسْئُولِيَّاتٌ تَأْخُذُ جَوَانِبَ كَبِيرَةً مِنْ حَيَاةِ الرَّجُلِ مَادِيًّا وَمَعْنَوِيًّا ، وَتَقْتَطِعُ مِنْ فَرَاغِهِ لِلْعِلْمِ كَثِيرًا ، بَلْ قَدْ تَقَطَّعَهُ عَنِ الْعِلْمِ أَوْ الْإِزْدِيَادِ فِيهِ قَطْعًا ، كَمَا شَوَّهَدْتُ ذَلِكَ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْأَذْكِيَاءِ ، فَلِذَا آثَرُ بَعْضُهُمُ الْعَزُوبَةَ عَلَيْهِ . وَرَاجِعٌ مَا يَتَّصِلُ بِالزَّوْجِ وَالْعَزُوبَةِ وَالْعِلْمِ وَأَحْوَالِ الْعُلَمَاءِ بَيْنَ ذَلِكَ فِي هَذَا الْكِتَابِ الْقِيمِ .

(١) راجع « أدب الطلب » للشوكاني (٢١) .

يكون العمل على ما في الأزهار ، فقلتُ : صاحب الأزهار أكثر علمًا من هؤلاء . قال : لا ، قلتُ : فكيف كان اتباع قوله دون أقوالهم لازماً ؟ ، فقال : اصنع كما يصنع الناس ، فإذا فَتَحَ اللهُ عليك ، فستعرف ما يؤخذ به وما يترك ، فسألت الله عند ذلك أن يفتح عليَّ من معارفه ما يتميز لي به الراجح من المرجوح ، وكان هذا في أول بحث نظرتَه ، وأوّل موضع درسته وقعدت فيه بين يدي العالم ، فاعتبر بهذا ، ولا تستبعد ما أرشدتك إليه ، فتحرم بركة العلم وتمحق فائدته .

﴿ ٥٩ ﴾ الإمام أحمد والثعابين

يحكي القاضي محمد - حفظه الله - :

كان الإمام أحمد الذي حكم اليمن في الفترة (١٩٤٨ - ١٩٦٢ م) غريب الطباع إلى حد كبير ، فقد كان يهوى وهو ولي عهد أن يجمع الثعابين فكلما عثر على ثعبان ، أمسكه من قذاله وأخذه ، وفي يوم خرج الإمام أحمد يترىض ويتنزه قليلاً (وهي تسمى دورة في عرف أهل اليمن) ، فوجد ثعباناً كبيراً ، فأمسك به ، ونادى على الحرسى الذي معه ، وقال له : افتح لحفتك (أي الشال الذي معه) ووضعه فيه الثعبان ، وقال له : أبقيه معك حتّى يأتي أصحابنا بعد العصر (أي في ما يسمى المتكى) ، فلما اجتمعوا بعد العصر والمجلس مليء بالعلماء والكتّاب نادى الإمام أحمد على الحرسى ، وقال : هات الوديعة (أي الثعبان) .

فجاء به الحرسى ملفوفاً في الشال فأطلقه الإمام أحمد ، ففوجئ به

الحاضرون ، فتقافزوا ، وهربَ من هربَ ، ووجه الإمام أحمد الثعبان ناحية القاضي حسن تقي^(١) وكان يخاف جداً من الثعابين ، فأخرج الجنيبة وقال : يا مولانا والله أشرع بك قبل الحنش ما يقتلني ! فضحك الإمام أحمد وأمسك بالحنش .

(٦٠) نجاسة الميت

يقول المذهب الهادي الزيدي بنجاسة بدن الميت ، ويقول المذهب الشافعي بطهارة بدن الميت وقول الشافعية هو الصواب ، لقول النبي ﷺ : « سبحان الله ! إن المؤمن لا ينجس حيًّا ولا ميتًا » ؛ ولأن الأصل الطهارة ، ومن ادعى النجاسة ، فعليه الدليل ، ولا دليل ، وبمناسبة هذه القضية الفقهية يحكي القاضي محمد هذه اللطيفة :

أرسل السيد عبد الله الوزير العلامة الزيدي محمد بن يحيى مداعس أمين صندوق في مدينة إب ، ومن المعلوم أن أهل إب شافعية ، وكان الشيخ مداعس جامداً على المذهب ، فأخذ يتجادل مع بعض من تعارف عليهم من أهل إب ، كبيت الصباحي وبيت باسلام وبيت العنسي وغيرهم ، وهو زيدي يقول ولا يتزحزح عن أن المسلم إذا مات فهو نجس ، وهم شافعية لا يتنازلون عن كونه

(١) القاضي حسن بن أحمد بن حسن تقي : أديب كاتب ، له خط جميل صحب الإمام أحمد بن يحيى حميد الدين ، منذ كان ولياً للعهد إلى أن صار إماماً وحتى توفي سنة ١٣٨٢ هـ ، وهو من أبرز كتاب ديوانه ، فكان يحرر له الرسائل ويكتب له أوراق الاعتماد وغيرها ، وكان ينتقل معه منذ أن عمل لديه في حجة وصنعاء ثم في تعز ، مولده في ضيان في ذي الحجة سنة ١٣٢٠ هـ ، ووفاته في تعز عصر يوم الخميس ١٠ من ربيع الأول سنة ١٤٠٩ هـ ودفن في تلا . راجع « هجر العلم » (٢٨٦/١ - ٢٨٧) .

طاهراً ، فدخل عليهم الشيخ حسن الدعيس من مشائخ إب ، وكان ظريفاً صاحب نكتة ، فقال : لا تتجادلوا ، ولا داعي لهذا كله ، دعوا الشيخ محمد مداعس وأصحابه من سمارة ومطلع يبقوا زي ما هم نجسين ، لا نحاول أن نطهرهم ، ويتركونا من سمارة ومنزل طاهرين ، لا يحاولوا ينجسونا ! .

(٦١) ياليتها كانت القاضية..!

كَانَ الْعَلَامَةُ يَحْيَى ^(١) بن مُحَمَّد بن عبد الله بن الحسين بن الإمام القاسم رئيس القضاة ^(٢) (أي قاضي القضاة) باليمن في أيام حكم المتوكل على الله ^(٣) قاسم بن الحسين (١١٢٨ - ١١٣٩ هـ) .

وكان العلامة يحيى المذكور له مشاركة في الفقه وغالب اشتغاله بالطب ^(٤) ، فوَقَّعتُ مُنازعة بين جماعة من أهل الإمام بشأن تقسيم تركة ،

(١) أخذ العلم بصنعاء عن جماعة من العلماء ، وشارك في الفقه وغيره ، وكان ساكناً وقوراً ، قليل الخلاف ، غير محب للرياسة ، ولا مقتنحاً للأمور الخطرة في فصل الخصومات ، ولو أراد ذلك لكان له يد قوية وصولاً عظيمة ، لكونه من آل الإمام ولعلوسه ، مات - رحمه الله - في غرة شهر رجب سنة ١٢٠١ هـ ، راجع ترجمته في « البدر الطالع » (٣٤٢/٢ - ٣٤٣) .

(٢) ولكنه لم يكن بيده من الأمر شيء مع القاضي الألمي الذكي يحيى بن صالح السحولي كما في « البدر الطالع » .

(٣) راجع أحواله وكيف تولى في « المقتطف من تاريخ اليمن » (٢٤٦ - ٢٤٨) .

(٤) قال الشوكاني في « البدر الطالع » (٣٤٣/٢) : « .. وكان غالب اشتغاله بالطب ، والمعمل عليه في صنعاء في مداواة المرضى ، وفيه بركة ظاهرة ، قل أن يداوي مريضاً فلا يشفى ، ولم يكن ليأخذ على ذلك أجراً ، بل قد يسمح بأدوية لها قيمة ومقدار لكثير من الفقراء ، وله ماجريات في العلاجات يتوأسفها الناس ، فعنها : ما أخبرني به بعض الثقات أن رجلاً حصل معه مرض وورمت عضداه حتى صارتا في العظم والصلابة بحيث إذا غمزتا بالإصبع غمزاً شديداً لا تدخل فيهما ولا يظهر لذلك أثر ، فذهب المخبر لي إلى صاحب الترجمة (أي العلامة يحيى المذكور) ووصف له ذلك ، فقال : هذا المرض سببه أنه وضع قلنسوته التي تباشر رأسه وتتلوث بالمرق ، فلدغتها عقرب ، فصار فيها شيء من السم ، ثم وضع بعد ذلك القلنسوة على رأسه وعرق ، فتنزل ذلك في مسام الشعر واحتقن بالمعصدين فهو لا شك ميت ، فكان الأمر كما ذكره من موت ذلك المريض ، وله

فأحالهم على العلامة يحيى المذكور ، فلم يستطع أن يفصل بينهم ، وأن يُقنع جميع الأطراف ، فدخل على زوجته الشريفة العالمة زينب ^(١) بنت الإمام المتوكل على الله قاسم بن الحسين ، فرأته مهموماً وعرفت منه القضية ، فقالت : الأمر سهل ، أعط فلاناً كذا ، وفلاناً كذا ، ثم أرسل إليهم وعرض عليهم هذه القسمة ، فقبلوا واقتنعوا وخرجوا راضين ، ثم عرف الإمام المتوكل ما وقع ^(٢) فأخبر به الوزير أحمد بن علي النهمي ، فأنشد :

لَنَا قَاضِي مَا مَضَى حُكْمُهُ وَأَحْكَامُ زَوْجَتِهِ مَاضِيَةٌ
فَيَا لَيْتَهُ لَمْ يَكُنْ قَاضِيًا وَيَا لَيْتَهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةُ

من ذلك عجائب وغرائب ، مع أنه لم يأخذ علم الطب عن شيوخ مشهورين بل كانت فائدته بالمطالعة والتجريب المتكرر والممارسة ولم يخلف بعده مثله ، بحيث كثر تأسف الناس عليه ، ومن جملة ما اتفق باطلاعي أنه حصل مع الوالد - رحمه الله - (أي والد الشوكاني) انتفاخ في البطن وتقلص شديد ، فكتبت إلى صاحب الترجمة أصف له ذلك ، فأجاب أنه يحسن أن يشرب ماء ورد بعد أن يخلط به بزر قطناً ، فعجبت من ذلك وقلت في نفسي : هذا الدواء إنما يصلح لمن كان محروراً ، وانتفاخ البطن لا يكون إلا من البرودة ، وهممت ألا أظهر ذلك للوالد ، فزاد مرضه حتى خشيت عليه أن يموت فعرفته بما وصفه صاحب الترجمة (أي العلامة المذكور) من الدواء ، فاستدعاه وشربه ، فشفي من ساعته ، وذهب أثر الإنتفاخ ، مع أن عمره حينئذ في نحو السبعين سنة أ. هـ .

(١) الشريفة الكاملة زينب بنت المتوكل على الله القاسم بن الحسين بن المهدي بن أحمد بن الحسن بن الإمام القاسم بن محمد الحسنية الصنعانية ، كانت ذات كمال وجمال في النساء ولها ولع بالخير ومراعاة الناس ، وكان المنصور علي بن المهدي العباس يقصدها وينزل عليها وكانت تحتفل بمن ورد عليها من آل الإمام ، تهذب الصغير وترحم الكبير وتعاشر الصديق ، وتزوجها أولاً المولى يحيى بن محمد بن عبد الله بن الحسين بن الإمام القاسم قاضي القضاة ، ولما تزوجها غلبت عليه وملكت أمره وصحبها نحواً من أربعين سنة وولدت له ولداً ذكراً وأمضت أموراً تردد فيها وماتت بصنعاء في آخر محرم سنة ١٢٠٠ هـ ، ولما ماتت حزن عليها زوجها المذكور حزناً شديداً وتنكد عيشه بعدها ، ولم يلبث بعدها إلا سنة وأشهرًا وتوفي في غرة محرم سنة ١٢٠١ هـ ، ومن المساجد العامرة بصنعاء القديمة مسجد الشريفة ، خارج صنعاء في باب الروم عن يمين الخارج من باب الروم إلى جهة شعوب وبلاد همدان عمرته هذه الشريفة زينب ، راجع « نشر العرف » (٧٠٧/١) - (٧٠٨) و« مساجد صنعاء » للحجري .

(٢) يقال بأن الشريفة زينب هي التي أرسلت إلى الإمام المتوكل بالقصة ، ولما علم زوجها تألم من ذلك ألماً شديداً .

(٦٢) نصراني يصلي بمسلم!

يحكي القاضي محمد :

تعرف الحاج حمود شمار من بني الحارث - أرحب - على رجلٍ أشقرٍ ، ادعى أنه من بقايا الترك ، وأنه مسلمٌ موحدٌ ، فكان يصلي هو والحاج حمود جماعة ، فتارة يتقدم الحاج حمود ويصلي بالتركي المزعوم ، وتارة يقول له الحاج حمود : تقدم فصل بنا ، فيتقدم التركي ، فيصلي إماماً ، ثم سافر هذا التركي إلى عدن وأصبح نائباً لحاكم عدن الإنجليزي ، وفي يوم وصل إلى عدن بعض اليمنيين من بني الحارث ، فعرفهم التركي المزعوم وسألهم عن الحاج حمود شمار ، فعرفوه فقال لهم : سلموا على الحاج حمود ، وقولوا له : ليعد الصلاة التي صلاها خلفي ، فإنني لست تركياً ، بل أنا إنجليزي نصراني ، فلما وصل الخبر إلى الحاج حمود نزل إلى صنعاء ، ليسأل علماءها عن حكم صلاته خلف النصراني ، وهو لا يعلم .

يقول القاضي : فجاء عند الملامة عبد الوهاب الشماحي في مسجد الروضة ^(١) ، ولكن لا أتذكر ما أتابه به ، ثم مرّت سنوات ، وكنت أقلب في كتاب « المحلي » لابن حزم ، فذكر مسألة وهي إذا صلى المسلم خلف الكافر وهو لا يعلم ، فأجاب بأن صلاته صحيحة .



(١) وعمر القاضي يومئذ حوالي (١٥ سنة) أي في سنة ١٣٥٥ هـ تقريباً ، وكان القاضي محمد يخرج في الخريف إلى الروضة ، فيدرس على العلامة عبد الوهاب الشماحي .

﴿٦٣﴾ فسد حجك !

حكى القاضي محمد - حفظه الله - فقال :

دخل أحد العلماء عند رجلٍ مرأى ، فطلب العالم سجادة صلاة (مصلية)
فنادى المرأى على خادمه ، وقال : يا فلان ، أحضر السجادة الجديدة التي
اشتريناها في حجنا هذا العام ، ولا تحضر السجادة البالية التي اشتريناها في حجنا
في العام الماضي ، فقال العالم : فسد حجك .

● قلت : ومما يحضرني في هذا المقام ، ما حكاها ابن الجوزي في « أخبار
الحمقى والمغفلين » (١١١) قال : « وكان أعرابي يصلي ، فأخذ قوم
يمدحونه ويصفونه بالصلاح ، فقطع صلاته ، وقال : مع هذا إني صائم !! » .

﴿٦٤﴾ أيهما أفضل صنعاء أم تعز ؟

تولى الإمام أحمد بن يحيى حمد الدين على اليمن في الفترة (١٩٤٨ -
١٩٦٢ م) ، كان يحب مدينة تعز محبة عظيمة ^(١) ، وعندما وصل القاضي
محمد إلى تعز نبه عليه بعض حاشية الإمام أحمد أنه إذا سأله الإمام أحمد عن
صنعاء وتعز أيهما أفضل ؟ فليقل : تعز ، حتى لا يغضب الإمام أحمد ؛ لأن
الإمام أحمد (روحه تعز) ! ، فلما وصل القاضي محمد عند الإمام أحمد ،

(١) تقول كلودي فايان في كتابها « كنت طيبة في اليمن » (٦٤) : « .. ولعل لعدم انتقال الإمام
إلى صنعاء أسباباً أخرى ، فقد خضعت صنعاء للإمام الذي تولى الحكم بعد مقتل أبيه الإمام يحيى
، وهو لهذا يضمر لها حقداً وكرهية وحفيظة ، وهناك سبب سياسي وهو أن تعز ثغر من ثغور اليمن
المهمة وأقرب إلى المدينة .. والإمام يعرف كل هذا وهو يقول للزائر الأجنبي وصوته لا يكاد يخلو من
الكآبة والحزن : « إنك لم تر اليمن بعد .. اذهب إلى صنعاء وستعرف هناك بلادي » لعله يقدر
مسئوليته الثقيلة كبواب كبير .. يعرف متى يستطيع أن يفتح ومتى يجب أن يغلق » .

وسأله هذا السؤال ، فأجاب القاضي محمد : تعز ، فارتاح الإمام أحمد ، وقال : أحسنت ، ولما رجع الإمام أحمد إلى صنعاء ، وبصحبه القاضي محمد سأله الإمام أحمد : أيهما أفضل صنعاء أم تعز ؟ فأجاب القاضي محمد بأن صنعاء أفضل ، فتعجب الإمام أحمد ، وقال : كيف ؟ ! .

فقال القاضي محمد : صنعاء هي العاصمة والإمام فيها ، ولم يسمع أحد أن تعز عاصمة ، فقال الإمام أحمد : فهالك الملك المظفر ، وملوك بني رسول ، كانت عاصمتهم تعز ! ، فقال القاضي محمد : هؤلاء لم يتمكنوا من جعل صنعاء عاصمة ؛ لعجزهم عن دخولها ، وحتى في الفترات التي كان يتيسر لهم دخولها ، كانوا يعرفون أنه لا يستقر لهم فيها قرار ؛ لأن الزيدية لم يكونوا يعترفون بهم ، وأما الإمام فأبوه وجده منها وفيها ، فقال الإمام أحمد : فماذا تقول في قول الشاعر :

صَنَعَاءَ لَا تَحْفَلُ بِهَا وَعَنْ مَدَاهَا فَابْتَعِدْ
فَالْبَرْدُ فِيهَا قَارِسٌ وَالْجِسْمُ مِنْهُ يَرْتَعِدْ

فقال القاضي محمد : هذا شاعر فقير ، استأجر له غرفة بابها مكسر ، فيها شقوق وفتحات تدخل من الهواء والبرد أكثر مما تحجب ، فقال هذا الشعر ، ولكن الإمام معه الدور النظيفة والفراش المدفئ والدفايات وكل وسائل الراحة ، فكيف سيعاني من برد صنعاء ؟ ! ! .



﴿٦٥﴾ نتيجة بيت الفقيه

نتيجة بيت الفقيه : كُتِبَ يصدر كل عام فيه تنجيم ، ونبوءات يقوم عليها أحد المنجمين ، وهو ساكن في مدينة بيت الفقيه إحدى مدن تهامة اليمن ، وقد استنكر العلماء هذا الدجل والتنجيم ، ومن استنكرها القاضي العلامة محمد بن إسماعيل العمراني - حفظه الله - .

يحكي القاضي محمد :

أنه في عام (١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م) كتب في هذه النتيجة : « في شباط (فبراير) يسقط تاج » ، فقتل الإمام يحيى حميد الدين في الشهر المذكور ، وزاد ذلك اعتقاد الناس في هذه النتيجة الضالة .

وفي أحد الأعوام جاء في هذه النتيجة : « في شوال اقلب المكيال يا رجال » فتوقع الناس وقوع ثورة في اليمن ، فوقع في هذا العام زيادة الثمر ، وكان هذا معنى اقلب المكيال !! .



﴿٦٦﴾ الحلقة المفقودة (١)

يَحْكِي القاضي العمراني ، فيقول :

كان المشير عبد الله السلال (أول رئيس جمهورية في اليمن) محبوباً في حبس حجة بعد ثورة الدستور سنة ١٣٦٧ هـ (الموافق سنة ١٩٤٨) ، وفي وسط ألمه وأصحابه المحبوسين معه ، جاء أحد الحُرَّاسِ الجهلاء ، وقال لهم : أبشروا ، فإنكم ستخرجون من الحبس قريباً ، فقالوا : لماذا ؟ قال الحارس : لأنَّه قد أُلقي القبض على الدستور ، عند مدخل باب اليمن أو باب السبع ، فقال السلال : انظروا إلى عاق والديه (دارون) ذهب يبحث عن الحلقة المفقودة في أمريكا ، وها هي موجودة هنا ... ! .

● قلت : وما يناسب ذكره هنا ما طالعته في « أخبار الحمقى والمغفلين »

لابن الجوزي (١٤٤ - ١٤٥) قال : وعن محمد بن المبرد عن الحسن بن رجاء أنَّ الرُّشيد لما غضب على ثمامة دفعه إلى سلام الأبرش ، وأمره أن يضيق عليه وأن يدخله بيتاً ويطين عليه ، ويترك فيه ثقباً ، ففعل دون ذلك ، وكان يدس إليه الطعام ، فجلس سلام عشيةً ، وهو يقرأ في المصحف ، فقراً : ﴿ فَوَيْلٌ

(١) هذه الحادثة حكاها أيضاً علي ناصر العنسي في كتاب « ثورة ١٩٤٨ الميلاد والمسيرة والمؤثرات » (٤١٥) فقال : « هنالك حادثة جعلتني اتنبه إلى دائرة التخلف التي يعيش فيها الشعب ، كان أحد السجَّانين اسمه ناصر علي جرامة ، كان يأتي إلينا ويدخل إلى الغرفة ويأتينا بأخبار سياسية ونحن نوافقه القول بنعم .. نعم ، وفي يوم دخل إلينا ، وقال : في هذا اليوم سيصل إليكم ضيوف . قلنا له : من هم هؤلاء الضيوف ، يا عم ناصر ؟ قال : الترتلاني والدستور . وقال بهذا اللفظ : الترتلاني والدستور يعني الفضيل الترتلاني والدستور ، وأخذ يسرد القضية ، وكيف أمكن مسك الدستور في الحيمة ، ثم أخذ يحدثنا عن نفسه قائلاً : أنا كنت جعسوس (يعني جاسوس) عند ولي العهد في صعدة ، وكان يرسله مع شخص آخر للتجسس إلى السعودية ، وكان يقول : ما إن يأتي النهار إلا ونكون في السعودية وعندما أنهى كلامه خرج وكان رجل عاري الصدر مليئه بالشعر ويلبس جرم صوف ، فقلت للإخوان : هذا هو الحلقة الوسطى المفقودة التي نبحت عنها دائماً ، ولا أدري من الذي قال له الحكاية ، فعذبني ونفاني من السجن الأعلى إلى السجن الأسفل .. إلخ » وحكاها بصورة أخرى أحمد الشامي في « رياح التغيير في اليمن » (٣٦٢) فراجع .

يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿ [الطور : ١١] ﴾ (أي بفتح الذال المعجمة المشددة) فقال ثمامة : إنما هو ﴿ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴾ (أي بكسر الذال المعجمة المشددة) وجعل يشرح ويقول : المكذبين (أي بالفتح) هم الرسل ، والمكذبين (أي بالكسر) هم الكفار ، فقال سلام : قد قيل لي أنك زنديق ، ولم أقبل ، ثم ضيق عليه أشد الضيق ، قال : ثم رضي الرشيد عن ثمامة فجالسه ، فقال الرشيد : أخبروني عن أسوأ الناس حالاً ، فقال كل واحد شيئاً ، قال ثمامة : وبلغ القول إليّ ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، عاقل يجري عليه حكم جاهل ، فتبينت الغضب في وجه الرشيد ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، ما أحسبني وقعت بحيث أردت ، قال : لا والله ، فحدثته بحديث سلام ، فضحك حتى استلقى ، وقال : صدقت ، والله لقد كنت أسوأ الناس حالاً .

ونقلها الأستاذ عبود الشالحي في كتابه « موسوعة العذاب » (١٨٠/٣) - (١٨١) وقال : وتذكرني هذه القصة ، بقصة يتناقلها البغداديون عن فقيه حُسّ ظلماً ، فكان يعظ المسجونين ويحضّهم على التمسك بالدين والأخلاق ، فلا يرى تجاوباً من أحد منهم إلا من شخص واحد ، كان يقبل على الواعظ ، وينصت إليه باهتمام عظيم ويكي بكاء شديداً ، فأعجب به الواعظ ، وقال له مرة : بارك الله فيك يا ولدي ، فإنّ وعظي - على ما يظهر لي - عظيم الأثر فيك ، ولا بدّ أنك قد انتفعت به ، فقال له : إنّي - يا سيدي - لم أفهم شيئاً من وعظك ، أمّا سبب بكائي ؛ فلأنني لما حبست فارقت تيساً قد ربّيته وأحببته حبّي لولدي ، وكلّما رأيته تحرك لحيتك وأنت تعظ ، تذكرت لحية تيسي الذي فارقت ، فبكيت حزناً على فراقه .

● قلت : قال أبو الأسود الدؤلي : إذا أردت أن تعذبَ عالماً ، فاقرنْ به جاهلاً . راجع « المستطرف » (٣٧) .

﴿ ٦٧ ﴾ سيف الإسلام والكلب الإنجليزى

يحكي القاضي محمد - حفظه الله - ، فيقول :

سافر سيف الإسلام الحسين (وهو أحد أولاد الإمام يحيى حميد الدين) إلى لندن في مهمة ، وكان في صحبته المرافق الحاج عزيز يعنى ، وفي أحد الأيام سار سيف الإسلام الحسين مع مرافقه الحاج عزيز في أحد شوارع لندن ، فهجم عليهما أحد الكلاب ، فما كان من الحاج عزيز إلا أن رفع الجنبية وطعن الكلب بها - كعادته إذا هاجمه كلب من كلاب البوادي التي خارج مدينة صنعاء - وفي هذه الأثناء صور الواقعة شرطي ، وفي اليوم الثاني ، وصل إلى الحاج عزيز استدعاء إلى المحكمة ، فأنكر طعنه للكلب ، فأخرجوا له الصور فأقر ، فحكم القاضي بأن يدفع مصاريف علاج الكلب ، وأن يلزم بزيارة الكلب في المستشفى ، فلما وصل الحاج عزيز إلى المستشفى لزيارة الكلب وأبصره الكلب ، قفز الكلب من على سريريه ، وصاح صياحاً مزعجاً ، وكأن الكلب تصور أن الحاج عزيزاً سيكرر الطعنة ، فأخرج الحاج عزيز ، واكتفوا بذلك !! .

ومما وقع لسيف الإسلام في هذه السفرة ، أنه كان موسوساً في الطهارة ، فأخذ معه في شطّته حجارة يستجمر بها فلماً نزل في فندق راق على حساب الحكومة البريطانية ، استعمل الأحجار في الطهارة وألقاها في الحمام ، فانسد الحمام ، وجاءت فرقة عمال لإصلاحه ، فوجدوا الحجارة فتعجبوا جداً ، ولم يعرفوا من أين جاءت ، ولم يخطر ببالهم أن سمو الأمير هو الذي جاء بها من اليمن !! .



﴿٦٨﴾ نصف متر من البز لوزير العدل

يحكي القاضي محمد - حفظه الله - :

أنَّ القضاة كانوا مدعويين عند وزير العدل (وكان اشتراكياً ، عُينَ في فترة الوحدة ، عندما كان اليمن الميمون شطرين) ، وكان القاضي محمد من ضمن المدعويين ، وخرج عليهم الوزير الاشتراكي ، وهو يرتدي ثياباً (أي شورتاً) وبعد ذلك جاء الخادم فسأل القاضي عن طلباتهم من أوراق أو أقلام أو مشروبات أو غيره ؟ ، فقال القاضي محمد : نريد نصف متر من البز ، فتعجب الخادم وقال : لماذا ؟ فقال القاضي : نعمله وصلة لسروال سعادة الوزير ، فَضَحَّكَ السَّامِعُونَ .

﴿٦٩﴾ الشوكاني والقبيلي

كان الإمام العَلَمُ محمد بن علي الشوكاني - رحمه الله - عندما تولَّى القضاء في أيام الإمام المهدي عبد الله ، قد اشترط على المهدي نفاذ أحكامه وقضائه على كلِّ النَّاسِ ، فأشار المهدي عبد الله إلى نفسه ، وقال : لو كان على الجالس على هذا الكرسي ..

وفي أحدِ الأيام ^(١) ادَّعى رجل على بعض عقال أو مشايخ بني حشيش ،

(١) ذكر هذه القصة شيخنا القاضي العمراني في كتابه « نظام القضاء في الإسلام » (٢٧٢-٢٧٣) وقال في آخرها : « .. ذكرها شيخنا القاضي عبدالله الحرافي في كتاب « أنباء اليمن ونبلائه بعد الألف » وسمعتها من أكثر من واحد من علماء صنعاء ، الذين كانوا يقولون إن حير عصر في اليمن انتصف فيه المظلومون من ظالميهيم ، ونفذت فيه أوامر قضاة الشريعة ، هو العصر الذي تولَّى فيه مشيخة الإسلام القاضي محمد الشوكاني ، وخصوصاً في المدة الأخيرة من أعوام توليه لهذا المنصب العظيم » .

فأرسل إليه الشوكاني ورقة إحضار ؛ ليحكم بينه وبين خصمه ، فرفض الشيخ الحضور ولم يكتف بالرفض ، بل عمل الإحضار في عرض عود من قصب الذرة التي تأكله البقرة ، وربطه ببعض أغصان القصب في شكل ما يسميه الناس بالعصاة ، وألقم الثور العصاة ليأكل ورقة الإحضار مع هذه العصاة تحدياً لشيخ الإسلام الشوكاني ، وتكبراً على غريمه الطالب منه الحضور ، فما كان من العسكري الرسول إلا أن استشهد الحاضرين على ما فعله هذا الشيخ المتعجرف ، ورجع إلى صنعاء ، ليخبر شيخ الإسلام الشوكاني بما كان من هذا الشيخ أمام الشهود الحاضرين لهذا التحدي السافر لأمر قاضي القضاة - رحمه الله - ، وما كاد الخبر يصل إلى الشوكاني حتى أرسل بدواته مع رسول خاص إلى الإمام المهدي عبد الله الذي كان يومئذ في قرية ذهبان ضيفاً على الشريف الحسن بن ناصر الجوفي ، وما كاد المهدي عبد الله يتلقى هذا النبأ حتى ترك بين مضيفه فوراً ، وخرج مُسرِعاً هو ومن لديه من الجنود متوجهاً شطر بني حشيش ، وبلغ فوراً إلى صنعاء بإرسال ثلة من الجنود مع المدفع في أقرب وقت ممكن وعلى جناح السرعة ، وما مضت ساعة حتى كان الجميع أمام دار هذا الشيخ الشقي ، فأمر بضرب داره بالمدفع وبإخراج الثور الذي كان قد أكل الإحضار في وسط العصاة ، وذبحه وأخرج الإحضار من بين الفرث كما أمر بإلقاء القبض على هذا الشيخ الأحمق ، وربطه بجامعة من حديد من عنقه إلى يده ثم إلى رجليه وأرسله إلى حبس القلعة مصحوباً بما يحافظ عليه حتى يصل عند الشوكاني ذليلاً خاضعاً للأمر الشرعي .



(٧٠) أردت عمراً وأراد الله خارجة (١)

« أنت تريد وأنا أريد ، والله يفعل ما يريد »

حكى القاضي محمد - حفظه الله - :

كان السيّد عبد الرحمن بن حسين الأمير (٢) عاملاً (أي مُديراً) على بني الحارث في الروضة ، وأراد أن يتزوج ، فخطب فتاة من بني حوات ، وأخوالها من بني زياد ، وكانت البنت غير راضية ، ولكن أباه رأى هذا الزواج والارتباط سيئرفه ، يرفع من قدره ، فأصرّ على إتمام الزواج ، وفي يوم العرس دعى العامل الناس واجتمعوا من كل حذب وصوب ، وفوجئ الأب بهروب ابنته إلى أخوالها بني الحارث ، وأنها تريد أن تقتل نفسها ، فأخذ المهر الذي دفعه العامل في نفس صرته ، وطلب الخلوة بالعامل ، وقال له : الآن البنت هربت وليس في يدي شيء ، تريد أن تحبسني فاحبسني ، أو افعل ما تريد وهذه فلوسك كما هي . فقال له العامل : لا أحبسك ولا شيء اذهب عفا الله عنك ثم استدعى العامل قريباته من النساء ، وحكى لهن ما حدث ، وبين لهن حرج الموقف وأن العروس (وتسمّى : الحريوة ، بلغة أهل صنعاء) قد هربت ، فانظروا لنا امرأة أخرى ، فقالت إحدى النساء : هذه فلانة من بيت العلفي جيدة ، وتناسبك ، فما رأيك ؟ فقال العامل : لا بأس ، كلّموا أمها .

(١) هذا المثل أصله أن الخوارج عندما اتفقوا على قتل علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص ، فذهب الخارجي المكلف بقتل عمرو بن العاص ، فاقتبأ له ليضربه بالسيف عند خروجه إلى الصلاة ، وقدر الله أن مرض عمرو في هذا اليوم فأناّب عنه رئيس شرطته خارجة ، فجاء الخارجي فضربه بالسيف وهو يظنه عمرو ، وبعدما أمسكوا بالخارجي وعلم أن المقتول من ضربته هو خارجة لا عمرو ، فقال : « أردت عمراً ، وأراد الله خارجة » فذهبت مثلاً .

(٢) هو السيد عبد الرحمن بن حسين بن علي بن يوسف بن إبراهيم بن محمد بن إسماعيل الأمير ، هكذا أملاني القاضي محمد اسمه ، ولم أجد له ترجمة .

وصادف أنَّ هذه الفتاة وأمُّها جاءتا لتُساعدَا النساء في العرس في الطُّبخ وغيره .. وكانت هذه البنت ^(١) في المطبخ (ويسمَّى : الديمة ، بلغة أهل صنعاء) وكانت بلباس المطبخ ، فجاءت النساء إلى أمها ، وكلمنها فلم تُمانع ، وقالت : كلموا إخوتها ، فقلن : أين هم ؟ قالت : في صنعاء .

فأرسل العامل إليهم فوافقوا ، وعقد للبت على العامل في نفس الوقت ، وأعطى لإخوتها نفس الفلوس التي ردت إليه من أبي العروس (الحريوة) الهاربة ، تمَّ كلَّ ذلك والنَّاس في المجلس (المتكى) لا يشعرون ، وتمَّ العرس والزفاف ، وعاد النَّاس إلى بيوتهم ، والرَّجال لا يدرون بما حدث ، والنَّساء يدرين ، فكانت المرأة تقول لزوجها : بمن تزوج العامل ؟ فيقول الزوج : تزوج بفتاة بني الحارث .

فتقول المرأة : لا ، لقد تزوج بنت العلفي ^(٢) ، فيتعجب الزوج ، فتحكي له ما حدث من تغيير في العروس (الحريوة) ! .



(١) قال القاضي محمد : أنا أعرف هذا العامل وهذه التي تزوجها وقد أنجب العامل منها وعرفت أولادهم ، فقلت لهم : لعلكم كنتم حاضرين هذا العرس ؟ قال : لا ، لقد كنت صغيراً ، في حوالي الخامسة عشرة . قلت : وعلى هذا فهذه القصة وقعت حوالي سنة ١٣٥٥ هـ .

(٢) وينطقه أهل صنعاء بلهجتهم (العنفي) بالنون بدلاً من اللام ، وأصل بيت العلفي يرجع إلى بني أمية .

﴿٧١﴾ فإن ترد الزيادة، هات بكنا

لم تعترف إيران بالجمهورية اليمنية إلا مؤخرًا في آخر سنوات حكم القاضي الإيراني^(١) للجمهورية اليمنية، وحتى تحسن العلاقات مع اليمن دعت مجموعة من القضاة والعلماء اليمنيين دعوة رسمية لزيارة إيران، وكان من هؤلاء القاضي عبد الله الشماحي^(٢)، والقاضي علي بن يحيى الإيراني^(٣)، والقاضي محمد بن إسماعيل العمراني، وجعلوا لهم برنامجًا للزيارة، فلما عرضوه عليهم، قال القاضي عبد الله الشماحي مستشهدًا:

تَلَبَّسْ أَوْ تَقَمِّصْ أَوْ تَجَبِّ
فَلَنْ تَزْدَادَ عِنْدِي قَطُّ حَبًّا
تَمْلِكُ بَعْضُ حُبِّكَ كُلَّ قَلْبِي
فَإِنْ تَرِدَ الزَّيَادَةَ هَاتِ قَلْبًا

(١) القاضي عبد الرحمن بن يحيى الإيراني الحنصلي، ولد بإربان من بلاد يريم في سنة ١٣٢٨ هـ تقريبًا، وأخذ عن والده العلامة يحيى بن محمد الإيراني وغيره ورحل إلى صنعاء وأخذ بها وبرع في علم العربية، وكان ممن حبسهم الإمام أحمد بعد قتل والده الإمام يحيى واستمر حبسه نحو سبع سنوات، وقد تولَّى وزارة العدل بعد الثورة ١٩٦٢ م، وكان من القائمين بالانقلاب ضد السلال في شعبان ١٣٨٧ هـ - ٥ نوفمبر ١٩٦٧ م، وعند تشكيل المجلس الجمهوري تعيين صاحب الترجمة رئيسًا للمجلس الجمهوري في الفترة (نوفمبر ١٩٦٧ - ١٩٧٤ م) راجع ترجمته في «نزهة النظر» (١/٣٥٤-٣٥٥).

(٢) القاضي عبد الله بن عبد الوهاب بن محمد المجاهد الشماحي: قاضي عالم فقيه أديب شاعر مؤرخ خطيب من بيت علم وقضاء، ولد سنة ١٣٢٥ هـ اشتغل بالقضاء والسياسة، وساهم في حركة المعارضة، فكان خطيب ثورة الدستور سنة ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ م، وبفشلها دخل سجن حجة حتى عام ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٣ م، وكان متعدد المواهب والثقافة وشغل بعد الثورة عدة مناصب قضائية وسياسية منها: عضوية مجلس الشورى، والمجلس الوطني، له الكثير من الشعر والمقالات، واشتهر له كتابه «تاريخ اليمن: الإنسان والحضارة»، ولم يزل بحيوته ونشاطه حتى عشية وفاته في ١٠ شهر ربيع ١٤٠٦ هـ - ٢٢ من ديسمبر ١٩٨٥ م، حين توفي فجأة وقد قارب الثمانين. راجع «نزهة النظر» (٤١٠)، و«الموسوعة اليمنية» (٢/٦٢٠).

(٣) القاضي العلامة الأديب جمال الدين علي بن يحيى الإيراني، كانت ولادته في محرم سنة ١٣٢١ هـ في إربان، قرأ على والده وغيره من العلماء الكبار وتصدر للتدريس في إيران، فقصده الطلاب له شعر رائق جمعه أخوه عبد الرحمن في ديوان كبير، وله قصيدة ضمنها أقسام الحديث على غرار قصيدة «غرامي صحيح»، توفي عام ١٣٥٨ هـ عن سبعة وثلاثين عامًا. راجع ترجمته وشيئا من لطيف شعره في «نزهة النظر» (٢/٤٦١-٤٦٦)، و«الموسوعة اليمنية» (٢/٦٧٩).

وفي أحد الأيام دعى الإيرانيون القضاة اليمنيين لتناول طعام الغداء في أحسن المطاعم خارج العاصمة طهران ، وهذا المطعم كانت جدرانه وسقفه كلها من المرايات والزجاج حتى يظن الداخل كثرة الناس وازدحامهم ، وما هي إلا صور الداخلين أنفسهم انعكست على جميع المرايا المحيطة بالمكان ^(١) ، ثم قدّموا لهم أفخر الطّعام ، فكان القاضي العمراني - حفظه الله - لا يقبل على الأكل ، فلمّا لاحظ الإيرانيون هذا ، سألوه ودعوه إلى مزيد من الطّعام ، وسألوه إن كان يشتهي طعاماً آخر ؟ فبيّن لهم القاضي محمّد أن هذه طبيعته في الطّعام ، وأنّه لا يأكل إلا قليلاً ^(٢) ، فلم يرتضوا بهذا الجواب ، وأخذوا في الإلحاح عليه والتأكيد بأن يأكل ، فأخرج القاضي ، وأراد أن يخرج من هذا الإحراج ، فقال لهم :

تَمَلَّكَ بَعْضُ أَكْمَلِكْ كُلِّ بَطْنِي فَإِنْ تَرِدَ الزِّيَادَةَ هَاتِ بَطْنًا
فلما ترجمها المترجم للجالسين على المائدة التي عليها القاضي محمّد ، فأخبروا فضحك الجميع ، وعكست الجدران الزجاجيّة هذا الضّحك ، فأصبح الحال كأنّ المطعم كله يزبائنه وجدرانه وسقفه كأنّه يضحك ، فمال القاضي محمّد على القاضي الشماحي ، وقال : كلُّ هؤلاء يضحكون على حسابي ... ! .



(١) وهذا ما وقع للقاضي الشماحي ، فإنّه لما دخل المطعم تصوره مُزدحمًا جدًّا ، فمال على القاضي العمراني ، وقال له : هذا المطعم مليء بالناس ، فرد عليه القاضي العمراني : لا تضحك الناس علينا...! هذه صورنا ، لاحظ عمائمنا في المرايا .

(٢) من طبيعة القاضي محمّد - حفظه الله - أنّه لا يعجبه إلا الأكل اليمني الصنعاني ، فلا يعجبه ما لذ وطاب من الأكلات المصريّة والشاميّة والإيرانيّة ، وغيرها .

﴿ ٧٢ ﴾ أمير الشعراء وسيف الإسلام

كان سيف الإسلام ^(١) محمد بن الإمام يحيى حميد الدين شاباً نابغاً ، درس علوم الشريعة ، وألم بثقافة عصره ، وكان يتوقّد فطنة وذكاء مع كرم أخلاق وتواضع وصفاء سريرة ، وشرف نفس وعلو همّة ، وكان محبوباً من الناس كلّهم سواء كانوا من الأسرة الحاكمة أو من الرعيّة المحكومة ، وحدث في ١٦ من ذي الحجة سنة ١٣٥٠ هـ أن كان سيف الإسلام محمد في الحديدية ، وفي بحر الحديدية (أي البحر الأحمر) حاول السيف محمد إنقاذ أحد أتباعه من الغرق ، فغرق هو - رحمه الله - وحزنت الدنيا كلها ، وعلى رأسهم والده الإمام يحيى ورثاه الشعراء من اليمن ومن خارج اليمن ..

ومن رثاه من مصر أمير الشعراء أحمد شوقي بك بقصيدة نشرتها الصحف المصرية ، وهي :

مَضَى الدَّهْرُ بِابْنِ إِمَامِ الْيَمَنِ	وَأَوْدَى بِزَيْنِ شَبَابِ الزَّمَنِ
وَبَاتَ بِصَنْعَاءَ تَبْكِي السَّيُوفَ	عَلَيْهِ وَتَبْكِي الْقَنَا فِي عَدَنِ
وَأَعْوَلُ نَجْدٍ وَضَجَّ الْحِجَازُ	وَمَالَ الْحُسَيْنِ فَعَزَّى الْحَسَنُ

(١) ولد - رحمه الله - ليلة النصف من شهر رمضان سنة ١٣١٦ هـ وحفظ القرآن والمختصرات وأخذ في علم النحو والفقه عن العلامة أحمد بن قاسم الشمط والقاضي عبد الوهاب بن محمد المجاهد والسيد حسين بن محمد أبو طالب والسيد حسين بن محمد أبو طالب والسيد محمد بن أحمد بن قاسم حميد الدين ، والقاضي إسحاق بن عبد الله المجاهد وشيخ الإسلام القاضي علي بن علي اليمني ، واستجاز منه ومن والده الإمام يحيى ومن السيد العلامة زيد بن علي الديلمي ومن المولى الحسين بن علي العمري فأجازوه كما طلب الإجازة من علماء الأقطار النائية كالأستاذ محمد حبيب الله الشنقيطي والسيد أحمد الغماري وغيرهما ، وتوفي شاباً غريقاً - شهيداً إن شاء الله - سنة ١٣٥٠ هـ ، وعمره (٣٤) سنة . راجع ترجمته في « نزهة النظر » (٥٩٨/٢ - ٦٠٣) .

ومنها :

وَمَصْرُ الَّتِي تَجْمَعُ الْمُسْلِمِينَ
تَعْزِي الْيَمَانِينَ فِي سَيْفِهِمْ
وَتَعْقِدُ فِي مَاتِمِ ابْنِ الْإِمَامِ
وَتَنْثُرُ رِيحَ حَانَتِي زَنْبِقِ
مَتَى صِرْتُ يَا بَحْرُ غَمَدِ السُّيُوفِ
كَمَا اجْتَمَعُوا لِاسْتِلَامِ الرُّكْنِ
وَتَأْخُذُ حِصَّتَهَا فِي الْحَزَنِ
وَتَبْكِيهِ بِالْعَبَرَاتِ الْهَتَنِ
مِنْ الشُّعْرِ فِي رَبَوَاتِ الْيَمَنِ
وَكُنَّا عَهْدُنَاكَ غَمَدَ السُّفَنِ

إلى آخر القصيدة (١) .

فلما وصلت القصيدة إلى الإمام يحيى حميد الدين شكر لشوقي مشاركته وأرسل برقية إلى والي الحديدة بأن يرسلوا إلى أحمد شوقي بك هدية من البن اليمني الفاخر ، فوصلت إلى شوقي ، وهو على فراش الموت في محرم ١٣٥١ هـ ، فلم تفتح حتى توفي أحمد شوقي ، وعمل له العزاء ، وكان يقدم للناس البن على قاعدة أهل مصر (٢) ، وكان هذا من البن الذي أرسله الإمام ، فإذا امتنع أحد من الناس من شرب البن ، قالوا له : هذا بن تأريخي ، وحكوا له قصته الغريبة ! .



(١) راجع معظم القصيدة في المصدر السابق « نزهة النظر » (٦٠٢/٢-٦٠٣) ويلاحظ ضعفها ؛ لأنها من آخر ما كتب شوقي ، وهو على فراش الموت وقد ضعفت حرارة شعره .
(٢) وهي من البدع المشهورة في مصر .

(٧٣) اشام من جبة احمد السياغي

يحكي القاضي محمد :

كَانَ العلامة القاضي يحيى أحمد السياغي ^(١) من الأحرار ، وعندما قامت حركة ١٩٥٥م بقيادة المقدم أحمد الثلايا ، كان أحد عناصرها الرئيسيين ، ومارس دوراً تحريضياً في أوساط العلماء على مبايعة إمام الحركة السيف عبد الله بن الإمام يحيى ^(٢) ، وإرغام الإمام أحمد على التنازل لأخيه ، وكان ضمن وفد ثيافة الحركة إلى الإمام للحصول على تنازل خطي عن العرش ، وقد حرر أحمد التنازل بخطه ، واستطاع الإمام أحمد أن يفلت من المحاصرين له ويستعيد زمام الأمور ، وفشلت حركة المقدم الثلايا ، فقبض على القاضي يحيى السياغي والقاضي عبد الرحمن الإيراني ، وأمر الإمام بإرسالهما إلى دار صالة مع التحفظ عليهما ، فظنوا أنه لن يقتلهما ؛ لأنه لم يرسلهما إلى الحبس بل أرسلهما إلى هذه الدار - وهي دار في تعز يستقبل فيها الإمام ضيوفه - وقال الإمام أحمد لمن حوله : سنضحي غداً بكبشين أقرنين أملحين ، ومراده السياغي والإيراني ، وأرسل الإيراني مراجعة للإمام أحمد ، وأنه ليس له يد في الانقلاب ، وصدقه الإمام أحمد فعفا عنه ، وفي اليوم الثاني (وهو

(١) راجع المزيد من ترجمته في « الموسوعة اليمنية » (١٠١٧/٢) وإذا أردت أن ترى « جبة السياغي » فراجع « الطريق إلى الحرية » (٢٠٧) .

(٢) أمير سياسي ، تخرج من المدرسة العلمية ، وكان ملماً بثقافة عصره ، تولى لأبيه وزارة المعارف ، ثم عينه أميراً على الحديدة ، وعندما قامت ثورة الدستور ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م ، وقتل أبوه الإمام يحيى كان في القاهرة ، وعندما فشلت عينه أخوه أحمد وزيراً للخارجية فقام بجولة في بعض البلاد العربية واستمر في منصبه حتى أعلن نفسه إماماً في انقلاب المقدم الثلايا ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م ، وفشلت الانقلاب أمر أخوه الإمام أحمد بإعدامه مع أخيه العباس بن يحيى وآخرين من القادة السياسيين . راجع « الموسوعة اليمنية » (٦٢٧/٢) .

الموافق ٢١ من شعبان ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م) أمر الإمام أحمد بضرب عنق القاضي السياغي في ميدان الكرة (ميدان الشهداء بتعز) فأخرج السياغي، وعمره يتجاوز الخمسين عاماً، وتقدّم السيّاف - وهو من بيت الوشاح - لقتل السياغي، وكان السياغي يرتدي جبة (أو دجلة، بلغة أهل صنعاء) فأمره السيّاف الوشاح بخلعها، ثمّ ضرب عنقه، وأخذ السيّاف الوشاح جبة السياغي لنفسه، ثمّ مرت فترة، واتهم الوشاح بقتل عسكري، فحوكم الوشاح، فحكم عليه بالقتل، وكان الوشاح هو السيّاف، فلما أرادوا قتله، طلبوا من يقتله، فلم يجدوا إلاّ محبوساً من قبيلة الزرائق، فطلب منه أن يضرب عنق الوشاح، فتقدم لقتله، وصادف أنّ الوشاح كان يرتدي جبة السياغي في ذلك اليوم، فأمر الزرنقي الوشاح بخلعها، فخلعها، ثمّ ضرب عنقه، وأخذ الزرنقي جبة السياغي.

ثمّ بعد فترة، قامت ثورة السادس والعشرين من سبتمبر ١٩٦٢م، وجاء الزرنقي إلى المشير عبد الله السلال في مكتبه يهنئ بالثورة ويبارك للسلال، فعرفه السلال، فقال للجند: خذوه لفلان حتّى ينظر له وظيفة، وأشار عليهم بقتله، فأطلق عليه الرصاص رجل يُسمّى الهدّام، وصادف أنّ الزرنقي كان مرتدياً جبة السياغي، فأخذها الهدّام، ثمّ مرت فترة، وقامت فتنة، قتل فيها الهدّام، وهو يرتدي جبة السياغي، ثمّ لم يعرف بعد ذلك أين ذهبت تلك الجبة^(١)، ولما كان الأمر بهذه الصورة: أنّ كلّ من لبس جبة السياغي قُتل،

(١) من الأمثال: «قصاص الغيب وهم لا يعلمون»، يضرب في القاتل قد ينجو من القصاص، ولكنه لا يموت إلاّ قتلاً، ومن طريف ما يذكر بهذه المناسبة أنّ جندياً نظامياً من جنود الإمام يحيى حميد الدين قتل رجلاً، وحكم عليه بالقصاص، وحينما سيق إلى الميدان العام لتنفيذ الحكم فيه تدخل الأمير عليّ ابن الإمام يحيى حميد الدين لإيقاف القصاص على أن يرضي أولياء الدم بدية قتيله،

قيل فيها : « أشأم من جبة السياغي » ^(١) !! .

● قلت : ومما يناسب ذلك - وكان مما يحكيه القاضي محمد - وأورده صاحب « المستطرف » (١٩/١) ، فقال : « وحكي أن رجلاً جلس يوماً يأكل هو وزوجته وبين أيديهما دجاجة مشوية ، فوقف سائل بيابه ، فخرج إليه وانتهره ، فذهب السائل ، فاتفق بعد ذلك أن الرجل افتقر ، وزالت نعمته وطلق زوجته ، وتزوجت بعده برجل آخر ، فجلس يأكل معها في بعض الأيام ، وبين أيديهما دجاجة مشوية ، وإذا بسائل يطرق الباب ، فقال الرجل لزوجته : ادفعي إليه هذه الدجاجة ، فخرجت بها إليه ، فإذا هو زوجها الأول ، فدفعت إليه الدجاجة ، ورجعت وهي باكية ، فسألها زوجها عن بكائها ، فأخبرته أن السائل كان زوجها ، وذكرت له قصتها مع ذلك السائل الذي انتهره زوجها الأول ، فقال لها زوجها : أنا والله ذلك السائل » !! .



== فقبلوا الدية ، وأنقذ الجندي من الموت ، وأخذ علي ابن الإمام يحيى عنده ، وكلفه بالإشراف على حديثه ، وذات يوم تعطلت المضخة ، فنزل الجندي إلى البئر ؛ لإصلاح العطب الذي لحق بالمضخة ، فسقطت عليه قطعة حديد ففصلت رأسه عن جسده كما لو كان قطع بالسيف ، وفي المثل أيضاً : « قضا لما مضى » أي أن ما حدث له إنما هو عقوبة من الله لما أسلف من جرائم . راجع في ذلك « الأمثال اليمنية » للقاضي إسماعيل الأكوخ (٨١١/٢ - ٨١٢) .

(١) إذا أردت المزيد عن « ثورة الثلاثا » ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥ م وفشلها وضحاياها ، فراجع « أنا عائد من جنوب الجزيرة العربية » لأحمد السقاف (١٧-٦١) ، وترجمة أحمد بن يحيى الثلاثا ، (١٣٣٦هـ - ١٣٧٤هـ) في « الموسوعة اليمنية » (٦٤/١ - ٦٥) .

﴿٧٤﴾ أكذب على الله؟

يحكي القاضي محمد - حفظه الله - :

كان الزمان عصر يوم عرفة ، وكان الناس في مسجد غزل الباش ^(١) يصيحون بعد الصلاة : « الله أكبر الله أكبر ، لا إله إلا الله والله أكبر ... الحمد لله على ما هدانا وأولانا من بهيمة الأنعام » ^(٢) ، وفوجئ الناس بسادن المسجد أحمد بريم يقول بصوت مرتفع : « الحمد لله على ما هدانا وأولانا من لبن بيت القشام » ^(٣) ، فاستغرب الناس هذا الكلام ، وقالوا له : ما لك ؟ فقال : أكذب على الله ؟! كل منكم عنده كبش سيذبحه ، فهو يقول بصدق : «... من بهيمة الأنعام » ، أما أنا فقير ، فأصبح في يوم العيد وفي يدي إناء أذهب به إلى بيت القشام لأشتري قليلاً من اللبن ، فهل أكذب على الله وأحمده على بهيمة الأنعام وليس عندي منها شيء ؟! فضحك الناس من ذكائه ، وجمعوا من كل واحد منهم مبلغاً ، وأعطوا الشيخ أحمد بريم ؛ ليشتري له كبشاً ، فما جاء المغرب إلا وقد اشترى كبشاً عظيماً ، فلما جاء الناس ليكبّروا بعد صلاة المغرب رفع الشيخ أحمد صوته ومدّه في كلمة « ... من بهيمة الأنعام » ، فضحك الناس ونظروا إليه ، فقال : نعم ، هذا صوته يملأ البيت .

(١) مسجد غزل الباش من المساجد العامرة في صنعاء القديمة شرقي مسجد الفليحي على طريق مسجد الزمر ، عمره الأمير محمد قزل باشا من الأتراك سنة ٩٨٧هـ ، وقد جدد عمارته وزاد فيه الأمير المجزي في القرن الحادي عشر . راجع « مساجد صنعاء » للحجري (٨٧) .

(٢) هذا التكبير هو المعمول به في بلاد الهادوية من عصر عرفة إلى آخر أيام التشريق ، قال في « الأزهار » : « وتكبير التشريق سنة مؤكدة عقيب كل فرض من فجر عرفة إلى آخر أيام التشريق » . راجع « رحيق الأزهار » للشامي (٢٨) .

(٣) القشام هو الذي يزرع القشمي وهو الفجل والكراث والثوم . راجع « الموسوعة اليمنية » (٨٩٨/٢) - (٨٩٩) ، و« البنية القبلية في اليمن » لفضل أبو غانم (١٨٤) .

﴿ ٧٥ ﴾ صنائع المعروف تقي مصارع السوء ^(١)

كان الحاج محمد البليلى من كبار تجار صنعاء في أيام استيلاء الأتراك على صنعاء ، بل كان كبير التجار ومن المستشارين للدولة العثمانية ، وكان الإمام يحيى حميد الدين ما زال في القفلة ، ولم يستول على صنعاء ، وكان البليلى يرسل بالزكاة إلى الإمام يحيى حميد الدين سرّاً بدون علم الأتراك ، ولو علموا بذلك لاعتبروه خائناً لهم ، وفي أحد الأيام كان الشيخ محمد البليلى جالساً مع أصحابه ومحبيه وفي جيوبه ورقتان ، ورقة عبارة عن سند من الإمام يحيى حميد الدين بتسليم الزكاة ورقة فيها حسابه المالي مع الترك ؛ لأن البليلى كان يورد للأتراك ما يحتاجونه من المواد الغذائية ، وقد كتب ما له من الفلوس عند الترك في هذه الورقة ، وأراد أن يرسل بها رسولاً إلى الوالي التركي في صنعاء ، وفعلاً أخرج الورقة من جيبه - ظاناً أنها ورقة الحساب بينه وبين الترك - وأرسلها مع أحد أتباعه إلى الوالي ، وبقي البليلى واقفاً في المجلس ، فطلب أصحابه منه أن يجلس ، فقال : لا ؛ لأنّ في جيبى ورقة خطيرة لو علم بها الترك لأهلكوني ، سأضعها في الخزانة أولاً ، ليطمئن قلبي ، وأخرج الورقة من جيبه ، فصعق حينما وجد أنّه قد أرسل « سند الزكاة » بدلاً من « ورقة الحساب المالي » ، وصارح أصحابه بما حدث ، فاسترجعوا ، وكلهم توقعوا أن يقع شر بالبليلى ، فما كان من البليلى إلا أن أخرج « ٥٠٠ ريال فرائضة » ، وطلب من أولاده أن يخرجوا فيتصدقوا بها كلها على العجائز والأرامل

(١) روى الطبراني بإسناد حسن عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « صنائع المعروف تقي مصارع السوء ، وصدقة السر تطفئ غضب الرب ، وصلة الرحم تزيد في العمر » راجعه مع أحاديث أخرى في فضل الصدقة وردّها السوء عن العبد في « المتجر الرابع في ثواب العمل الصالح » للحافظ الدميّطي - رحمه الله - .

والمستورين عسى أن يدفع الله بها عنه ما يتوقع من شر الوالي التركي ، ولم تمر دقائق إلا وقد جاء رسول من الوالي التركي يطلب حضور البليبي عنده حالاً ، فخرج البليبي ، وهو سيودّع أهله وأصحابه ويسترجع ويؤكد عليهم في إخراج الصدقة ، وركب فرسه وذهب ليقابل الوالي وليس في ذهنه ما يرد أو يعتذر به عند الوالي ، ودخل البليبي على الوالي التركي ، والوالي يشتاط غضباً وحقدًا عليه ، فما إن دخل الحاج محمد البليبي صاح الوالي التركي : هكذا اتضحت حقيقة يا بليبي تتظاهر بأنك معنا ، وتراسل ابن حميد الدين سرّاً ، الآن ظهرت خيانتك وغشك وخداعك ، ولعبك على الجبال كلها .

ووقع في قلب الحاج محمد البليبي أن يقول : سبحان الله ! أتظن أيها الوالي أنني سكران حتى أرسل إليك السند هكذا .. لقد أرسلته لأعلمك كيف أخسر من أجل الدولة العثمانية ؟ فقال الوالي : كيف ؟ فقال البليبي : أنما ما هادنت ابن حميد الدين وأرسلت إليه هذه الفلوس إلا من أجلكم . فقال الوالي : عجيب .. وضّح لي ما تريد . فقال البليبي : أنا إذا لم أرسل هذه الفلوس سيرسل ابن حميد الدين من يلقي كيس البارود إلى وسط بيتي ، فإذا انفجر أخرب البيت ، وليس خوفي على البيت ، فهناك غيره وأستطيع أن أهاجر إلى ابن حميد الدين ، فأنا ابن صنعا وهو ابن صنعا .

ولكن أنا همي عليكم إذا فُجّر البيت ، ستشر الصحف في اسطنبول أن الترك لم يستطيعوا السيطرة على الوضع في اليمن ، ولا حتى في العاصمة صنعاء .. أتقول لي هذا الكلام وأنا عاديّة الناس من أجلكم ، عاديّة ابن حميد الدين وأهل صنعاء محبة ووفاء لكم ، وهكذا تتعاملون مع رجالكم .. كل ما في الأمر أنني لم أجد معي فلوساً ، فأرسلت إليكم هذا الصك الذي

دَفَعْتُهُ مِنْ أَجْلِكُمْ ، مِنْ أَجْلِ أَنْ تُعْطُونِي مَا دَفَعْتُ .

فَدُهِشَ الْوَالِي وَلَمْ يَدْرْ مَا يَقُولُ ، ثُمَّ أَخَذَ يَعْتَذِرُ وَيَتَأَسَّفُ ، فَتَشَجَّعَ الْبَلِيلِي ، وَقَالَ : لَا يَكْفِي هَذَا ، أَعْطِنِي الْخَمْسَمِائَةَ رِيَالِ الْفِرَانَصِي ، فَأَخْرَجَهَا الْوَالِي مِنَ الْخَزِينَةِ وَأَعْطَاهَا لِلْبَلِيلِي ، فَعَادَ الْبَلِيلِي إِلَى بَيْتِهِ وَهُوَ يَحْمَدُ اللَّهَ وَيَهْلِلُهُ وَيَكْبِرُهُ ، وَوَجَدَ أَهْلَهُ وَأَصْحَابَهُ فِي غَايَةِ الْقَلْقِ وَالْانْزِعَاجِ ، فَطَمَأْنَهُمْ وَحَكَى لَهُمْ مَا وَقَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْوَالِي التُّرْكِيِّ ، وَقَالَ : دَفَعَ اللَّهُ عَنِّي بِالْصَّدَقَةِ ، وَعَادَ إِلَيْنَا مَا أَخْرَجْنَاهُ وَرَبِحْنَا الْأَجْرَ وَالثَّوَابَ ! .

● قُلْتُ : وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ ثَلَاثَ حِكَايَاتٍ :

الأولى :

ذَكَرَهَا الْقَاضِي أَحْمَدُ قَاطِنٌ فِي « دُمِيَّةِ الْقَصْرِ » فِي تَرْجُمَةِ الْعَلَامَةِ أَحْمَدَ بْنِ عَيْسَى الْكُوكْبَانِيِّ الشَّامِيِّ ، الْمُتَوَفَى فِي الْقَرْنِ الثَّانِي عَشَرَ ، فَقَالَ : « ... وَأَخْبَرَنِي - أَيُّ أَحْمَدَ بْنِ عَيْسَى الْمَذْكُورِ - أَنَّ زَوْجَتَهُ مَرَضَتْ مَرَضًا شَدِيدًا ، فَأَخْرَجَ فِي مَكِيلٍ شَيْئًا مِنَ الطَّعَامِ ، وَنَزَلَ إِلَى الْبَابِ ، فَأَعْطَاهُ فَقِيرًا ، ثُمَّ عَادَ إِلَى زَوْجَتِهِ ، فَإِذَا هِيَ قَدْ أَفَاقَتْ وَذَكَرَتْ أَنَّهَا رَأَتْ رَجُلَيْنِ فِي الْهَوَاءِ فِي يَدِ أَحَدِهِمَا حَرَبَةٌ يَرِيدُ أَنْ يَطْعَنَهَا بِهَا ، فَحَالَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْحَرَبَةِ مَكِيلٌ ، ثُمَّ لَمْ تَرِ بَعْدَ ذَلِكَ شَيْئًا ، وَأَفَاقَتْ وَعَرَفَتْ مِنْ عِنْدِهَا ، هَذَا مَعْنَى مَا أَخْبَرَنِي بِهِ رَحِمَهُ اللَّهُ وَهُوَ بِمَحَلٍّ مِنَ الدِّيَانَةِ وَالْأَمَانَةِ ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ فَضْلًا عَنْ كَوْنِهَا مَنْسَأَةً فِي الْأَجْلِ كَصَلَةِ الرَّحْمِ » أ. هـ .

نَقْلًا عَنْ « نَشْرِ الْعَرَفِ » لَزِبَارَةِ (٢٠١/١) فِي تَرْجُمَةِ الْعَلَامَةِ أَحْمَدَ بْنِ عَيْسَى الْمَذْكُورِ رَقْمَ (٦٧) .

الثّانية :

ذكرها العلامة زبارة في « نشر العرف » (٤٨٩/١) في ترجمة الفقيه العلامة الحسن بن صالح العفاري وقم (١٤٤) قال تحت عنوان « آية غريبة » : « ومن قرابة صاحب التّرجمة الفقيه أحمد بن صلاح العفاري صاحب الغريبة التي ذكرها صاحب « نسمة السحر » ، ثمّ صاحب « نفحات العنبر » في ترجمة القاضي الحافظ محمّد بن الحسن بن أحمد الحيمي الشّامي المتوفى سنة (١١١٥ هـ) خمس عشرة ومائة وألف ، وهي أنّ القاضي المذكور أخبر صاحب « نسمة السحر » فقال : إنّ رجلاً اسمه أحمد بن صلاح العفاري الفقيه من سكّان قلعة شهارة ، أعرفه أنا وغيري بالصلاح والزّهد مرض وأغمي عليه وأيسر منه أهله ووجهوه إلى القبلة وقعدوا يقرأون القرآن حوله ، واتفق أنّ مسكيناً جاء إلى بابه ، فأعطته زوجته حبّاً في طبق ، ثمّ بعد مُضي السّائل ، أفاق الفقيه وطلب مأكولاً وكلمهم ، وقال : بينما أنا في شدّة عظيمة لا أغفل إذ دخل عليّ من هذا الباب شخص كالجزار مشمر عن ساقيه وذراعيه ، وبيده سكين ، فأخرج من نطاقه مسنّاً وجعل يسن السكين ، ثمّ تقدّم إليّ ليذبحني ، وقعد فوق صدري وأنا شاخص إليه ، وله هيبة ومنظر موحش ، فبينما هو في تقوية الذبح ، إذ انفلق السقف ونزل منه شخصان أبيضان في غاية الوسامة وطيب الرائحة ، وبید أحدهما طبق فيه حب ، فكفاه عن قتلي وساراه بشيء ، وأشارا إلى الطّبق ، وفهمت منهما أنّ الله زاد في عمري ببركة الصّدقة ، فردّ السكين ، وقالوا له : اذهب إلى فلان جار لي ، ثمّ صعدا إلى السّقف الذي نزلا منه ، وخرج ذلك الشّخص ، فسمعت الصراخ في دار جاري ، وهذه القصة من غريب المنقولات . انتهى .

الثالثة :

كان ابن الفرات أبو الحسن علي بن محمد الوزير المعروف في عهد
العبّاسيين يتتبع أبا جعفر بن بسطام بالأذية ويضطهده بالمكارة ، ويذل رجولته
أمام الناس ، وكانت أم أبي جعفر قد عودته منذ أن كان طفلاً أن تضع تحت
وسادته التي ينام عليها رغيفاً من الخبز ، فإذا كان من الغد تصدّقت به على
الفقراء ، فلمّا كان بعد مدة من أذية ابن الفرات له ، دخل ابن الفرات على
أبي جعفر مفزوعاً ، وقال له : لك مع أمك خبر في رغيف ؟ فأجابه : لا .
فقال : لا بدّ أن استصدقني ، فذكر أبو جعفر الحديث على سبيل التطايب بذلك
من أفعال النساء ، فقال ابن الفرات : لا تفعل (أي لا تتكلم بهذا ساخراً)
فإنّي بتّ البارحة ، وأنا أدبر عليك تدبيراً لو تمّ لاستأصلتك ، فنمت ، فرأيت
في منامي كأن بيدي سيفاً ، وقد قصدتك لأقتلك ، فاعترضتني أمك بيدها
رغيف تدافع به عنك وتدفعني بعيداً ، فما وصلت إليك . بعد ذلك تصافيا ،
وقال له ابن الفرات : والله لا رأيت مني بعدها سوءاً أبداً .

راجع مجلة « العربي » العدد (٤٣٦) .



﴿٧٦﴾ لو أنت يهودي يا شوكانني..!

يحكي القاضي محمد - حفظه الله - فيقول :

كَانَ الشوكاني - رَحِمَهُ اللهُ - ١٢٥٠ هـ إماماً مُتحرراً في الفقه يتبع الدليل ، وكان سلفي العقيدة ، وكان يدرس طلبه العلم في الجامع الكبير وغيره من مساجد صنعاء العامرة ، وكان هناك فقيه زيدي معتزلي جامد يجلس في ناحية من المسجد ، ويعاكس الشوكاني ويشوش عليه .

وفي أحد الأيام جاء الشوكاني - رحمه الله - للدرس ، وبعد أن انتهى من التدريس تعجّب من غياب الفقيه المذكور ، فقليل له : إنه مريض في بيته ، فقال الشوكاني : لابد من زيارته ، فقام الشوكاني - رحمه الله - والطلبة معه لزيارة هذا الفقيه في بيته وكان فقير جداً .

فلما وصل الشوكاني وطلبته إلى حجرة هذا الفقيه تعجّب جداً ؛ لأنه لم يتوقع أن يزوره الشوكاني بسبب ما بينهما من خلاف وبسبب مُشاكية هذا الفقيه ، وقبل أن يخرج الشوكاني وضع في يد الفقيه فلوساً ، وقال : هذه لك أنفقها في مصلحتك ، فتأثر الفقيه تأثراً كبيراً حتى دمت عيناه ، وقال : اسمع يا شوكانني ، والله لو أنت يهودي لأدخلك الله الجنة .. ! .



﴿ ٧٧ ﴾ الحمد لله أن قدر رضوا بي..!

أو بالصنعانية: «كودهم رضوا بي»

يحكي القاضي محمد - حفظه الله - فيقول ^(١) :

يُحكى أن رجلاً أراد أن يتزوج بامرأة ، فأرسل صديقاً له ليخطبها لمن أبهله ، ولكنه ذهب فخطبها لنفسه ، ولما عاد إليه سأله عما فعل ؟ فقال : لقد خطبتها لنفسي . فقال : وكيف ذلك وأنا قد أرسلتك لتخطبها لي ، فتخطبها لنفسك ؟

فقال : كودهم رضوا بي (والكود : في اللهجة اليمنية الحصول على الشيء بمشقة وعسر والمعنى : أي بصعوبة ومشقة أو بالكاد استطعت أن أقنعهم أن يزوجوني ، فكيف سأستطيع أن أقنعهم أن يزوجوك ؟!) ^(٢) .

﴿ ٧٨ ﴾ قد سمع فيه...!

يضرب القاضي العمرانيّ هذا المثل لمن حصل على شيء ، وهذا الشيء فيه مضرته وأذيته وقصة هذا المثل : أن رجلاً - من بير العزب - كان له حظيرة عنب ، وكان عنبها رديئاً شديد المرارة والحموضة ، فدخل سارق إلى حظيرة العنب هذه وسرق منها عنباً ، فتنبّه له صاحب العنب ، ولكنه فرّ من بين يديه ،

(١) راجع « الأمثال اليمنية » للأكوع (٨٨٧/٢) رقم (٣٦٥١) .

(٢) في « الأمثال اليمنية » : « لا تمكن عزب يخطب لك ، يخطب لنفسه قبلك » راجع « اللهجة اليمنية » لزيد عنان (١٧) وفي الأمثال اليمنية للأكوع (٩٣٥/٢) : « لا تمكن مولمي يلصي لك ولا عزب يخطب لك » ومعنى تمكن : تكلف ، والمولمي هنا : المعتاد على تدخين المداعة (أي الترجلية أو الشيثة) ويلصي : يشعل .

فجرى خلفه يطارده ، ويُناشد المارة أن يُساعدوه في القبض على السّارق ، فسأله ضيفه عن السبب - وكان يعلم رداءة العنب ، لكونه قد أكل منه ، إذ كان ضيفاً في تلك الليلة على صاحب العنب - فقال : لقد أكل وسرق من عني ، فأجاب الضيف بقوله : قد سمّه فيه (أي أن ما أكله كاف لمعاقبته على السرقة) (١) .. ! .

(٧٩) الدين قبل الورثة

يحكي القاضي محمّد - حفظه الله - فيقول (٢) :

خرج مُفتي ذمار القاضي أحمد بن أحمد العنسي إلى البادية لقسمة تركة رجل بين ورثته ، وتبيّن للقاضي - وهو يُقسّم التركة - أن على المتوفى ديناً ، فأخذ يُخرج الدّين من أصل التركة ، قبل فرز الأنصبة وتعيينها لكل منهم ، فاعترض عليه الورثة ، ورفضوا حجّته ، فبيّن لهم قول الشرع وحكمه في ذلك ، وقرأ عليهم قوله تعالى : ﴿ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ ﴾ [النساء : ١١] فلم ينصاعوا ، فأخذ القاضي العنسي يعد نفسه للتخلي عن هذه المهمّة والعودة إلى ذمار ، وفجأة تذكر قولاً مشهوراً لعلي بن زايد ، فقال لهم : يقول علي بن زايد : « الدين قبل الورثة » فما كاد الورثة يسمعون هذا القول حتّى استجابوا للقاضي ، وقالوا : اقسم يا قاضي .

● قلت : فاعجب لأمر هؤلاء واحمد الله على المعافاة إذ لا يستجيون لقول العلي العظيم ، وإذا سمعوا الموروث الشعبي ، قالوا : سمعنا وأطعنا !!! .

(١) راجع : الأمثال اليمنية ، للأكوع (٧٩٨/٢) رقم (٣٢٢٦) .

(٢) راجع : الأمثال اليمنية ، للأكوع (ص هـ) .

﴿ ٨٠ ﴾ يوم أنت ويوم هي

يحكي القاضي محمد - حفظه الله - (١) :

أراد أحد الأشخاص أن يتزوج فتاة لتُساعد أمه ، وأراد أن تكون مُثَقَّفة مُتعلّمة وخطب امرأة على الصفة التي أراد وتزوجها وزفت إليه ، وفي صبيحة يوم العرس جلست تُطالع في الصحف والمجلات ، والأم تعمل في البيت ، وتُعزّي نفسها بأن تقول : مازالت في أيام العرس ، ومن المؤكد أنها ستساعدني بعد هذه الأيام ، ومرّت أيام وبعدها أيام ، والفتاة تجلس تُطالع الصحف والعجوز تكنس وتطبخ وتخدم .. فاشتكت إلى ولدها زوج الفتاة المُثَقَّفة ، فاتَّفقا على حيلة ظنّا أنها ستجعلها تستحي وتقوم لمُساعدة الأم ، وهي أن تقوم العجوز بالكُسن ، فيدخل ولدها - وقد جاء من العمل - فيقول : يا أمي ، أنت كبيرة يجب أن تستريح ، دعيني أكُسن أنا ، فتُجيب الأم : يا إبني أنت رجل والكنس والطبخ والخدمة من عمل المرأة ، وارتفعت أصواتهما في هذا الشَّان ، والفتاة جالسة تُطالع في الصحف ، فالتفت إليهما ، وقالت : دعوا الصِّباح والجدل ، الأمر سهل ، قسّما العمل ، يوم أنت ويوم هي ! .



(١) راجع « اللهجة اليمانية » لزيد عنان (١٣١) وراجع تعليقه على هذا المثل من ص (١٣١) إلى (١٣٥) في الطبعة القديمة لسنة ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م ، وقد حذف هذا التعليق من الطبعة الجديدة .

(٨١) رضي الله عن سيدنا «جدر»

حكى القاضي محمد ، فقال :

سافر رجل قبيلي من قرية جدر للحج أيام الشريف ، فالتقى مع رجل من أهل مكة ، فسأله المكي : ما مذهبك ؟ فلم يفهم وظن أنه يسأله عن بلده ، فقال : جدري ، فقال المكي : ما سمعنا بمذهب يقال له الجدري ، سمعنا بالشافعي بالمالكي بالحنفي بالحنبلي ، ولكن لم نسمع بالجدري .

فظن الرجل الجدري أن المكي يهزأ به ويسخر منه ، فسحب عصا كانت بجانبه ، وأخذ يضرب المكي ، فأخذ المكي يقول : « رضي الله عن سيدنا جدر » « رضي الله عن سيدنا جدر » ، حتى يفلت من ضرب الجدري متوهماً أن جدر اسم إمام مذهب .

● قلت : مما يشبه هذا ما رواه ابن الجوزي في كتابه « القصاص والمذكرين » بسنده إلى الشعبي قال : « بينما عبد الملك جالس وعنده وجوه الناس من أهل الشام قال لهم : من أعلم أهل العراق ؟ قالوا : ما نعلم أحداً أعلم من عامر الشعبي ، فأمر بالكتاب إلي فخرجت إليه حتى نزلت تدمر ، فوافقت يوم جمعة ، فدخلت أصلي في المسجد ، فإذا إلى جانبي شيخ عظيم اللحية قد أظاف (أي أحاط) به قوم ، فحدثهم قال : حدثني فلان عن فلان يبلغ به النبي ﷺ أن الله تعالى خلق صورين في كل صور نفختان نفخة الصعق ونفخة القيامة . فلم أضبط نفسي أن خففت صلاتي ثم انصرفت ، فقلت : يا شيخ ، اتق الله ، ولا تحدثن بالخطأ ، إن الله تعالى لم يخلق إلا صوراً ، وإنما هي نفختان نفخة الصعق ، ونفخة القيامة . فقال لي : يا فاجر ، إنما يحدثني فلان عن فلان ، وترد علي ... ! ثم رفع نعله وضربني بها ، وتتابع القوم علي

ضرباً معه ، فوالله ما أقلعوا عني حتى حلفت لهم أن الله تعالى خلق ثلاثين صوراً ، له في كل صور نفخة ، فأقلعوا عني ، فرحلت حتى دخلت دمشق ودخلت على عبد الملك ، فسلمت عليه ، فقال لي : يا شعبي ، بالله حدثني بأعجب شيء رأيته في سفرك ، فحدثته حديثي المتقدم ، فضحك حتى ضرب برجليه ! .

نقلاً من كتاب « تحذير الخواص من أحاديث القصاص » للسيوطي (٦٩-٧٠) .

﴿ ٨٢ ﴾ المعتبر رضاها ^(١)

حكى القاضي محمد - حفظه الله - ، فقال :

شكى رجل إلى الحسين بن يحيى حميد الدين - حينما كان مقيماً في مدينة ثلا - من رجل آخر رفض أن يزوجه ابنته ، فقال الحسين للشاكي : اذهب وأحضر ما معك من مال أعددته للزواج ، وسوف نزوجك بها ، فذهب وباع جربة (مقدار من الأرض بالإصطلاح اليمني) وأخذ قيمتها وحملها إلى الحسين ، فدعا والد الفتاة ، ولما حضر وطلب منه أن يزوجه الرجل ابنته ، قال : إن ابنتي غير موافقة ولا راضية بهذا الرجل أن يكون زوجاً لها ، فأرسل الحسين من يسأل الفتاة ، فجاء الرد منها بالتأكيد لرأي والدها ، فقال الحسين للشاكي : المعتبر رضاها (قال هذه الجملة بتفخيم الضاد) ، فأجاب عليه الرجل وهو غاضب : كنتم عتقروا الضاد قبل ما نبيع الجربة .

(١) راجع « الأمثال اليمنية » للأكوع (٨٨٧/٢) رقم (٣٦٤٩) رقم (٤٩٤٦) .

وقوله : عتقرحوا : العين في اللهجة اليمنية للتسويق ، أي بمعنى السين أو سوف ، تقرحوا : أي تفجروا ، والمراد هنا نطق الضاد بالتفخيم .

والمعنى : أي كان ينبغي لكم أن تقولوا لي « المعتبر رضاها » وتفخموا الضاد كما شئتم قبل أن أتورط وأبيع قطعة الأرض التي أملكها .
وهذا المثل يُقال لمن يأتي بالفائدة أو النصيحة بعد فوات الأوان ، وعبرة الرجل « كنتم عتقرحوا الضاد قبل ما نبيع الجربة » أصبحت مثلاً .

﴿ ٨٣ ﴾ ذهبت بولد فسادت بولدين

قال القاضي محمد - حفظه الله - :

من الحكايات المتداولة بين أهل صنعاء أن رجلاً فقيراً ، قد بلغ غاية الفاقة والحاجة ، ولدت له زوجته ولدين ، فقال : ما أصنع بولدين ، وليس عندي ما أنفق به على واحد ! .

وقفزت إلى رأسه فكرة ، فقام لينفذها توأ ، فأمر ابنته - وكانت شابة فتية - أن تحمل أحد الطفلين إلى باب المسجد - ولعله الجامع الكبير بصنعاء - عسى أن يلتقطه أحد الناس المحرومين من الأولاد فيأخذه فيريه ، فذهبت الفتاة - وهي خائفة - لتنفيذ ما أمرها به أبوها ، فذهبت إلى المسجد المذكور ووضعت الولد أمام المسجد ، فأبصرها أحد المصلين وهو خارج المسجد - وصادف أن كانت قد وضعت امرأة قبلها طفلاً أمام المسجد - فقال الرجل : ها أنت إذن التي تفعلين هذه الفعلة - أي الزنى - وتأتين بهؤلاء الأولاد وتلقينهم أمام المسجد ، ارفعي هذين الطفلين - وأعطاهما الطفل الثاني الذي

وُضِعَ قبل مجيئها - وإلا فضحتك أمام الناس ، فأجابت : والله ما أتيت إلا بطفل واحد ، هو هذا - وأشارت إلى أخيها - فقال : اسكتي يا مجرمة ، وتحلفين كذباً أيضاً ، وحملها الطفل الثاني ، فحملتهما إلى أبيها وهي لا تستطيع الكلام من وقع المفاجأة .

﴿ ٨٤ ﴾ سلم مال التاجر وإلا اذنت

يحكي القاضي العمراني - حفظه الله - يقول :

ورد في كتب التاريخ والأدب ^(١) أنه كان في عهد الخليفة العباسي المعتضد شيخ من التجار قال : كان لي على بعض الأمراء مال كثير فمأطلني ومنعني حقي ، وجعل كلما جئتُ أطلبه حجبي عنه ويأمر غلمانه يؤذونني ، فاشتكت عليه إلى الوزير ، فلم يفد ذلك شيئاً ، وإلى أولياء الأمر من الدولة فلم يقطعوا معه شيئاً ، وما زاده ذلك إلا منعاً وجحوداً ، فأيست من المال الذي عليه ، ودخلني همٌ من جهته ، فبينما أنا كذلك ، وأنا حائر إلى من أشتكي ، إذ قال لي رجل : ألا تأتي فلاناً الخياط - إمام مسجد هناك - فقلت : وما عسى أن يصنع خياط مع هذا الظالم ، وأعيان الدولة لم يقطعوا فيه ؟ فقال لي : هو أقطع وأخوف عنده من جميع من اشتكت إليه ، فاذهب إليه لعلك أن تجد عنده فرجاً .. قال : فقصدته غير محتفل في أمره ، فذكرت له حاجتي ومالي ، وما لقيت من هذا الظالم ، فقام معي ، فحين عاينه الأمير ، قام إليه وأكرمه واحترمه وبادر إلى قضاء حقي الذي عليه فأعطانيه كاملاً من غير أن

(١) راجع القصة في « البداية والنهاية » لابن كثير (٩٥/١١ - ٩٧) المجلد السادس .

يكون منه إلى الأمير كبير أمر ، غير أنه قال له : ادفع إلى هذا الرجل حقّه وإلا أذنت ، فتغيّر لون الأمير ودفع إليّ حقّي ! ، قال التاجر : فعجبت من ذلك الخياط مع رثائه حاله (أي ضعف حاله وفقره) كيف انصاع ذلك الأمير له؟! ثمّ إنّني عرضت عليه شيئاً من المال فلم يقبل مني شيئاً ، وقال : لو أردت هذا لكان لي من الأموال ما لا يحصى ، فسألته عن خبره وذكرت له تعجّبي منه وألححت عليه ، فقال : إنّ سبب هذا أنّه كان عندنا في جوارنا أمير تركي من أعالي الدّولة ، وهو شاب حسن ، فمرّ به ذات يوم امرأة حسناء قد خرجت من الحمام ، وعليها ثياب مرتفعة ذات قيمة ، فقام إليها وهو سكران فتعلق بها يريدّها على نفسها ليدخلها منزله ، وهي تأتي عليه ، وتصيح بأعلى صوتها : يا مسلمين ، أنا امرأة ذات زوج ، وهذا رجل يريدني على نفسي ويدخلني منزله ، وقد حلف زوجي بالطلاق أن لا أبيت في غير منزله ، ومتى بت ههنا طُلقت منه ، ولحقني بسبب ذلك عار لا تدحضه الأيام ولا تغسله المدامع ، قال لي الخياط : فقمّت إليه فأنكرت عليه وأردت خلاص المرأة من يديه فضربني بدبوس في يده فشجّ رأسي ، وغلب المرأة على نفسها وأدخلها منزله قهراً ، فرجعت أنا فغسلت الدّم عني وعصبت رأسي ، وصليت بالناس العشاء ثمّ قلت للجماعة : إنّ هذا قد فعل ما قد علمتم ! فقوموا معي إليه لننكر عليه ، ونخلّص المرأة منه ، فقام الناس معي ، فهجمنا عليه في داره ، فثار إلينا في جماعة من غلمانهم بأيديهم العصي والدبابيس يضربون الناس ، وقصدني هو من بينهم ، فضربني ضرباً شديداً مبرحاً حتّى أدماني ، وأخرجنا من منزله ونحن في غاية الإهانة ، فرجعت إلى منزلي وأنا لا أهتمدي إلى الطريق من شدّة الوجع وكثرة الدماء ، فتمت على فراشي فلم يأخذني نوم ، وتخيّرت ماذا أصنع حتّى

أنقذ المرأة من يده في الليل ؛ لترجع فبيتَ في منزلها حتى لا يقع على زوجها الطلاق ؟ فألهمت أن أؤذن الصبح في أثناء الليل ؛ لكي يظن أن الصبح قد طلع فيخرجها من منزله ، فتذهب إلى منزل زوجها ، فصعدت المنارة (أي الصومعة عند اليمينيين) وجعلت أنظر إلى باب داره ، وأنا أتكلم على عادتي قبل الأذان ، هل أرى المرأة خرجت ، ثم أذنت فلم تخرج ، ثم صممت على أنه إن لم تخرج أقمت الصلاة حتى يتحقق الصُّباح ، فبينما أنا أنظر هل تخرج المرأة أم لا ؟ إذ امتلأت الطريق فرساناً ورجالة ، وهم يقولون : أين الذي أذن هذه الساعة ؟ فقلت : ها أنا ذا ، وأنا أريد أن يعينوني عليه ، فقالوا : انزل . فنزلت ، فقالوا : أجب أمير المؤمنين . فأخذوني وذهبوا بي لا أملك من نفسي شيئاً حتى أدخلوني عليه ، فلما رأيته جالساً في مقام الخلافة ارتعدت من الخوف وفزعت فزعاً شديداً ، فقال : ادن ، فدنوت ، فقال لي : ليسكن روعك ، وليهدأ قلبك ، ومازال يلاطفني حتى اطمأنت وذهبُ خوفي ، فقال : أنت الذي أذنت هذه الساعة ؟ قلتُ : نعم يا أمير المؤمنين ، فقال : ما حملك على أن أذنت هذه الساعة ، وقد بقي من الليل أكثر مما مضى منه ، فتغرُّ بذلك الصائم والمُسافر والمُصلِّي وغيرهم ؟! فقلت يؤمنني أمير المؤمنين حتى أقصُّ عليه خبري ، فقال : أنت آمن ، فذكرت له القصَّة ، قال : فغضب غضباً شديداً ، وأمر بإحضار ذلك الأمير والمرأة من ساعته على أي حالة كانا ، فأحضرا سريعاً ، فبعث بالمرأة إلى زوجها مع نسوة من جهته ثقات ، ومعهن ثقة من جهته أيضاً ، وأمره أن يأمر زوجها بالعفو والصفح عنها والإحسان إليها ، فإنها مكرهة معذورة ، ثم أقبل على ذلك الشاب الأمير ، فقال له : كم لك من الرزق ؟ وكم عندك من المال ؟ وكم عندك من الجواري والزوجات ؟ فذكر له شيئاً

كثيراً ، فقال له : ويحك ، أما كفّاك ما أنعم به عليك حتّى انتهكت حرمة الله وتعدّيت حدوده وتجرأت على السلطان ؟ وما كفّاك ذلك أيضاً حتّى عمدت إلى رجل أمرك بالمعروف ونهاك عن المنكر ، فضربتته وأهنته وأدميته ؟ فلم يكن له جواب فأمر به فجعل في رجله قيد وفي عنقه غلّ ثمّ أمر به فأدخل في جوالق ثمّ أمر به فضرّب بالدبابيس ضرباً شديداً حتّى خفت ، ثمّ أمر به فألقي في دجلة ، فكان ذلك آخر العهد به ، ثمّ أمر بدرّ صاحب الشرطة أن يحتاط على ما في داره من الحواصل والأموال التي كان يتناولها من بيت المال ، ثمّ قال لي : كلّما رأيت مُنكراً صغيراً كان أو كبيراً ، ولو على هذا - وأشار إلى صاحب الشرطة - فأعلمني ، فإن اتفق اجتماعك بي وإلاّ فعلى ما بيني وبينك الأذان ، فأذن في أي وقت كان أو في مثل وقتك هذا ، قال الخياط : فلهذا لا أمر أحداً من هؤلاء الدّولة بشيء إلاّ امتثلوه ، ولا أنهاهم عن شيء إلاّ تركوه خوفاً من المعتضد ، وما احتجت أن أوذّن في مثل تلك السّاعة إلى الآن.أ. هـ.

● قلت : وقد حكى الأتليدي في « إعلام النّاس بما وقع للبرامكة مع بني العبّاس » (٣٥٤) قصة شبيهة وقعت في مصر في عهد أحمد بن طولون ، فقال : « .. كان - أي ابن طولون - مُشتملاً على خصال حميدة منها : أن فقيراً كان بجواره وله امرأة وبنت ، وكانا يغزلان الصوف لتجهيز البنت ، وإن البنت لم تُفارق البيت وما نظرت إلى السوق قط ولا خرجت ، فسألت أمّها وأباها أن تخرج معهما إلى السوق ، فواعداها بذلك ، فلمّا قصدا بيع الغزل خرجت معهما إلى السوق ، فمروا بباب الأمير المُسمّى بالقليل ، وتمادى الأب والأم وتركاهما ، ولم يشعرا بوقوفهما ، فبقيت البنت حائرة لا تدري أين تذهب ، وكانت ذات جمال عظيم ، فخرج الأمير المُسمّى بالقليل ، فلمّا رآها افتتن بها

فأمسكها ودخل بها ، ثم أمر الجوّاري أن يغسلنها وينظفنها ويلبسنها أحسن الملبوس ، ويطيبنها بأنواع الطيب ويجلينها له ، ففعلن ذلك ، فدخل عليها وأزال بكارتها ، هذا وأبواها قد حزنا عليها ولم يزالا يطوفان عليها جميع الأماكن ، فلم يقعا لها على خبر ، فلم يزالا يبكيان ، فلما جنّ الليل ، وإذا بشخص يطرق الباب ، فخرج أبوها وفتح الباب ، فقال الرجل لأبيها : إنّ الأمير المسمّى بالفيل أخذ ابنتك وأزال بكارتها ، فلما سمع ذلك كاد يجنّ ، وكان لأحمد بن طولون مؤذن ، وكان قد عاهده على أنّه إذا حدثت فاحشة من الفواحش يؤدّن في غير الوقت ؛ ليحضره ويستفهم منه الواقعة ، وكان المؤذن بينه وبين أبي البنت صداقة ، فجاء إليه وأخبره بخبره ، فصعد وأدّن ، فسمعه أحمد بن طولون ، فأرسل خلف ، فأخبره بالقضية ، فاستدعى أبوي البنت وخبأهما في خزانة ، وكان وقت مجيء الفيل للخدمة ، فلما دخل على عادته قال له : نهنيك بالعروس الجديدة ، فقال : ومن أين لي عروس جديدة ؟ قال أتتكر مني ، وهذا أبو الجارية وأمها ؟ فلما رآهنّ نكّس رأسه خجلاً من الأمراء الحاضرين ، فقال له أحمد بن طولون : ارفع رأسك ، ثمّ قال لأبيها : تزوج ابنتك مملوكي هذا على صداق قدره ألف دينار مقدّمة ، وخمسمائة دينار مؤجلة ؟ فقال : نعم ، فأمر بإحضار الشهود وعقد العقد بينهما ، ووضعوا خطوطهم ، ثمّ بعد انصراف الشهود أمر السيّاف بضرب عنق الفيل ، فرماه بين يديه وقطع رأسه ، وقال أحمد بن طولون لأبي الجارية : ابنتك ورثت زوجها ، وقد مكنتها مما بقي من تركته ، فامضوا مع السلامة ، فانصرفوا شاكرين لإنعامه داعين له على أفعاله .. » أ. هـ .

● قلت : والظاهر أنّهما قصتان مختلفتان ، وإن قلنا أنّهما قصّة واحدة

ولابدّ من التّرجيح ، فسُرجّح ما ذكر ابن كثير - رحمه الله - ؛ لأنّه ساق سند القصّة ، فقال في « البداية والنهاية » (٩٥ / ١١) : « ذكر القاضي أبو الحسن محمّد بن عبد الواحد الهاشمي عن شيخ من التجّار قال : كان لي على بعض أولي الأمر مال كثير إلى آخر القصّة » في حين أنّ الأتليدي صاحب الرواية الثّانية لم يورد أي إسناد ، هذا بالإضافة إلى الفرق في المكانة والثّقة بين ابن كثير وكتابه والأتليدي وكتابه ، فالأخير ملبّى بالخرافات والترهات .. فتأمل ! .

● **فائدة :** لما أورد القصّة - على رواية ابن كثير - زيد عنان في كتابه « اللهجة اليمانيّة » (٢٠) قال : « .. أنّ جزاء الشاب كان ظلماً ؛ لأنّه لا يستحقّ إلّا جلد (١٠٠) جلدة ؛ لأنّه غير مُحصّن ، وتعزيره لاغتصاب المرأة بالقوة ، لكن هذا العقاب جعل النّاس يأمنون على أموالهم وأعراضهم » وقال في ص (١٠٠) : « ... نعم إنّ العقاب الذي أنزله بالشّاب كان ظلماً على كلّ حال » .

● **قلت :** بل هذا الحكم ظاهره الصّواب ؛ لأنّ هذا الرجل مُحصّن فيستحقّ الرّجم ، أو قتله على سبيل التّعزير لإفساده في الأرض بخطط المرأة أو الفتاة وافتضاض بكارتها ، والله أعلم .



﴿ ٨٥ ﴾ نصيحة للقضاة

حكى القاضي محمد - حفظه الله - فقال ^(١) :

كان العلامة محمد بن إسماعيل الأمير صنعاني ^(٢) من أكابر علماء اليمن في القرن الثاني عشر ، وقد قصده طلاب العلم من شتى بقاع اليمن ، وأصبح تلامذته علماء ، وملأوا اليمن علماً وفضلاً ، ومن هؤلاء العلامة ناصر بن الحسين المحبشي ^(٣) ، فقد درس على الأمير في شهارة عدة سنوات في كتب الحديث والسنة النبوية وبعض مؤلفات الأمير ، ثم عرض عليه القضاء فقبله ، فأرسل شيخه العلامة الأمير إليه قصيدة لأمه فيها على قبول القضاء وحذره من آفاته ومن الحجاب والكتاب والمظالم ، فكانت قصيدة جامعة تناقلها الناس في دواوينهم وسارت بها الركبان ، فكانت من أروع النصائح للقضاة .

قال السيد الإمام محمد بن إسماعيل الأمير : قرأ علينا الشيخ العلامة ناصر

(١) راجع « نشر العرف » (٢٥٥/٣ - ٢٥٩) و (١٣٧/٢ - ١٣٨) و « ملحق البدر الطالع » لزيارة (٢١٩ - ٢٢١) و « مصلح اليمن » (١٤٥ - ١٤٧) .

(٢) تقدمت ترجمته - رحمه الله - .

(٣) الشيخ العلامة القاضي التقى الفهامة الورع الزاهد ناصر بن الحسين المحبشي الشهاري المولد والنشأة صنعاني الوفاة ، مولده تقريباً (١١١٠ هـ) بشهارة ، ونشأ بها ، فأخذ عن علمائها ، ولما وصل إليها للهجرة في سنة (١١٤٠ هـ) العلامة محمد بن إسماعيل الأمير أخذ عنه صاحب الترجمة في كتب الحديث والسنة ومؤلفات الأمير في مدة سبع سنوات وأجازه الأمير إجازة عامة ، وكان صاحب الترجمة فقيهاً إماماً في فنون الحديث والفروع والأصول ، متواضعاً لله تعالى ، زاهداً عفيفاً قنوعاً ، وفي سنة (١١٦٩ هـ) طلبه الإمام المهدي عباس إلى صنعاء ، وولاه القضاء ، فأرسل إليه الأمير بالقصيدة المذكورة ، وتوفي رحمه الله في يوم الجمعة ٢١ شوال سنة ١١٩١ هـ .

وقال زيارة : « .. الجد الجامع لبني المحبشي الذين بشهارة والمحابشة وبلاد إب وجبله من اليمن الأسفل هو نهشل المحبشي ، وأن نسبهم ينتهي إلى عمر بن الخطاب ؓ » راجع « نشر العرف » (٢٥٥/٣ - ٢٥٩) ، و « مصلح اليمن » (١٤٥) .

بن الحسين الحبشي - رحمه الله - في شهارة سبع سنين في عدة فنون وأدرك مع تقوى وورع وحسن حال ، ثم دخل صنعاء لعلّه في رجب سنة ١١٦٩ هـ وتولّى بها القضاء ، فكرهت له ذلك لما علمناه من أحوال قضاة عصرنا ^(١) وكان حاله قبل ذلك حال المعرضين عن الولايات والاتصال بالملوك ، فكتبت إليه وقد بلغ الستين :

ذَبَحْتَ نَفْسَكَ لَكِنْ لَا بِسَكِينٍ كَمَا رَوَيْنَاهُ عَنْ طَهٍّ وَيسَ ^(٢)
 ذَبَحْتَ نَفْسَكَ ^(٣) وَالسَّتُونَ قَدْ وَرَدَتْ عَلَيْكَ مَاذَا تُرْجِي بَعْدَ سَتَيْنِ
 ذَبَحْتَ نَفْسَكَ يَا لَهْفِي عَلَيْكَ وَقَدْ كُنَّا نَعِدُّكَ لِلتَّقْوَى وَلِلدِّينِ
 أَيْ الثَّلَاثَةِ ^(٤) تَغْدُو فِي غَدَاةٍ غَدٍ إِذْ يَجْمَعُ اللَّهُ أَهْلَ الدِّينِ وَالِدُونَ
 فَوَاحِدٌ فِي جَنَّاتِ الْخُلْدِ مَسْكَنُهُ وَاثْنَانِ فِي النَّارِ دَارُ الْخِزْيِ وَالْهُونِ
 يَأْتِي الْقِيَامَةَ قَدْ غُلَّتْ يَدَاهُ ^(٥) فَكُنْ يَوْمَ التَّغَابُنِ فِيهَا غَيْرَ مَغْبُونِ

(١) وصف بعضهم قضاة عصره بقوله :

قِضَاةٌ زِمَانُنَا أَصْبَحُوا لِصُوصَا عُمُومًا فِي الْبَرِيَّةِ لَا خُصُوصَا
 يَرُونَ الْغَنَمَ إِبْرَالِ إِلَى بَيْتَامِي كَأَنَّهُمْ تَلَوُا فِيهَا نَصُوصَا
 وَخَفْنَا مِنْهُمْ لَوْ صَافَحُونَا لَسَكُوا مِنْ خَوَاتِمِنَا الْقُصُوصَا

راجع « نشر العرف » (٢٥٦/٣) .

(٢) القول بأن « طه » و « يس » من أسماء النبي ﷺ قول لا دليل عليه . راجع « فتح القدير » للشوكانى (٣٥٨/٣) و (٣٤٨/٤ - ٣٤٩) .

(٣) إشارة إلى حديث : « من جعل قاضياً فقد ذبح نفسه بغير سكين » أخرجه الخمسة إلا النسائي من حديث أبي هريرة مرفوعاً .

(٤) حديث « القضاة ثلاثة : اثنان في النار ، وقاض في الجنة ، رجل علم الحق ففقدى به فهو في الجنة ، ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار ، ورجل عرف الحق فجار في الحكم فهو في النار » أخرجه أهل السنن الأربعة والحاكم مرفوعاً من حديث بريدة .

(٥) حديث « ما من أمير عشرة إلا يؤتى به يوم القيامة مغلولاً يده إلى عنقه حتى يُطلقه الحق أو يوبقه » أخرجه أحمد وغيره ، وحديث : « ما من حاكم يحكم بين الناس إلا يحشر يوم القيامة وملك أخذ بققاه حتى يوقفه على جهنم ثم يرفع رأسه إلى الله تعالى ، فإن قال الله تعالى : ألقه ، ألقاه في مهوى أربعين خريفاً » أخرجه أحمد والبيهقي من حديث ابن مسعود مرفوعاً .

رَى فِي النَّارِ مِنْ أَقْرَانِ قَارُونَ
فَنَحْنُ نَعْرِفُ أَحْوَالَ السَّلَاطِينِ
فَأَيْنَ صَبْرُكَ مِنْ حِينٍ إِلَى حِينٍ ؟
كَمْ فِي الْحَوَامِيمِ وَالطَّوَاسِينِ ^(٢)
وَلَوْ أَرَادَ أَتَاهُ كُلُّ مَخْزُونٍ
سَلِ التَّوَارِيخِ عَنْهُ فِي الدَّوَابِ
كَمَا عَرَفْنَاهُ فِي أَهْلِ الدُّكَائِينِ
بَسَطَ اللَّصُوصُ شَبَاكَا لِلثَّعَابِينِ
سَبَّحَانَهُ بَيْنَ حَرْفِ الْكَافِ وَالنُّونِ
لِلنُّصِيحِ مَا بَيْنَ تَخَشُّينِ وَتَلَيُّينِ
إِنْسَا وَهُمْ مِثْلُ إِخْوَانِ الشَّيَاطِينِ
فَفَهَمَهُمْ أَكُلُ أَمْوَالِ الْمَسَاكِينِ
نَصًّا فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ الْمَلَاعِينِ
مَنْ كَانَ ذَا هِمَّةٍ فِي الْحَفِظِ لِلدِّينِ
كَمْ حَاكَمَ بِقَرِينِ السَّوِّءِ مَقْرُونِ
فَكَمْ وَجَدْنَا أَمِينًا غَيْرَ مَأْمُونِ

فَإِنْ يَكُنْ عَادِلًا فَكُنْ لِلْأَخِ
فَإِنْ تَقُلْ أَكْرَهُونَا كَانَ ذَا كَذِبًا
وَإِنْ تَقُلْ حَاجَةٌ مَسَتْ فَرَبْتُمَا
وَاللَّهُ وَصَّى بِهِ ^(١) فِي الذِّكْرِ فِي سُورِ
قَدْ شَدَّ خَيْرُ الْوَرَى فِي بَطْنِهِ حَجَرًا
مَا مَاتَ وَاللَّهُ جَوْعًا عَالَمٌ أَبَدًا
لَيْسَ الْقَضَاءُ مَكْسَبًا لِلرِّزْقِ نَعْرِفُهُ
إِلَّا لِمَنِ لِلرِّشَا كَفَّاهُ قَدْ بَسَطَتْ
سَلِ الْهُدَى وَالْغِنَى مِمَّنْ خِزَائِنُهُ
وَحَيْثُ قَدْ صِرَتْ مَذْبُوحًا فَخُذْ نَبْذًا
إِيَّاكَ إِيَّاكَ كِتَابًا تَخَالَهُمْ
وَاحْذَرْ حِجَابًا ^(٣) وَحِجَابًا إِلَى خَدَمِ
وَجَانِبِ الرِّشْوَةِ ^(٤) الْمَلْعُونِ قَابِضُهَا
وَفِي الرِّشَا خَفِيَّاتٌ وَيَعْلَمُهَا
وَاحْذَرْ قَرِينًا تَقُلْ بِشَسِ الْقَرِينِ غَدًا
وَلَا تَقُلْ ذَا أَمِينِ الشَّرْعِ ^(٥) أَرْسَلَهُ

(١) أي بالصبر .

(٢) أي في السور التي تبدأ بـ « حم » أو « طس » .

(٣) قوله : « احذر حجابا ... إلخ » أخرجه أحمد والترمذي من حديث عمرو بن مرة مرفوعاً : « ما من إمام أو وال يفلق بابه دون ذوي الحاجة والخلعة والمسكنة إلا أغلق الله أبواب السماء دون خلته وحاجته ومسكنته » .

(٤) قوله : « وجانب الرشوة .. إلخ » أخرجه أبو داود والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً : « لعنة الله على الراشي والمرتشي في الحكم » .(٥) قوله : « ولا تقل ذا أمين الشرع .. إلخ » أخرجه أحمد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً : « ويل للأمناء ، ليتمنن أقوام يوم القيامة أن ذوابهم كانت معلقة ولم يكونوا عملوا على شيء » .

وَاحْذَرْ وَكِيلًا^(١) يُرِيكَ الْحَقَّ بَاطِلُهُ
وَلَا تُنْفِذْ أَحْكَامًا وَمُسْتَنْدُ الْأَحَدِ
وَلَا تَجْعَلَنَّ بَيوتَ اللَّهِ مَحْكَمَةً
لِتَنْظُرَنَّ بَيْنَ أَقْوَامٍ صِرَاحُهُمْ
لَا يَسْتَطِيعُ الْمُصَلِّيُّ مِنْ صِرَاحِهِمْ
وَتَمَّةُ أَشْيَاءَ مَا بَيْنَتْهَا لَكَ فِي
إِنْ عَشْتَ سَوْفَ تَرَى مِنْهَا عَجَائِبَهَا
وَمَنْ يَمُتْ قَلْبُهُ لَا يَهْتَدِي أَبَدًا
هَذِي النَّصَائِحُ إِنْ كَانَ الْقَبُولُ لَهَا
مَا لَمْ ظَفَرْتُ أَنَا بِالْفَوْزِ مُنْفَرِدًا
ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى الْمُخْتَارِ مِنْ مَضَرٍ

يَرْفُهُ بَيْنَ تَنْمِيقٍ وَتَحْسِينِ
كَأَمْ رَجَمَ بِتَبَخِيثٍ وَتَخْمِينِ
وَلَا تَخْلُقْ مِنْ خَلْفِ الْأَسَاطِينِ
صِرَاحُ ثُكْلَى وَلَكِنْ غَيْرَ مُحْزُونِ
يَأْتِي بِفَرَضٍ وَلَا يَأْتِي بِمَسْنُونِ
نَظْمِي وَتَعْرِفُهَا مِنْ غَيْرِ تَبْيِينِ
إِنْ كَانَ قَلْبُكَ حَيًّا غَيْرَ مَفْتُونِ
لَوْ جِئْتَهُ بِصَحِيحَاتِ الْبَرَاهِينِ
مَهْرًا ظَفَرْتُ غَدًا بِالْخَرْدِ الْعَيْنِ
بِأَجْرِ نَصْحِي يَقِينًا غَيْرَ مَظْنُونِ
وَالَهُ السَّادَةُ الْغُرِّ الْمِيَامِينِ

ولما وصلت هذه القصيدة إلى العلامة المحبشي بكى وقال : أمر كُتِبَ على
ناصر ، وقد عاهدت الله أن لا أحيف ولا أميل ، وكانت هذه النصيحة نصب
عينيه حتى توفاه الله تعالى .. ! .

وقد ذيل وقرظ هذه القصيدة الفريدة السيد العلامة عيد الله بن لطف
الباري^(٢) بقصيدة قال فيها :

(١) قوله : « واحذر وكيلاً .. إلخ » أخرج أبو داود من حديث ابن عمر مرفوعاً : « من خاصم في باطل وهو يعلمه لم يزل في سخط الله حتى ينزع » وفي لفظ : « من أعان على خصومه الظلم فقد باء بغضب الله » .

(٢) السيد عبد الله بن لطف الباري الكبسي ثم الصنعاني ، ولد بصنعاء سنة ١١١٣ هـ ، وهو أحد علماء صنعاء المبرزين في علم القراءات والآلات والحديث والتفسير ، وكان يقرئ جميع هذه العلوم ، وله تلامذة صاروا علماء نبلاء ومن قرأ عليه الإمام المهدي عباس قبل مصير إمامة اليمن إليه ، وكان زاهداً متقللاً من الدنيا ، أمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر ، وكان مقبول الكلمة عند

لَقَدْ نَصَحْتَ فَحَقَّقْتَ النَّصِيحَ فَلَا
لَقَدْ رَأَيْنَا كِلَا الْأُمْرَيْنِ إِنَّهُمَا
رَبُّ الرِّيَاسَةِ أَنْ يَعْلُوَ بِكَلِمَتِهِ
وَيُرْغِبُ النَّاسَ فِي سَيْرٍ إِلَيْهِ فَلَا
فَمَنْ يُؤْثِرُ هَذَا الشَّأْنَ كَانَ عَلَى
يَحْتَاجُ يَأْلَفُ إِخْوَانًا لِيَقْضَ بِهِمْ
وَيَغْتَدِي لِحَظًا مَا لَا يَنْفَرُهُمْ
وَفَتَحَ بَابَ فَضُولَاتِ الْمَعَاشِ فَلَا
هَذَا بَابِنَ لَا يَنْجُو الْفَتَى بَعْدُ
وَانْظُرْ إِلَى حَالِ مَنْ أُبْلِيَ بِحُبِّهِمَا
وَقَدْ آتَتْ حُجَّةً فِيهَا الْبَيَانُ لَمَّا
فِي لَفْظِهَا الْحَصْرُ (مَا ذُبَّان) فِي أَثَرِ
وَسُورَةِ الْقَصَصِ الْمُتْلُو (آيَتِهَا)
وَيَلْزَمُ الْعَبْدُ إِخْلَاصًا لِخَالِقِهِ
وَفِيهِ حَصْرٌ لَتِلْكَ الدَّارِ يَجْعَلُهَا
فِيَا مُرِيدًا لِدَارِ الْخُلْدِ يَسْكُنُهَا
أَوْ لَا فَسَوْفَ تَرَى نَكْسًا لِقَلْبِكَ إِنَّ

زَالَتْ أَيْادِيكَ تَأْتِينَا عَلَى حِينٍ
رَأْسُ الشُّرُورِ بِلَا شَكٍّ وَلَا مِيزٍ
وَلَا يُعَارِضُ فِي قَوْلٍ بِتَخَشُّينِ
يَرَى مُطَاعًا سِوَاهُ فِي الدَّوَابِ
حَالُ هَوَى فِي الْهَوَى جَهْرًا مَعَ الْبَيْنِ
قِيَامُ جَاءَ مَدَى الْأَيَّامِ فِي الْحِينِ
فِي كُلِّ خَوْضٍ يَرَاهُمْ بَيْنَ عَيْنَيْنِ
يَتِمُّ إِلَّا بِرَايَاتٍ وَتَحْسِينِ
إِلَّا بِطَرْحِهِمَا خَلْفَ الْأَسَاطِينِ
تَجِدُهُ عَبْدًا قَرِينًا لِلْسَّلَاطِينِ
قَدْ قُلْتَ فَاسْمَعْ صَاحِبًا مِنْ بَرَاهِينِ
صَحَّتْ أَسَانِيدُهُ حَقًّا بِتَبْيِينِ
مَا يَنْفِي النَّوْمَ عَنْ جَفْنٍ مِنَ الْعَيْنِ
مِنْ دَاءِ نَفْسٍ وَأَهْوَاءِ الشَّيَاطِينِ
عَقِيبَ ذِمٍّ وَتَبَكَّيْتُ لِقَارُونِ
فَسِرُّوَيْدًا وَكُنْ عَبْدًا لِتَحْزِينِ
سَاعَدْتُ نَفْسَكَ فَاخْذَعْهَا بِتَلْيِينِ

== الإمام المهدي لا ترد له شفاعة كائنه ما كانت ، وكان يعمل بالأدلة ويرشد الناس إليها ، وينفهم عن التقليد ، وكان مضيافاً مفضلاً كثير العبادة متواضعاً حسن التلاوة جيد الخط ، شديد البغض للمتصوفين ، له عظمة في الصدور وجلالة في النفوس توفي رحمه الله سنة ١١٧٣ هـ ، وهي سنة ولادة الشوكاني رحم الله الجميع . راجع ترجمته في « البدر الطالع » (٣٩٢/١ - ٣٩٤) ، ونشر العرف « (١٣٥/٢ - ١٣٨) .

واذْكُرْ وَقُوفَكَ فِي يَوْمِ الْمَعَادِ غَدًا وَمَا تَرَى مِنْ عَظِيمِ الْأَمْرِ وَالْهُونِ
وَاسْأَلْ مِنَ الرَّبِّ هَدًى مِنْ هَدَايَتِهِ مَدِيْمَةً لَصَلَاحِ الْحَالِ وَالْدِّينِ
ثُمَّ الصَّلَاةَ عَلَى طَه الْأَمِينِ كَمَا أَحْيَا الشَّرِيعَةَ وَالْآلِ الْمِيَامِينَ^(١)

● قلت : ومما يناسب ذلك ما ذكره الشوكاني في « البدر الطالع »
(١٦١/٢) في ترجمة السيد محمد الحسين الحوثي ثم الصنعاني^(٢) قال :
« .. ومن أحسن ما يحكى عنه - أي الشوكاني - لما ابتليت بالقضاء ، كتب
الشعراء إليّ تهانٍ ، وهو كتب إليّ بتعزية في أبيات حسنة ، وذكر فيها عجائب ،
فوقع لذلك عندي موقع عظيم ... » .



(١) راجع القصيدة في « نشر العرف » (١٣٧/٢ - ١٣٨) .

(٢) هو السيد العلامة بدر المعارف ، ولد تقريباً سنة ١١٥٠ هـ ، أخذ العلم عن جماعة من علماء صنعاء منهم السيد محمد بن إسماعيل الأمير والقاضي العلامة أحمد بن محمد قاطن ، وغيرها ، وصار أحد علماء صنعاء المفيدين ودرس في فنون ، وكان ماثلاً إلى العمل بالأدلة مطروحاً للتقليد حسن الأخلاق ، متواضعاً متففقاً ، تمتع المحاضرة ، وله مباحث علمية جيدة ، توفي سنة ١٢١١ هـ تقريباً . راجع « البدر الطالع » (١٦١/٢) .

OBELIKAN.COM

الملاحق



مجموع

تراجم بيت العمراني

OBELIKAN.COM

مجموعه تراجم بيت العمراني

زيادة في بيان أحوال القاضي العمراني وترجمته وأحوال أسرته وبيئته ، رأينا أن نجتمع تراجم آبائه وأجداده الموجودة في كتب التراجم والرجال والتاريخ المطبوعة تسهيلاً على القارئ ؛ لأن القارئ العزيز سيجد ذلك مفرقاً في كتب عدة قد لا تتوفر له ، فهناك « تراجم بيت العمراني » مجموعة في موضع واحد فله الحمد .
وهناك مجمل هذه التراجم ثم تفصيلها :

﴿ ١ ﴾ ترجمة القاضي الحافظ محمد بن علي العمراني (١٢٦٤ هـ) ، في الكتب الآتية :

- (أ) في « البدر الطالع » للشوكانى .
- (ب) في « التقصار » للشجنى .
- (جـ) في « حقائق الزهر » لعاكش الضمدي .
- (د) في « نيل الوطر » لزبارة .
- (هـ) في « الأعلام » للزركلى .
- (و) في « أعلام المؤلفين الزيدية » لعبد السلام الوجيه .

﴿ ٢ ﴾ ترجمة القاضي أحمد بن علي العمراني (تأتى في ضمن ترجمة ابن أخيه العلامة عبد الرحمن بن محمد العمراني) .

﴿ ٣ ﴾ ترجمة القاضي حسين بن محمد بن علي العمراني (١٣٢٣ هـ) :
في « أئمة اليمن » لزبارة .

﴿٤﴾ ترجمة القاضي العلامة عبد الرحمن بن محمد بن علي العمراني

: (١٢٧٣هـ)

(أ) في « نيل الوطر » لزبارة .

(ب) في « أعلام المؤلفين الزيدية » لعبد السلام الوجيه .

﴿٥﴾ ترجمة القاضي العلامة محمد بن محمد بن علي العمراني

: (١٣٠٢هـ)

(أ) في « أئمة اليمن » لزبارة .

(ب) في « نزهة النظر » لزبارة .

(ج) في « تحفة الإخوان » للجرافي .

﴿٦﴾ ترجمة القاضي إسماعيل بن محمد بن محمد بن علي العمراني

: (١٣٤٤هـ)

﴿٧﴾ ترجمة القاضي الأديب عبد الرحمن بن إسماعيل بن محمد بن محمد

بن علي العمراني (١٤١٦هـ) ، تأتي في ضمن ترجمة أبيه القاضي

إسماعيل العمراني .

﴿٨﴾ ترجمة شيخنا وعالمنا العلامة القاضي محمد بن إسماعيل العمراني

- حفظه الله - وأدام في النعمة والخير أيامه :

(أ) في « نزهة النظر » لزبارة .

(ب) في « أعلام المؤلفين الزيدية » عبد السلام الوجيه .

(ج) في « القاضي العمراني سيرة وتاريخ ومواقف وآراء » لمحمد غنيم

في بداية هذا الكتاب ، وهي أوفى سيرة وترجمة للقاضي العمراني

- حفظه الله - فله الحمد .

شجرة بيت العمراني المبارك

علي بن حسين بن شايح العمراني

أول من رحل من بيت العمراني من عمران إلى صنعاء في عصر الإمام المنصور حسين (١١٣٩ - ١١٦١ هـ) وهو أول من درس العلم من هذه الأسرة .

الحافظ محمد بن علي العمراني

تلميذ الشوكاني الكبير وعميد حلقة صحب الشوكاني أكثر من ثلاثين سنة وقتل شهيداً إن شاء الله سنة ١٢٦٤ هـ في زيبه ترجمه كثيرون راجع « تراجم بيت العمراني » في هذا الكتاب .

أحمد بن علي العمراني

هو أصغر من أخيه محمد وأقل شهرة منه ، وصفه ابن أخيه عبد الرحمن بن محمد العمراني ، فقال : « كان عمي عالماً أثرياً سريع البادرة ، قوي الإدراك حاضر الجواب حسن المحاضرة استفاد من أبي كثيراً وقرأت عليه وانتفعت به توفي سنة ١٢٧١ هـ ، راجع « نيل الوطر » (٣٩ / ٢) و « تراجم بيت العمراني » في هذا الكتاب .

العلامة القاضي عبد الرحمن

بن محمد بن علي العمراني
كناه والده بأبي هريرة وهو أصغر من أخيه محمد ولد سنة ١٢٣٤ هـ وتوفي سنة ١٢٧٣ هـ هو عالم كبير ترجم له كثيرون راجع « تراجم بيت العمراني » في هذا الكتاب .

العلامة القاضي محمد بن

محمد بن علي العمراني
كناه والده بأبي الدرداء ولد سنة ١٢٢٠ هـ وتوفي سنة ١٣٠٢ هـ وقد عاصر بضعة عشر إماماً وهو علامة كبير ترجم له كثيرون راجع « تراجم بيت العمراني » في هذا الكتاب .

العلامة القاضي حسين بن

محمد بن علي العمراني
هو أصغر من أخويه وأقل منهما شهرة توفي سنة ١٢٢٣ هـ وترجم له زيارة ترجمة قصيرة في « أئمة اليمن » راجع هذه الترجمة في « تراجم بيت العمراني » في هذا الكتاب .

القاضي إسماعيل العمراني

والد شيخنا القاضي محمد بن إسماعيل العمراني توفي سنة ١٣٤٤ هـ ترجم له القاضي العمراني بطلب مني ، راجع ترجمته في « تراجم بيت العمراني » .

القاضي عبد الله بن حسين العمراني

تولى القضاء في بني الحارث ومات قبل والده رحمهما الله .

القاضي العلامة محمد بن إسماعيل العمراني

صاحب هذا الكتاب وترجمته مبسطة موسعة هنا . حفظه الله وأطال في الخير بقاءه .

القاضي عبد الرحمن بن إسماعيل العمراني

أديب فاضل وقاض عالم توفي سنة ١٤١٦ هـ ترجم له شيخنا في أثناء ترجمته لوالده القاضي إسماعيل .

(١) ترجمة القاضي العلامة محمد بن علي العمراني

(١) في « البدر الطالع » للشوكاني

محمد بن علي بن حسين العمراني ثم الصنعاني (١) :

ولد في سنة ١١٩٤ هـ أربع وتسعين ومائة وألف (٢) واشتغل بطلب علوم الاجتهاد على جماعة من علماء العصر كالسيد العلامة الحسن بن يحيى الكبسي والقاضي العلامة عبد الله بن محمد مشحم والسيد العلامة إبراهيم بن عبد القادر بن أحمد وغير هؤلاء من المدرسين وبرع في العلوم الاجتهادية وصار في عداد من يعمل بالدليل ولا يعرج على القال والقليل ، وبلغ في المعارف إلى مكان جليل ، وقد أخذ عني من جملة الطلبة ، وهو قوي الذهن سريع الفهم جيد الإدراك ثاقب النظر يقل وجود نظيره في هذا العصر مع تواضع وإعراض عن الدنيا وعدم اشتغال بما يشتغل به من هو دونه بمراحل من تحسين الهيئة ولبس ما يشابه المتظاهر بالعلم - كثر الله فوائده ونفع بعلومه - وهو يزداد من المعارف العلمية في كل وقت ، وقد سمع على غالب الأمهات الست ، وفي العضد وحواشيه ، والمطول وحواشيه ، والكشاف وحواشيه وغير هذه الكتب ، وسمع مني أكثر مصنفاتي وكثر اشتغاله بعلم الحديث ورجاله حتى صار الآن من أعظم رجال هذا الشأن وله مصنف في « سنن ابن ماجه » جعله أولاً كالتخريج ثم جاوز ذلك إلى شرح الكتاب ، وهو الآن في عمله ، وبالجمله فهو قليل النظر في مجموعه وكثرة فنونه وإتقانه (٣) .

(١) ترجمة القاضي العلامة محمد بن علي العمراني في كتاب « البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع » تأليف القاضي العلامة شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني ج ٢ ص (٢١٠) .

(٢) كذا في « البدر الطالع » بدون تحديد الشهر .

(٣) واستشهد المترجم له على سد الباطنية من قبائل يام في بيته بمدينة زيد في جمادى الأولى سنة ١٢٦٤ هـ . من حاشية البدر الطالع .

(ب) في كتاب « التقصار » للعلامة الشنجني^(١)

ترجمة الفقيه العلامة المجتهد والنبیه الفهامة المنفرد حافظ الآثار
ومسند الأخبار .

محمد بن علی بن حسین العمرانی^(٢) الصنعانی :

وُلد في سنة أربع وتسعين ومئة وألف ، وقرأ على علماء عصره ، فمن
مشائخه وكبارهم السيد العلامة حسن بن يحيى الكبسي والقاضي عبد الله بن
محمد مشحم والسيد العلامة إبراهيم بن عبد القادر بن أحمد والفقيه العلامة
يحيى بن محسن الحבורي ، وقرأ في الفقه على الفقيه العلامة الفاضل سعيد
ابن إسماعيل الرشيد - رحمه الله - والفقيه العلامة محمد بن حسين
الويناني ، وبرع في كل المعارف وخرج فيها سابقاً لا سيما في علوم الحديث
ورجاله ، فإنه فتح عليه في ذلك وصار المشار إليه في معرفة الرجال وأسمائهم
وكُناههم ، واختلاف طبقاتهم ومراتبهم وثقاتهم وضعفائهم ، وعمن أخذوا ومن
أخذ عنهم ، وكذلك في خفيات علل الحديث ودقائقه ، فقل أن يشاركه غيره
في ذلك ، وبلغ في علوم الآلات مبلغ الكمال ، وعرف منها ما يعرف فحول
العلماء من ذوي التحقيق والتدقيق مع فهم كامل وذهن سائل وحافظة أعانت
على كمال إدراكه فيما اشتغل بطلبه وتحصيله حتى حصلت له علوم
الاجتهاد ، وصار في جميع معارفه معدوداً من الأفراد مع صلابه في دينه ومثانه
في إيمانه ويقينه .

(١) التقصار للشنجني حققه محمد بن علي الأكوخ ، مكتبة دار الجليل صنعاء ، الطبعة الأولى
(١٤١١هـ - ١٩٩٠م) ص (٤١٥ - ٤١٦) .

(٢) ترجمة الإمام الشوكاني في « البدر الطالع » (ج٢-٢١٠) وأشاد به وله مؤلف في التاريخ اسمه
« خبر انحاف النبيه بخير افتتاح المنصور وبنيه » في المكتبة الغربية بالجامع المقدس .

وله « تخريج سنن ابن ماجه » ثم جعله من بعد شرحاً عليه ، وقد شرع في كتاب جامع في الرجال حافل بجميع رجال الكتب التي لم يتكلم على أكثر رجالها مثل « حلية أبي نعيم » وغيرها من الكتب التي لم يجمع رجالها مع اشتغاله بالدرس والتدريس في سائر الفنون وتولَّى بعض أعمال الشريعة عن شيخ الإسلام يأمره بتوليها مع عفاف وقنوع ، وعدم طمع وهلوع ، حسن المخارجة ، مطرح تكاليف أمثاله في ملبوسه وأخلاقه وخلقه .

أخذ عن شيخ الإسلام في التفسير والأصول والمعاني والبيان وفي كتب الحديث في الست الأمهات وغيرها ، وفي النحو وفي جلِّ مصنفاته مثل تفسيره « فتح القدير » و « شرح المنتقى » وغيرها بل أخذ عنه أكثر مصنفاته وحصلها ونسخ أكثرها مع عناية ودراية ، لا يلتفت إلى القال والقليل ، ولا يعول على غير الدليل ، ولا يتقيد بأقوال الرجال ، بل ينظر إلى ما قيل لا إلى من قال ، منذ بلغ مبلغ الرجال ذوي الإنصاف والكمال زاد الله في رجاله ، وحلّى جيد الزمان بأمثاله (١) .



(١) قال في هامش الأصل : توفي شهيداً - رحمه الله - في زبيد سنة أربع وستين ومائتين وألف .

(ج) في « حدائق الزهر » لعاكش الضمدي^(١)

وهي أطول وأكبر ترجمة لهذا الحافظ الكبير

محمد بن علي العمراني ثم الصنعاني^(٢)

١١٩٤ هـ - ١٢٦٤ هـ

شيخنا العلامة خاتمة أهل التحقيق ، والفائق لأقرانه في أصناف التدقيق ، نشأ بصنعاء المحروسة ، مولده كما أخبرني سنة أربع وتسعين ومائة وألف ، واشتغل بعد بلوغه سن الطلب بالقراءة على مشايخ وقته ، كالسيد العلامة حسن بن يحيى الكبسي^(٣) وغيره ، ولزم شيخنا البدر الشوكاني ، وبه انتفع ، وله به العناية التامة ، والملاحظة الكلية ، وبذلك ظهر صيته ، وانتشر ذكره ، وارتفع بين الناس قدره ، له اليد الطولى في جميع الفنون من نحو وصرف ومنطق وأصول وبيان ، وله إلمام بعلم المعقول ، وإطلاع على مأخذ كلامهم ، وتوضيح مشكلاتهم على وجه مقبول .

وأما علم الحديث ، فهو إمام محرابه ، والذي لا يلز^(٤) به قرين من أهل زمنه وأثرابه ، فهو يستحضر رجال الكتب الستة بحيث لا يخفى عليه من أحوالهم خافية ، تعديلاً وتجريحاً ، مع همة سامية للإطلاع على العلل المتناهية

(١) ترجمة القاضي العلامة محمد بن علي العمراني في كتاب « حدائق الزهر في ذكر الأشياخ أعيان الدهر » تأليف العلامة الحسن بن أحمد بن عاكش الضمدي (ض ١٠٣ - ١١٦) .

(٢) له ترجمة في « البدر الطالع » (٢١٠/٢) ، و « نيل الوطر » (٢٨/٢) ، و « عقود الدرر » مخطوط (١٥٩ب) و « الأعلام » (١٩١/٧) ، و « التاج المكلل » (٤٤٢) .

(٣) حسن بن يحيى بن أحمد بن علي الكبسي ، من أعيان علماء صنعاء وتولى القضاء بخولان ، توفي ١٢٣٨ هـ ، انظر « البدر الطالع » (٢١١/١) ، و « نيل الوطر » (٣٥٨/١) .

(٤) لز الشيء بالشيء ، يلزّه لزاً وألزه : ألزمه إياه ، وجعلت فلاناً لزاناً لفلان أي لا يدعه يخالف ولا يعاند ، ويقال للبعيرين إذا قرنا في قرن واحد : قد لزا ، اللسان (لزز) ومعنى العبارة : ليس له ند أو نظير .

غاية الأمر أنه ناظر القدماء في هذا الفن ، وبلغ رتبة في الحفظ يقصر عنها أهل الزمن ، وبه انتفعت في هذه الصناعة ، ودخلت مع القوم في تلك البضاعة .

أطلعني على مؤلف له سماء « التعريف بما ليس في التهذيب من قوي وضعيف » ، فرأيت ما بهرني من الاستدراك ، وهو يأتي في مجلدين ، و«التهذيب» هو مؤلف الحافظ المزي من رجال الكتب الستة ، الذي لم يؤلف مثله في سالف الأعصار ، وقد اختصره الحافظ الذهبي في مؤلف سماء «الكاشف» ، و «التقريب» أنفع ؛ لأنه ضبطه بالحروف ، وإلا «فالكاشف» يضبط بالقلم ، فربما يقع الاشتباه .

نعم وله حاشية على ابن ماجه مفيدة جداً ، سماها «عجالة ذوي الحاجة» وقد جاء في تلك التعليقة بأسلوب مخترع ، يورد السند بمتته ، ويتكلم على رجال السند بما قيل فيهم ، ويجمع الطرق الشاهدة لذلك المتن والاعتبارات ، وبعد ذلك يتكلم على معنى الحديث ، وله مؤلفات غير ذلك .

اتفقت به في رحلتي إلى صنعاء عام ثلاثة وأربعين بعد المائتين والألف ، ولازمته مدة ، وقرأت عليه « شرح الغاية » في أصول الفقه ، المسمى « بهداية العقول » ، للمولى الإمام الحسين بن القاسم - رحمه الله تعالى - ومن فاتحته إلى خاتمته ، وأخذت عنه في « صحيح مسلم » ، و«ابن ماجه» و«مستدرک» الحاكم وغير ذلك من كتب الحديث .

وكنت أحضر للقراءة في حلقة شيخنا البدر الشوكاني ، وهو الحاكم على أولئك العلماء بإيراد الفوائد ، وبالإملاء لكتب السماع ، مع أن في ذلك المحفل نحارير العلماء ، ومصابقة الأدباء ، ولم أره يلاحظ أحداً من أهل حلقة ملاحظته ، وما تدور مراجعة إلا ويسند بيان إشكالها وإيضاح إبهامها عليه .

وفي آخر المدة وقع منه وحشة من شيخنا البدر الشوكاني ، كما جرت العادة بين الأقران ، ومن أطلع على « سيرة النبلاء » ^(١) للحافظ الذهبي ، ورأى ما وقع بين الأقران من المنافسة ، لاسيما مثل الواقع بين الحافظ محمد بن يحيى الذهلي ، وتلميذه الإمام البخاري ، هان عليه الأمر ، وعلم أن العصمة متعذرة ، وقد كان يصدر منه كلمات ناشئة عن التجرم ، وهي غير مقبولة منه في شيخنا ، بل الله تراه ، فقد تقرر أن كلام الأقران بعضهم في بعض غير مقبول ، وقد تكلم الذهبي في صدر « ميزان الاعتدال » في هذه المادة بما يروي الغليل ، ويشفي العليل ، حتى قال : « لا يعلم زمان إلا وقد صدر من الأقران (الطعن فيه على بعضهم بعضاً) » ^(٢) ، ولم يسلم من ذلك غير الأنبياء صلوات الله عليهم ، ويكون الجواب على كلامه في شيخنا البدر ما قاله السبكي في ترجمة الإمام الشافعي ؛ لأن الماء إذا بلغ قلتين لا يحمل الخبث .

وإنما أوردت مثل هذا وكان اللائق طيه ؛ لأنني رأيتُ بعض العصريين قد اغتر بكلام المترجم له في شيخنا البدر ، وجعل يُندد به في المجالس ، والكُلُّ همُ أشيائنا ، وواجب علينا لهم حق التعظيم ، ولكن إجراء ميزان العدل بينهم بما فيه براءة لسوابقهم في الإسلام ، وعنايتهم بحفظ شريعة سيد الأنام ، مع أن شيخنا البدر طاهر اللسان في حقه ، ويرى له من التعظيم فوق ما يرى لغيره ممن عرفنا ، وقد اطلعت على ترجمة للمترجم له لشيخنا في « البدر الطالع » ، فأعطاه حقه ، وأثنى عليه بما منحه الله تعالى من العلوم ، والمتعين كف اللسان عن أعراض أهل العلم ، ولا يتخذ مقالة بعضهم في بعض سلماً إلى القدح ،

(١) صحة اسم الكتاب « سير أعلام النبلاء » .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة ، وصياغتها عامية ، فضلاً عما فيها من خطأ نحوي ، متمثل في نصب (بعضاً) دون مسوغ .

فإنَّ هذا مُضِرٌّ بالدين ، فإن لحوم العلماء مسمومة ، وعادة الله في منتقصيهم معلومة ، قالوا : ومن تسارع إلى العلماء بالسبِّ ابتلي بموت القلب (قيل : وهو الكفر) ، وباب التأويل للمؤمن مفتوح ، فضلاً من كان من أهل العلم ، و« الأعمال بالنيات »^(١) .

نعم ، وبعد حصول الوحشة بينه وبين شيخه المذكور ، تناقص الحال ، وأنتهى ذلك إلى خروجه من صنعاء ؛ لأسباب صدرت عليه من القائم بصنعاء تلك المدة ، وهو عبد الله بن أحمد الملقب المهدي ، كلها من حظوظ النفس ، وكان استقراره بعد انفصاله في بلدة زبيد ، ووصوله كان في عام خمسين ومائتين وألف .

واتفق وصوله في أيام شيخنا الحافظ السيد عبد الرحمن بن سليمان ، فلاحظه بالإجمال ، وقابله بما هو أهل له في البكر والآصال ، وتسبب في توليه لوقف زبيد وتولاه ، وما أعقب ذلك إلا موت شيخنا عبد الرحمن وتفاقم عليه الأمور لبيط ألسنة الحساد ، ولم يطبُّ له بعد ذلك المقام بزبيد وهاجر إلى مكة المشرفة ، وأقام بها ثلاث سنين على حال يسرُّ الودود ويسوء الحسود ، مكباً على نشر العلم في تلك البقاع الكريمة .

وبعد هذه المدة ترجع للشريف مليك القطر اليماني الحسين بن علي بن حيدر استدعاؤه من مكة المشرفة ، وأمرني بجعل مرقوم^(٢) إليه ، بتحسين الوصول إلى حضرته ، فوصل من طريق البر ، وخيره الشريف المذكور بعد

(١) هذا جزء من حديث : « إنما الأعمال بالنيات .. » أخرجه البخاري (كتاب بدء الوحي ، باب كيف كان بدء الوحي (٩/١) رقم (١) .

(٢) الرقم والترقيم : تعجيم الكتاب ، ورقم الكتاب يرقمه رقماً : أعجبه وبينه ، وكتاب مرقوم : أي قد بينت حروفه بعلاماته في التنقيط وقوله عز وجل : ﴿ كتاب مرقوم ﴾ [المطففين : ٢٠] ، كتاب مكتوب ، والمرقم : القلم والرقم : الكتابة والختم ، اللسان (رقم)

الاتفاق به بين الإقامة في أبي عريش ، أو في أي مدن اليمن ، فاختار المدينة العريشية ، وبنى له بيتاً بجوارنا ، وأجرى عليه الكفاية التامة ، ولحظه بعين الإجلال الخاصة والعامة ، ولبت نحو سنتين على الحال المرضي ، ثم ترجع له الارتحال إلى مدينة زبيد ، وكان إذ ذاك بها الشريف المذكور ، فأسدى إليه الإنعام ، وقابله بالإجلال والإكرام .

وقد كان أيام إقامته بزبيد المرة الأولى ، ارتحلت إليه عام واحد وخمسين بعد المائتين والألف ، وقرأت عليه « شرح مختصر المنتهى » للقاضي عضد الدين الإيجي بكماله ، وشرح « ألفية العراقي » في مصطلح الحديث بتمامه ، و« الإغراب في علم الإعراب » ^(١) ، و« نزهة الناظر في أدب المناظر » ، وكلاهما للسيد الحسن الجلال ، وقرأت عليه في « المواقف العضدية » و« شرحها » للشريف الجرجاني ، وأخذت عليه كثيراً من التفسير والحديث جزاء الله عني خيراً .

وقد أجازني بإجازتين : واحدة أيام رحلتي إلى صنعاء عام ثلاثة وأربعين بعد المائتين والألف ، والأخرى أيام أخذي عليه في زبيد ، ولم أذكر شيئاً من إسناده لكتب الحديث ؛ لأنني شاركته في الأخذ عن شيخنا البدر الشوكاني .

قد حدثنا بالأمهات قراءة لبعضها ، وإجازة لثاليها ، عن شيخه السيد حسن يحيى الكبسي ، ثنا القاسم بن محمد الكبسي ، حدثنا السيد محمد بن إسماعيل الأمير ، ثنا أحمد بن محمد النخلي بأسانيده المعروفة ، وقد أطال في إجازته الأخيرة غاية الإطالة ، وهي مدونة موجودة مع إجازة هؤلاء الأشياخ

(١) يذكر الحبشي أن اسم الكتاب هكذا « الإغراب بتيسير الإعراب » انظر « مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن » (٣٨٦) .

(الذي هذا المؤلف في نظم فضائلهم)^(١) ، وقد جمعتها في مجلد مستقل وله كتاب فيه تراجم علماء الوقت طالعت ، ووقفت فيه علت ترجمة لي مطولة أورد فيها ما اتفق بيني وبينه من المكاتبات ، والمقروءات ، ومن جملة ما ذكره القصيدة التي كتبها له أيام الإقامة بزيد لطلب القراءة عليه وهي^(٢) :

من لحظ عينيها أراشت أسهماً
وتبخترت لما رآته مضرجاً
لم يضمنها الكلم الذي بحشائه
عطفاً على المتبول يا ابنة مالك
صبا براه الشوق فهو لما به
لا واخذ الله الجفون بما جنت
والشعر من رياء فلا انتشرت لا
فلرب ليل قد قطعت بوصلها
وجنيت من ورد الخدود أغضه
وهصرت قد كالحضيب رشاقة
وحنت عليّ وألحفتني ساعداً
والعتب فيما بيننا مترسل
أيام لا واشي يكدر صففونا
لله أيام مضمين برامة

ورمت فأقصدت المحب المغرماً
بدمائه والدمع سفح عندما
منها وولت وهو يفحص في الدما
أو ما كفأك بأن جرحت مكلماً ؟
قد صار من فرط الغرام متيماً
من مستهام وأوخزته لهذماً
لئه ولا شيب الجعيد^(٣) الأفحماً
في ربعا متنزهاً متنعماً
ورشفت ما بين الشايا واللما
وضممت خصر كالجديل منظماً
بين الرياض ووسدتني معصماً
فانفض من سر الغرام مختماً
حسداً ولا الرقباء تدري حيثما
ما كان أطيبها عليّ وأنعماً

(١) وردت هذه العبارة هكذا ، وفيها اضطراب في الصياغة ، وخطأ في استخدام الاسم الموصول (الذي) فقد استخدمه في موضع (الذين) لأنه وصف للأشياخ .

(٢) القصيدة من الكامل .

(٣) الشعر الأسود .

لَهْفِي عَلَى ذَاكَ الزَّمَانِ لَوْ أَنَّهُ
وَمَهَامُهُ قَفَرُ فَرِيَتْ أَدِيمُهَا
شَبَهُ الْقَسِيِّ تَخَالُهَا فَإِذَا انْبَرَتْ
يَابِينَ مِنْ مَسِّ السَّيَاطِ جُلُودَهَا
كَرُمَتْ فَلَا الْإِنْضَاءَ يورثها عِيَا
كَلَفَتْهَا لِلْإِنْتِجَاعِ تَجَشُّمًا
أوردتها العَذْبُ الْفَرَاتِ وَحَسْبُهَا
الْحَافِظُ الْحَبِيرُ الْهَمَامُ أَخَا الْعَلَا
عَلَّمَ الْعُلُومَ وَبَحَرَهَا وَإِمَامُهَا
نُقَادُ عِلْمِ الْأَوَّلِينَ فَكَمْ لَهُ
بِدْرَايَةٍ مَا حَازَهَا مِنْ قَلْبِهِ
فَإِذَا اسْتَفَاضَ مُنَاطِرًا فِي مُحَفَلٍ
أَوْ خَاضَ فِي عِلْمِ الْكَلَامِ فَإِنَّهُ
بُرْهَانُهُ فِي الْعِلْمِ لِمَا ؟ فَقُلْ
شَهِدَتْ لَهُ كُلُّ الْعُلُومِ بِأَنَّهُ
سَاوَى ابْنِ حَنْبَلٍ فِي جَلَالَةِ نَقْدِهِ
وَإِذَا أَدَارَ مِنَ الْقَرِيضِ سَلَافَةً
وَيُرِيكَ مِنْ عِلْمِ الْبَدِيعِ غَرَائِبًا
وَلَقَدْ وَفَدَتْ إِلَيْهِ لَيْسَ لِمُقْصِدٍ

أَجْرَى الْحَبُورَ مَعَ النُّعِيمِ وَتَمَامًا
بِأَيَاتِي ^(١) هَوَجَ تَبَارَى الْأَنْجَمَا
لِلْعَدُوِّ تَحَسَّبُهَا لِعَمْرِي أَسْهُمَا
فِيحْثُهَا الْحَادِي إِذَا مَا هِينَمَا
كَلَا وَلَا الصُّخْرَاتِ تَهْشُمُ مَنْسَمَا
وَلِثْلُهَا أَوْلَى بِأَنْ تَتَجَشَّمَا
بَيْنَ الْأَيَاتِي أَنْ تَزُورَ الْعَيْلَمَا
عَزَّ الْهُدَى غَيْثُ السَّمَاحِ إِذَا هَمَا
مَنْ فَاتَ آخِرَهَا وَفَاقَ الْأَقْدَمَا
مَنْ مَبْحَثُ يَذُرُّ الْمَبْرَدَ أَبْكَمَا
الرَّازِي وَلَا الشَّيْخُ التَّقِي وَهُمَا هَمَا
حَجَّ الْمُنَاطِرَ بِالْذَّلِيلِ وَالزَّمَا
يُبْدِي مَسَائِلَ تَخْرِجُ الْمُتَكَلِّمَا
لِلْمُنَاطِقِي حَذَارَ مَنْ أَنْ تَفْحَمَا
قَدْ صَارَ فِي كُلِّ الْعُلُومِ مُقَدَّمَا
فَلَذَا غَدَا كَالْبَدْرِ فِي أَفْقِ السَّمََا
فَيَزُفُ كَأَسَا بِالْبَلَاغَةِ مُفْعَمَا
عِنْدَ التَّقَابِلِ نَاطِرًا وَمُنْظَمَا
غَيْرَ الْعُلُومِ فَإِنَّهُ يَشْفِي الظُّمَا

(١) جمع الجمع للناقة ؛ لأن جمع ناقة : ناق ونوق ، وأنوق ، وأُنوق ، وأُنوق ، وأُنوق ، وناقات ، وأنوق ، وجمع الجمع : أبايق ، ويناقات .

فَانْظُرْ فِدَيْتَكَ نَحْوَ قَنَكِ ^(١) مُخْلِصًا
وَالْيَكُهَا شَيْخُ الْحَدِيثِ خَرِيدَةً
لَمْ يَرْضَهَا كَفْؤًا سِوَاكَ فَلَقَهَا
وَاعْذُرْ وَسَامِعْ فِي تَأْخُرِ وَصْلَهَا
مَا إِنْ تَرَكْتَ مَدِيحُكُمْ عَنْ رَغْبَةٍ
أَتَقَابِلُ الْبَدْرَ السَّمَاءِ بِضُوئِهِ
وَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا يَلُوحُ ظَهْرُهُ
وَعَلَى النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى مِنْ هَاشِمٍ
وَالْآلِ مَا قَالَ الْمَشُوقُ تَلَهُّفًا

وَقَتَالُهُ فِي الْأَخْذِ عَنْكَ تَكْرُمًا
عِذْرَاءَ تُبْدِي فِي ثَنَّاكَ تَبَسُّمًا
بَشْرًا وَحَقَّ لِمَثَلِهَا أَنْ تُكْرَمًا
لَكُمْ وَأَنْتَ بِذَاكَ أَوْلَى مِنْ سَمَا
لَكُنِّي فِيهِ أَتَيْتُ الْأَحْزَمَا
زَعَمًا أَوْ الْحَصَى تَضَاهِي
الْأَنْجُمَا ^(٢) لِلْمُسْتَفِيدِ إِذَا اغْتَدَى مُتَوَسِّمًا
صَلَّى إِلَاهَ مَدَى الزَّمَانِ مُسْلِمًا
مَنْ لَحَظَ عَيْنِيهَا أَرَأَيْتَ أَسْهُمَا

وصورة ما كتبه على مؤلفي « روض الأذهان » مقرظاً ما لفظه : « حمد
من لم نزل براهين اقتداره على ما أراد تجدد ، ودلائل علمه وحكمته في
ميادين اختيارهم على الآباد لا تضبط بعد ، ونتائج إرادته على استمرار الأوقات
تبدد ، وعلى تلون الحالات تتولد ، والصلاة والسلام على مديد الأمد ، على
صاحب الشرع المؤيد ، المحفوف من المعجزات بملفوف الآيات البينات ،
فطاولت الأبحر في المد المعروف بتذليل سبل الخيرات ، وتذليل الشرائع النيرات
فعرش شعار شرعه مشيد ، ختم به الأنبياء ، ونصر دينه ، وقهر قرينه ، فهو على
الأعداء منصور ، وفي الأبداء مؤيد ، وعلى تابعيهم بإحسان في اقتفاء طريقه
بنصر الدين وتقويمه ، وبعد .

(١) القن : العبد الذي ملك هو وأبواه ، ويستوي في المثني والجمع والمؤنث ، وقال اللحياني : العبد :
القن الذي ولد عندك ، والقن مأخوذ من القنية وهي الملك ، اللسان (قنن) .

(٢) شطر البيت غير مستقيم وفيه اضطراب .

فقد نبغ في عصرنا هذا ، ونبل على كثرة المفترات بالمعالي بما صد وآدى ، بل شئت شمل المنتسب إليها فجعلهم أقذاذاً ، ومزق أديم الكمال على اختلاف أجناسه بما صير أبعاضه جذاذاً^(١) ، وذلك الولد العلامة ، والإمام المعتمد الفهامة ، حامل راية الفخر ، ولواء الإمامة الجامع من أشات الفضائل العلمية ما بلغه مرامه ، واحتوى بأنواعها بثابت جنانه على ما لم يُزلزل أقدامه ، ولم يفتر إقدامه ، أخي وسيدي الحسن بن أحمد بن عبد الله الضمدي ، لا زال في نعيم سرمدي ، فهو بطين من علوم الشريعة ، نافع غليل ظمآن العلم إن غره سراب الجهل بقيعة ، مشتمل على علوم الأدب ، كافل بقويم أود لسان من ارتاد علوم العرب .

نائر فما عبد الحميد^(٢) وما قدامة^(٣) ، ناظم فما زهير^(٤) وما قدر كعب بن أمانة^(٥) ، وما حسن تشبيه ابن المعتز^(٦) للهِلال بالقلامه ، برهان ما اشتهر في الألسن ، والحجة القاطعة فيما أثره متقن عن متقن ، فقد اشتهر أن وادي ضمّد ، ولم يخل فيما تقدّم ، ولا يزال إن شاء الله تعالى إلى الأبد ، من عالم بحره متلاطم الأمواج ، وحاشا عذبه أن يعتريه شائبة الأجاج ، ومن

(١) الجذاذ : ما كسر من الشيء ، والجذ : القطع المستأصل ، وفي التنزيل : ﴿عَفَاءٌ غَيْرَ مُجْدُوذٍ﴾ [هود : ١٠٨] اللسان (جذذ)

(٢) عبد الحميد بن يحيى بن سعد العامري ، المعروف بالكاتب ، من أئمة الكتاب والأدباء ، (ت/١٣٢هـ) ، «الأعلام» ، (٦٠/٤) .

(٣) قدامة بن جعفر بن قدامة البغدادي ، يضرب به المثل في البلاغة ، ت/٣٣٧ ، «الأعلام» ، (٣١/٦) .

(٤) زهير بن أبي سلمى ، حكيم الشعراء في الجاهلية (ت/١٣ ق . م) ، «الأعلام» ، (٨٧/٣) .
(٥) كعب بن أمانة بن عمرو بن ثعلبة ، كريم جاهلي يضرب به المثل في حسن الجوار والجود ، «الأعلام» ، (٨٥/٦) .

(٦) عبد الله بن محمد بن المعتز ، شاعر من البيت العباسي تولى الخلافة يوماً وليلة (ت/٢٩٦هـ) ، «الأعلام» ، (٢٦١/٤) .

شاعر نهره مورد الأولياء ، ومطره على العدا ثجاج ^(١) ، فكانت هذه النابعة ،
والنعمة الجليلة السابغة ، هي برهان الفضيلتين ، والقائم بحمد الله بأعباء
الرئاستين ، هذا إلى ما تضلع فيه من علم المعقول ، وأقام به شهادة حقيقة ما
جاء به الرسول ، مع حصافة عقل ورياسة ودين ، وصيانة لسان عن التعرض
لأعراض الصادقين ، فهم الذين نقلوا إلينا الإسلام ، وسبقونا بالإيمان واليقين
فمن لم يراع حرمة السلف فهو المحروم ، ومن تعدى طوره بعقوقهم من الخلف
فهو الموسوم بالشوم ، وكيف يتجاسر على السلوك في مهيع من سد طريقه ؟ أو
يدخل من باب من وعره فيه يوصل إلى الحقيقة ؟ .

وإن من جملة ما فاض من بحاره العذبة ، وغاز ماء الحسدة فشرقوا ،
وكان علامة الحرمان ، وسببه شرحه هذا الذي على « المدخل » موضوع ، بل
هذه المأدبة فرقها غير مقطوع ، ومسترفدها غير ممنوع . فقد قام كلما عقد ،
ولم يبخل ببذل ما كنز من جواهر العلم للمنتقد وصيرها معتمد متوخي
الاستفادة ، ونصبها مرمى من طلب العلم وارتاده ، وقد قرظ عليها السيد
العلامة المفتي محمد بن عبد الرحمن ، لا زال متفيئاً ظلل الإحسان والإفتاء ،
بما كشف عن محاسن المؤلف ، وبلوغه المنتهى فيما ركب ووصف ، وشهد
بأنه عين أعيان من علت له الرتبة ، وما أحقها من شهادة ، فمن شهد له
خزيمة فهو حسبه .

وقد تجرأت بكتب هذه الخالية عن المعاني والبيان ، وجريت فيما لم أكن
من أهله ، ولا أمشي منه في ميدان ، لكن تسترت .. وصفح المؤلف ، ودخلت

(١) الثج : الصب الكثير ، قال تعالى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنْ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴾ [النبا : ١٤] وفي
الحديث تمام الحج العج والثج ، اللسان (ثج) .

في الغمار ، واحتججت بقول : « ولا تغد للهيحاء إلا بجاهل » ، يعني من عالم الغمار ، جعلنا الله جميعاً ممن قال في ظل رحمته وبات ، وأفاض على فقرنا سحائب بركته في الحياة والممات » انتهى .

وهو في غاية البلاغة ، ولا جرم المنشيء لذلك في أعبي درجات البلاغة ، وهو مجيد في النظم والنثر لكن إجادته في النثر أحسن ، ومما كتبه في صدر رسالة جواب عتاب ^(١) :

قَدْ عَلِمْتَ سَلَمَى وَجَارَاتِهَا	بَأَنِّي وَدَّهْرِي خِذْنِ الْوَفَا
فَلَا أَصُونُ السَّرَّ عَنْهَا وَلَا	أَنْزَحَ عَنْ وَرْدِي عَيْنَ الصُّفَا
إِنِّي لَهَا فِي الْغَيْبِ فَوْقَ الَّذِي	شَهِدَ مِنِّي لَيْسَ عِنْدِي جَفَا
وَلَيْسَ لِي وَجْهَانِ فِي صَاحِبِ	أَوْ صَاحِبِ مَا فِي جَفَا خَفَا

وما بيني وبينه من مكاتبات يخرج في مجلد .

وكان أول ما عرفته بصنعاء ، وهو ينفر عن العمل بالرأي ، ويحث على الاشتغال بالحديث ، ويميل إلى العمل بظاهر الحديث ، ولا يتقيد بمذهب ، وكل أوقاته مستغرقة بالقراءة والإقراء في كتب الحديث ، وبعد استقراره بزييد ، اشتغل بالفروع الفقهية على اختلاف المذاهب ، وصار يملئ المختصرات الفقهية على من هو دونه في العلم بمراحل ، وحث الناس على الاشتغال بكتب الفروع ، وسفه من منع من ذلك ، وانتقد عليه هذا الصنع المشتغل بعلم الحديث من علماء الوقت ، حتى سمعت بعضهم أن هذا أمره الحور بعد

(١) الأبيات من السريع .

الكور»^(١) ، وفي الحقيقة أن ذل ؛ منه مُسايرة لأحوال الزمان ، ومداراة لأهل الوقت خشية من قدح فلان وفلان ، وإلا فعمله الخاص بنفسه على مقتضى الدليل ، والعلم عند الملك الجليل .

وكانت وفاته في شهر جمادى الأولى عام أربع وستين بعد المائتين والألف وسبب موته أنه مع دخول أجناد الشريف الحسن بن محمد بن علي بن أحمد الحسني^(٢) مدينة زبيد لاستخلاص عمه الشريف الحسين بن علي من أسر إمام صنعاء ، والقصة مشهورة قد أملت في التاريخ الذي سميت « الديباج الخسرواني بذكر أعيان المخلاف السليماني » ، فدخل عليه بعض الجنود في عقر بيته بين أهله ، وأجرى على عنقه خنجرًا لم يبق منه غير الحلقوم فلبث يومين وتوفي إلى رحمة الله تعالى ، ففاز في بيته بالشهادة^(٣) ، وهذا عنوان السعادة .

(١) الحور : الرجوع ، الكور : النقصان بعد الزيادة ؛ لأنه رجوع من حال إلى حال ، وفي الحديث : « نعوذ بالله من الحور بعد الكور » معناه : من النقصان بعد الزيادة ، وقيل : معناه من فساد أمورنا بعد صلاحها ، وأصله من نقص العمامة بعد لفها ، مأخوذ من كور العمامة إذا انتقض ليها . اللسان (حور) ، والحديث ورد في مسلم (١٠٥/٤) .

(٢) من أشرف أبو عريش ، وفي عهد عمه الشريف الحسين بن علي تولى له علي الحديدة ، وزبيد والخا واللمية ، وبعد وصول الأتراك وخروج عمه إلى الأستانة نصب نفسه أميرًا على المخلاف ، وجرى بينه وبين الأتراك مناوشات ومواقف ، وكذلك بينه وبين عمه الحسن بن الحسين من أجل إمارة المخلاف ، وبعد استيلاء أمير عسير محمد بن عائض على المخلاف فر الحسن إلى وادي مور وتوفي هناك عام ١٢٨٣ هـ . انظر « عقود الدرر » مخطوط (١٨٣) ، و« نيل الوطر » (٣٥٥/١) و« الديباج » أحداث سنة ١٢٦٧ هـ وما بعدها .

(٣) أورد المؤلف القصة في الديباج الخسرواني في حوادث عام ١٢٦٤ هـ ، والجنود الذين دخلوا زبيد بقيادة الشريف الحسن بن محمد كانوا من قبائل يام ، التي استنجد بها أشرف أبي عريش للهجوم على زبيد ، وفك أسر الشريف الحسين بن علي بن حيدر من سجن الإمام محمد بن يحيى ، عقب الصراع الذي نجم بين الاثنين . لمزيد من التفصيل حول تلك الحوادث : د إسماعيل البشري ، المخلاف السليماني في عهد الشريف الحسين بن علي بن حيدر ، تحت الطبع ، وكذلك : الحسن بن أحمد عاكش ، الديباج الخسرواني ، تحقيق د إسماعيل البشري ، حوادث عام ١٢٦٤ هـ .

وبما قلته مرثياً وكتبت بذلك إلى ولده الأخ العلامة عبد الرحمن بن محمد وإخوانه إلى مدينة صنعاء (١) :

بفبك الثرى يا ناعي العلم والحلم
أذبت فؤادي إذ نعت أخا العلا
أرعت له حتى رعى النجم ساهراً
عرفنا معاني النائبات بموته
أخاف عليه كنت من كل عارض
شهيد توكلي بالدماء مجللاً
فشلت يد الجاني على زهر روضة
به ثلمت والله في الدين ثلمة
لقد نعث الدين الحنيفي بنشره
وقد زينت بالبدر أرض ففاخرت
وقد أشرقت في كل قطر علومه
وأسمع داعي فضله الناس كلها
وغنى الورى في كل صقع بمدحه
تهدم ركن العلم يا ويح طالب
بكى وشجاء الرسم إذ كان حائراً
فجاوبه ورق بمكنون وجده
على طلل قد كان بالعلم أهلاً

وحافظ شرع الله للعرب والعجم
لذلك أضحي وهو في غاية الهم
فمدمعه مازال من حزنه يهمي
وقد كنت لا أدري زماناً سوى الاسم
ولكن سطت أيدي المنون على رغم
ونافع مسك الله من أثر الكلم
من العلم يجني طيب الرطب والكرم
تداعت جبال الحق من ذلك الثلم
لمطوي علم ليس يمنع بالكتم
لتلك السما إذ كان زين بالنجم
وكل تحلى من صبا ذلك الشهم
وأصغى إليه من به علة البكم
فصفق أهل الفضل من طيب النغم
لعلم وقد أرسى على مربع الهدم
فأنحى على صدر من الحزب اللوم
فأملى عليه وأرد الغم والهم
فعفى سوافي الدهر ناضرة الرسم

لَقَدْ عَقَمَتْ كُلُّ النِّسَاءِ عَنْ نَظِيرِهِ
 فَمَنْ لَفَنُونَ الْعِلْمَ مِنْ بَعْدِ فَقْدِهِ
 هُوَ الْحَافِظُ النَّقَادُ مِنْ غَيْرِ رِيَّةٍ
 غَدَا تَرْجُمَانُ النُّورِ يَكْشِفُ بَرْقَعًا
 وَقَدْ زَخَرَتْ مِنْهُ عَلَيْنَا مَعَارِفُ
 وَأَوْدَعَ مَضْمُونُ اللَّالِي لِمَسْمَعِي
 وَمَا السُّنَّةُ الْغَرَاءُ تَعْذِلُ إِنْ بَكَتْ
 غَدَا كَافِلًا لِلْأُمِّهَاتِ بِخَبْرَةٍ
 لَقَدْ صَارَ مِيزَانُ اعْتِدَالٍ بِنَقْدِهِ
 فَمَنْ بَعْدَهُ فِي ذَلِكَ الْعِلْمِ مَنْجَعُ
 وَإِنَّ عُلُومَ الْفَقْهِ حَقًّا تَنْقُصَتْ
 وَلِلنَّحْوِ وَالتَّصْرِيفِ غَيْظٌ مُضَاعَفُ
 وَعِلْمُ أُصُولِ الْفَقْهِ أَضْحَى مُجْنَدَلًا
 وَمَا مَنْطِقُ الْيُونَانِ إِلَّا تَعَطَّلَتْ
 وَعِلْمُ لِمَعْقُولٍ تَنْوَسِي دَقَائِقُ
 فَقُلْ لِأَهْلِ الْعِلْمِ نَوَحُوا لِفَقْدِهِ
 يَجْقُ جَنُوبٌ لَا جِيُوبَ لِفَقْدِهِ
 فَمَنْ غَيْرُهُ يُلْجَأُ إِلَيْهِ ذَوُو الذِّكَا
 وَلَكِنَّهَا الدُّنْيَا مَالُ الَّذِي بِهَا

وَأَنْبَى لَهُ مِثْلُ وَقَدْ سَمِنَ بِالْعَقْمِ ؟
 فَهَنْ لِعَمْرِ اللَّهِ قَدْ صَرَنْ فِي يَتَمِ
 فَمَنْ ذَا يَدَانِيهِ إِذَا خَاضَ فِي عِلْمِ ؟
 لِأَوْجِهِ تَأْوِيلُ الْكِتَابِ عَلَى حَكْمِ
 بِهِنَاقَدْ عَلِمْنَا الْمَدَّ فِي ذَلِكَ الْيَمِ
 وَلَكِنْ دَمَعُ الْعَيْنِ نَشْرَ ذَا النِّظَمِ
 فَإِنَّ لَهَا مِنْ عَمْرِهِ أَوْفَرُ الْقِسْمِ
 وَقَدْ أُمِنْتُ مِنْ حُبِّهِ مِنْ أَذَى الْفَطَمِ
 رَجَالُ أَحَادِيثِ النَّبِيِّ بِلَا وَهَمِ
 فَقَدْ كَانَ كَشَافًا لِذِي الْفَهْمِ وَالْفَدَمِ
 وَأَنْبَى يَرْجَى الْجَبْرِ مِنْ بَعْدِ ذَا الْقَصَمِ ؟
 عَلَى فَقْدِهِ لَكِنْ تَسَلَّتْ عَلَى كَظَمِ
 وَأَنْفُ أُصُولِ الدِّينِ غَوْدَرِ بِالْكَتَمِ
 مَنَازِلُهُ حَتَّى بَكَى حَجَرُ الرَّدَمِ
 حَوَاهُ وَأَضْحَى وَهُوَ فِي غَايَةِ الْعَدَمِ
 فَقَدْ تَرَكَ التَّدْرِيسَ فِي ذَلِكَ الْعِلْمِ
 تُشَقُّ فَهَذَا غَايَةُ الْحَادِثِ الضَّخَمِ ^(١)
 إِذَا دَهَمَتْهُمْ وَارِدَ الْعَضْلِ الدَّهَمِ
 إِلَى الْمَوْتِ لَا تَبْقَى عَلَى النَّهَمِ وَالْقَرَمِ

وَإِنْ صَفَيْتَ حَلَاوَاهَا لِمَغْفَلٍ
وَكُنْ نَاطِرًا فِي فِعْلِهَا فِي زَمَانِنَا
فَإِنْ ضَمَّ فِيهَا الْمَرْءُ شَمْلَ أَمْرِهِ
وَفَرَضَ أُولَى التَّقْوَى التَّأْسَى بِمَنْ مَضَى
وَمَنْ كَانَ أَبْقَى فِي الدُّنَا مِثْلَ نَسْلِهِ
وَنَسْأَلُ رَبَّ الْعَرْشِ يُعْظِمُ أَجْرَهُ
كَذَلِكَ بَنُوهُ مِنْ هُمْ قُدُوةُ الْوَرَى وَمَنْ
وَإِنْ خَصَّصَهُمْ هَذَا الْمَصَابَ فَإِنَّهُ
وَلَكِنَّمَا بِالْمُصْطَفَى يَقَعُ اقْتِدَا
كَذَا آلِهِ وَالصَّحْبُ وَالْحَمْدُ دَائِمًا

فَغَايَةُ ذَلِكَ الْحَلُو يُمَزَّجُ بِالسُّمِّ
فَذَلِكَ يَنْسِي عَنْ جَدِيسٍ وَعَنْ طَسَمٍ
بَنِيْلُ الْمُنَى فَالْخَيْرُ فِي ذَلِكَ الضِّمِّ
وَكُلُّهُ وَإِنْ طَالَ الْحَيَاةُ إِلَى صَرَمٍ
وَجِيهِ الْهَدَى رَفَى لَنَا مَخْرَقَ الْخَطَمِ
وَجَبْرَهُ فِي ذَا الْمَصَابِ الَّذِي يُعْمِي
فَضْلُهُمْ قَدْ أَعْجَزَ الْكَيْفَ بِالْكَمِّ^(١)
لِكُلِّ الْوَرَى قَدْ عَمَّ فِي الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ
عَلَيْهِ صَلَاةُ اللَّهِ مَا وَابِلُ يَهْمِي
لِرَبِّي فِي بَدْيِ الْكَلَامِ وَفِي الْخَتَمِ



(د) فى « نيل الوطر للعلامة المؤرخ محمد محمد زبارة

القاضى محمد بن على العمرانى الصنعانى^(١)

القاضى الحافظ الضابط الناقد المحدث الكبير محمد بن على بن حسين بن صالح بن شايح العمرانى الصنعانى مولده مولده سنة ١١٩٤ هـ ، ونشأ بصنعاء فأخذ عن القاضى محمد بن على الشوكانى فى النحو والمعاني والبيان والتفسير والأصول وفى الأمهات الست وفى « نيل الأوطار » ، و« فتح القدير » وأكثر مصنفات الشوكانى ، وأخذ عن السيد الحسن بن يحيى الكبسى والسيد إبراهيم بن عبد القادر بن أحمد والقاضى عبد الله بن محمد مشحم والقاضى يحيى بن محسن الحبوري وقرأ فى الفقه على الفقيه سعيد بن إسماعيل الرشيدى والقاضى محمد بن حسين الوناني وغيرهم .

وقد ترجمه الشجني فى « التقصار » فقال :

حافظ الآثار ومسند الأخبار العلامة المجتهد الفهامة المتفرد قرأ على علماء عصره وبرع فى كل المعارف لاسيما علوم الحديث ورجاله فإنه فتح عليه فى ذلك وصار المشار إليه فى معرفة الرجال وأسمائهم وكناهم واختلاف طبقاتهم ومراتبهم وعمن أخذوا ومن أخذ عنهم وكذلك فى خفيات علل الحديث ودقائقه فقل أن يشاركه غيره فى ذلك ، وبلغ فى علوم الآلات مبلغ الكملاء وعرف منها ما يعرفه فحول العلماء من ذوى التحقيق والتدقيق مع فهم كامل وذهن سائل وحافظة أعانته على جميع معارفه معدوداً من الأفراد مع صلابة فى

(١) ترجمة الحافظ محمد بن على العمرانى الصنعانى فى كتاب « نيل الوطر من تراجم رجال اليمن فى القرن الثالث عشر » للسيد العلامة المحقق المؤرخ الكبير محمد بن محمد زبارة ج ٢ ص ٢٨٩-٢٩٣ دار العودة ، بيروت .

دينه ومثانة في إيمانه وبقينه واشتغاله بالدرس والتدريس في سائر الفنون وتولى بعض أعمال الشريعة بعفاف وقنوع وعدم طمع وهلوع وكان مطرحاً تكاليف أمثاله في ملبوسه وأخلاقه وخلقه لا يلتفت إلى القال والقال ، ولا يعول على غير الدليل بل ينظر إلى ما قيل لا إلى من قال منذ بلغ مبلغ الرجال ذوي الإنصاف والكمال ... إلخ .

وترجمه شيخه الشوكاني ^(١) فقال :

برع في جميع العلوم الاجتهادية وصار في عداد من يعمل بالدليل وبلغ في المعارف إلى مكان جليل وهو قوي الذهن سريع الفهم جيد الإدراك ثاقب النظر يقل وجود نظيره مع تواضع وإعراض عن الدنيا وعدم اشتغال بما يشتغل به من هو دونه من تحسين الهيئة ولبس ما يشابه المتظاهرين بالعلم وهو يزداد من المعارف العلمية في كل وقت وكثر اشتغاله بعلم الحديث وبرجاله وبالجملة فهو قليل النظر في مجموعته وكثرة فنونه وإتقانه .. إلخ .

وترجمه تلميذه عاكش الضمدي فقال :

خاتمة أهل التحقيق والفائق لأقرانه في أصناف التدقيق له اليد الطولى في جميع الفنون من نحو وصرف ومنطق وأصول وبيان مع إلمام بعلم المعقول ، وأما علم الحديث فهو إمام محرابه والذي لا يلحقه فيه قرين من أهل زمنه وأترابه فهو يستحضر رجال الكتب الستة بحيث لا يخفى عليه من أحوالهم خافية غاية الأمر أنه ناظر القدماء في هذا الفن وبلغ رتبة في الحفظ يقصر عنها أهل الزمن اتفقت به في رحلتي إلى صنعاء سنة ١٢٤٣ هـ وقرأت عليه « شرح الغاية » في أصول الفقه من فاتحته إلى خاتمته ، وأخذت عليه في « صحيح مسلم »

(١) في « البدر الطالع » ، (٢١٠/٢) .

« سنن ابن ماجه » و « مستدرک الحاكم » وغير ذلك ، وكان هو الحاكم في حلقة شيخنا البدر الشوكاني وما تدور مراجعة إلا ويسند بيان إشكالها وإيضاح إبهامها إلى صاحب الترجمة ، وفي آخر المدة وقعت بينهما وحشة كما جرت به العادة بين الأقران وجرت على المترجم له محنة وأودع دار الأدب في صنعاء بسبب تمالؤ الحساد عليه وكاد يعرض على السيف ، وبعد ذلك أفرج عنه وأزج عن وطنه وانتهى خروجه إلى زبيد في سنة ١٢٥٠ هـ ثم هاجر إلى مكة المكرمة ، وأقام بها ثلاث سنين مكباً على نشر العلم ثم استدعاه الشريف الحسين بن علي بن حيدر إلى حضرته وبنى له بيتاً في مدينة أبي عريش ، وأجرى عليه الكفاية الثأمة ، ولبت نحو سنتين ثم ترجع له الانتقال إلى مدينة زبيد ، فأسدى عليه الشريف الحسن الإنعام وقابله بالإجلال والإكرام وبعد استقراره بزبيد اشتغل بالفروع والفقه .. إلخ .

ومن مؤلفات صاحب الترجمة حاشية على سنن ابن ماجه سماها « عجالة ذي الحاجة » وهي حاشية مفيدة جاء فيها بأسلوب مخترع يورد السند بمتنه ويتكلم على رجال السند بما قيل فيهم ، ويجمع الطرق الشاهدة لذلك المتن والاعتبار ويتكلم على معنى الحديث ، وقد كان جعلها أولاً كالتخريج ثم جاوز ذلك إلى شرح السنن ومن مؤلفاته « التعريف بما في التهذيب من قوي وضعيف » في مجلدين ، وهو مؤلف جامع حافل يجمع رجال الكتب التي لم يتكلم على أكثر رجالها مثل « حلية أبي نعيم » وغيرها وله مؤلف في التاريخ ترجم فيه علماء عصره ومن شعره قوله :

إِذَا مَتٌ فَادْعُوا لِي بِغُفْرَانِ زَلَّتِي وَسَحُّوا عَلَى قَبْرِي سَجَالَ التَّرْحِمِ
فَإِنِّي لَكُمْ مَازِلْتُ أَدْعُو مُبَالِغًا بَوَقْتِ ضِيَاءٍ أَوْ بِأَسْوَدِ مُظْلَمِ

وله في حصر من ينسب إليهم التدليس :

إِنَّ الَّذِينَ إِلَى التَّدْلِيلِ قَدْ نَسَبُوا
أَبُو الزُّبَيْرِ ١ وَحُجَّاجٌ ٢ مَعَ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ
وَيُونُسُ ٦ وَحَمِيدٌ ٧ وَالْوَلِيدُ ٨ مَعَ
وَزْدٍ مُغِيرَةَ ١٣ وَالنَّهْمِي ١٤ وَابْنُ أَبِي
كَذَا هَشِيمٌ ١٧ إِمَامُ الْعِلْمِ ابْنُ أَبِي
أَبُو الْيَمَانِ ١٩ سُلَيْمَانُ ٢٠ الْفَرِيدُ بِمَا
كَمَا حَكَاهُ الْإِمَامُ الْحَافِظُ الذَّهَبِيُّ
قَتَادَةُ ٤ سُفْيَانُ ٥ الْعَلِيُّ النَّسَبِ
يَحْيَى ٩ بَقِيَّةُ ١٠ إِسْمَاعِيلُ ١١ مَطْلَبِي ١٢
نَجِيجٌ ١٥ ابْنُ جَرِيحٍ شَامِخُ الرُّبِّ
عُرُوبَةُ ١٨ الْخَيْرُ قَافِي هَذِي خَيْرِ نَبِي
أُوتِيَهُ مِنْ فَضْلِ جَمْعِ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ (١)

وزاد على ذلك تلميذه القاضي محمد بن مهدي الضمدي فقال :

كَذَاكَ مَكْحُولٌ فَاحْذَرْ تَحِلَّ بِهِ وَزْدٌ أَبِي مَجْلَزٍ إِنَّ زِدْتَهُ تُصَبِّ

ولما كان دخول الباطنية من قبائل يام مع الشريف الحسن بن محمد بن علي بن حيدر إلى مدينة زبيد لاستخلاص عمه الشريف الحسين بن علي بن حيدر دخل بعض أهل يام على المترجم له إلى بيته وضربه في عنقه بخنجر ، فلبث يومين ومات شهيداً سعيداً في داره بزبيد في شهر جمادى الأولى سنة ١٢٦٤ هـ عن سبعين سنة رحمه الله تعالى وإيانا والمؤمنين آمين ورثاه تلميذه عاكش الضمدي بقصيدة أولها :

نَعَتْكَ الثَّرَى يَا نَاعِي الْعِلْمِ وَالْحِلْمِ وَحَافِظَ شَرْعِ اللَّهِ فِي الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ

(١) أبو الزبير المكي محمد بن مسلم بن تادرس ، ٢ حُجَّاجُ بْنُ أَرْطَاةَ ٤ قَتَادَةُ بْنُ دَعَامَةَ ٥ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ ٦ يُونُسُ بْنُ زَيْدِ الْبَصْرِيِّ ٧ حَمِيدُ الطَّوِيلِ ٨ الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ ٩ يَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ ١٠ بَقِيَّةُ بْنُ الْوَلِيدِ ١١ إِسْمَاعِيلُ بْنُ الْوَلِيدِ ١٢ مَطْلَبِيُّ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى ١٣ مُغِيرَةُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْخَزَاعِيُّ ١٤ النَّهْمِيُّ مُحَمَّدُ بْنُ إِبرَاهِيمَ ١٥ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ١٧ هَشِيمُ بْنُ بَشِيرٍ السَّلْمِيُّ ١٨ سَعِيدُ بْنُ أَبِي عُرُوبَةَ ١٩ أَبُو الْيَمَانِ الْحَكَمُ بْنُ نَافِعٍ ٢٠ سُلَيْمَانُ الْأَعْمَشُ .

ومنها :

لَقَدْ عَقَمَتْ كُلُّ النِّسَاءِ عَنْ نَظِيرِهِ
فَمَنْ لِفَنُونِ الْعِلْمِ مِنْ بَعْدِ فَقْدِهِ
هُوَ الْحَافِظُ النَّقَادُ مِنْ غَيْرِ رِيَّةٍ
وَقَدْ زَخَرَتْ مِنْهُ عَلَيْنَا مَعَارِفُ
وَمَا السُّنَّةُ الْغَرَاءُ تَعْدِلُ إِنْ بَكَتْ
وَأَنْتَى لَهُ مِثْلُ وَقَدْ سَمِنَ بِالْعَقْمِ ؟
فَهِنْ لِعَمْرِ اللَّهِ قَدْ صَرَنْ فِي يَتَمِ
فَمَنْ ذَا يُدَانِيهِ إِذَا خَاضَ فِي عِلْمِ ؟
بِهَا قَدْ عَلِمْنَا الْمَدَّ فِي ذَلِكَ الْيَمِّ
فَإِنَّ لَهَا مِنْ عَمْرِهِ أَوْفَرَ الْقِسْمِ

(هـ) في «الأعلام» ، ^(١) للزركليمحمد العمراني ^(٢)

(١١٩٤ - ١٢٦٤ هـ - ١٧٨٠ - ١٨٤٨ م)

محمد بن علي بن حسين العمراني الصنعاني : عالم بالحديث ، مؤرخ
لعلماء عصره ، ولد وتعلم بصنعاء ، وعظمت مكانته ، فتمالاً عليه الحساد ،
فاعتقل ، وكان (كذا ، والصواب : كاد) يعرض على السيف ، ثم نُفِيَ إلى
زبيد سنة ١٢٥٠ هـ وهاجر إلى مكة فأقام ثلاث سنوات ، واستدعاه الشريف
حسين بن علي بن حيدر صاحب أبي عريش (باليمن) وبالح في إكرامه ،
فمكث نحو سنتين ورحل إلى زبيد ، فلما دخلتها الباطنية هاجم بعضهم داره
فقتلوه .

(١) الأعلام لخير الدين الزركلي ، المجلد السادس (ص ٢٩٨) طبع دار العلم للملايين (بيروت - لبنان)
الطبعة السادسة (تشرين الثاني « نوفمبر » ١٩٨٤ م) .

(٢) كذا ضبطه في « الأعلام » بكسر العين ، وهو خطأ محض .

له « تاريخ - خ » بخطه ، في مكتبة الجامع بصنعاء (١٦٩ ورقة) ترجم فيه علماء عصره و«عجالة ذوي الحاجة» حاشية على سنن ابن ماجه و«التعريف بما في التهذيب من قوي وضعيف» مجلدان في رجال الحديث ^(١) .

(و) في « أعلام المؤلفين الزيدية ، للوجيه ^(٢)

محمد العمراني

(١١٩٤ هـ - ١٢٦٤ هـ)

محمد بن علي بن حسين بن صالح بن شايح العمراني ، الصنعاني : عالم محدث ، حافظ ، ناقد ، مولده ونشأته بصنعاء ، وأخذ عن علمائها ، وعن الشوكاني في عدة علوم وأكثر مصنفاته حتى برع في المعارف وفاق معاصريه في علوم الحديث وعلمه ورجاله ، ومال إلى تيار الشوكاني .

قال عاكش الضمدي : بعد أن قرأ عليه « شرح الغاية » في أصول الفقه سنة ١٢٤٣ هـ ، وكان هو الحاكم في حلقة شيخنا البدر الشوكاني وما تدور مراجعة إلا ويسند بيان إشكالها وإيضاح إیرامها إلى صاحب الترجمة ، وفي آخر المدة وقعت بينهما وحشة كما جرت العادة بين الأقران ، وجرت على المترجم

(١) في حاشية « الأعلام » : « نيل الوطر (٢٨٩/٢) ، والبدر الطالع (٢١٠/٢) وفي مجلة العرب محرم ١٣٩٤ هـ ص (٥٦٨) أن الصحيح في ضبطه فتح العين ، نسبة إلى مدينة عمران في شمالي صنعاء ، وليس من بني العمراني - بالكسر - الذين منهم يحيى بن أبي الخير المترجم في الأعلام فيما بعد ، قلت : ولم يذكر الكاتب مستنده في فتح عين العمراني « أ. هـ بلفظه من الحاشية المذكورة .

(٢) أعلام المؤلفين الزيدية : عبد السلام بن عبد السلام الوجيه (٩٤٨ - ٩٥٠) ، رقم (١٠٢٦) ، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية ، الطبعة الأولى (١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م) .

له محنة ، وأودع دار الأدب في صنعاء بسبب تمالؤ الحساد عليه ، وكاد يُعرض على السيف ، وبعد ذلك أُفرج عنه ، وأزعج عن وطنه .

قلت : وهكذا ما أن يخالف الشوكاني قاضي القضاة ، والمستشار المؤتمن للمهدي عبد الله الإمام الجائر حتى تُعرض للمُخالف محنة فيودع دار الأدب ، ويكاد يُعرض على السيف أو يلقي مصير السماوي ، لكن المترجم محظوظ إذا يُفرج عنه ويزعج عن وطنه ، ويكتفي بخروجه إلى زبيد ، ولكنه لم يأمن ، فهاجر إلى مكة ، وأقام بها ثلاث سنوات ، ثم استدعاه الشريف الحسين بن علي بن حيدر إلى أبي عريش ، وبنى له بيتاً ، وعاش سنتين ، ثم عاد إلى زبيد وفي سنة ١٢٦٤ هـ ، دخلت قبائل يام مع الشريف الحسن بن محمد بن حيدر لاستخلاص عمه الشريف الحسين بن علي بن حيدر ودخل بعض أهالي يام على المترجم له في بيته وضربه أحدهم في عنقه بخنجر لبث بعده يومين ، ومات بداره في زبيد في شهر جمادى الأولى ، وقد سرد في كتابه «اتخاف النبیه» بعض الذي جرى بينه وبين شيخه الشوكاني ، فأدّى إلى مأساته ووصف تعسف الشوكاني وبعض سيرته ومواقفه التي أنكرها .

• ومن مؤلفاته :

- ١ - أبيات في حصر المدلسين ، نشرها زيارة في « نيل الوطر » .
- ٢ - « تاريخ العمراني تاريخ وتراجم » ، قال الحبشي : - خ - بقلم المؤلف سنة ١٢٥٥ هـ ، جامع الغريبة ، ٣٧ « تاريخ » ولعله الآتي .
- ٣ - « خبر اتخاف النبیه بتاريخ القاسم بن محمد المنصور وبنیه وما نشأ عند بلوغ تناهیه » - خ - رقم (٧٧ ، ٨٨) « تاريخ » أخرى بمكتبة المؤرخ زيارة ، ونسخة بمكتبة القاضي محمد بن إسماعيل العمراني حفيد

المترجم في (٣٣٧) صفحة ، عليها خط الإمام يحيى وابنه محمد ، وملاحظات حفيده المؤلف مصورة بمكتبة السيد محمد بن يحيى المطهر ، وهي في التاريخ التزم فيه السجع ، وهاجم الشوكاني ، وبين مثالبه ، ولعل هذا سبب في عدم نشر الكتاب إلى اليوم .

٤ - « التعريف بما في التهذيب من قوي وضعيف » ، قال الحسيني : يجمع رجال الكتب التي لم يتكلم على أكثر رجالها مثل « حلية الأولياء » وغيره ، وهو في مجلدين .

٥ - « عجالة ذوي الحاجة في شرح سنن ابن ماجه » يقول زبارة : حاشية مفيدة ، جاء فيها بأسلوب مخترع ، فهو يورد السند بمتمته ، ويتكلم على رجال السند بما قيل فيهم ، ويجمع الطرق الشاهدة لذلك المتن .

٦ - « عجالة النظر في مسألة القضاء والقدر » - خ - قال الحبشي : جامع الغريبة ٧ مجاميع ، أخرى بمكتبة الحبشي في (٢٨) ورقة ، بخط المؤلف .

٧ - « فقه الحديث » (فهرس الفهارس ٢٠٨/٢ - ٢٠٩) .

● المصادر : مصادر الحبشي (٧٢ ، ١٤٢ ، ٤٥٥) ، والبدر الطالع (٢١٠/٢) ، ونيل الوطر (٢٨٩/٢) التقصار في جيد زمن علامة الأمصار سيرة الشوكاني - خ - ، فهرس الغريبة (٦٦٢) ، نفحات ولفحات للشامي ، مؤلفات الزيدية (٢٣٣/١ ، ٢٩٤ ، ٢٥٥/٢) ، معجم المؤلفين (٣١٩/١٠) الأعلام (١٩١/٧) ، فهرس الفهارس (٢٠٨/٢ - ٢٠٩) ، والموسوعة اليمنية (٨٢٩/٢) تخاف النبيه - خ - للمترجم .

(٢) ترجمة القاضي العلامة حسين بن محمد العمراني في «أئمة اليمن»

للعلامة المؤرخ زبارة حسين العمراني الصنعاني^(١)

وفيهما (أي سنة ١٣٢٣ هـ) تقريباً مات بصنعاء القاضي العلامة الحسين بن محمد بن علي العمراني الصنعاني أخذ عن أبيه الحافظ الكبير الشهير ، وعن أخيه محمد بن محمد وأخيه عبد الرحمن بن محمد وغيرهم ، وتولى القضاء ببلاد حجة مدة ، ثم عاد في آخر أعوامه إلى صنعاء ومات بها ، وهو أصغر أولاد أبيه رحمه الله .



(١) أئمة اليمن بالقرن الرابع عشر للهجرة « سيرة الفاتح الشهير » : للعلامة المؤرخ محمد بن محمد زبارة (ص ٧٠) .

﴿ ٣ ﴾ ترجمة القاضي العلامة عبد الرحمن بن محمد العمراني

(١) في « نيل الوطر » للعلامة المؤرخ محمد زبارة

عبد الرحمن بن محمد العمراني الصنعاني وعمه أحمد^(١) :

القاضي الحافظ المحدث التقي عبد الرحمن بن محمد بن علي بن حسين ابن صالح بن شايح العمراني الصنعاني ، أخذ عن والده المحقق محمد بن علي وأسمع على القاضي محمد بن علي الشوكاني في « صحيح البخاري » وغيره وأخذ عن السيد محمد بن عبد الرب بن محمد بن زيد بن المتوكل « شرح العمدة » لابن دقيق العيد ، و« شرح القلائد » للنجري ، واستجاز منه ، وأخذ عن القاضي إبراهيم بن يحيى السحولي نزلة قرية القابل المتوفي سنة ١٢٥٣ هـ « شرح الناظري في الفرائض » ، وأخذ عن السيد يحيى بن المطهر بن إسماعيل في « سنن ابن ماجه » وعن السيد الطاهر بن أحمد الأنباري الزبيدي في « شرح الزيد » و« شرح ابن زياد » و« الخبيصي » وعن السيد علي بن إسماعيل بن يحيى بن محسن بن حسين بن أحمد بن الحسن بن القاسم « المناهل » و« الشرح الصغير » و« حاشية الشيخ لطف الله » و« الجامي » وحواشيه ، وعن الفقيه محسن بن حسين الطويل « المناهل » وعن السيد علي ابن أحمد بن حسن الظفري « سنن ابن ماجه » و« سيرة ابن هشام » و« سبل السلام » و« نخبة الفكر » و« التنقيح » ، وعن السيد عبد الرحمن بن سليمان الأهدل « صحيح البخاري » وأوائل الأمهات والمجاميع ، وعن الفقيه

(١) ترجمة العلامة عبد الرحمن بن محمد العمراني الصنعاني وعمه أحمد في كتاب « نيل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر » للسيد العلامة المؤرخ الكبير محمد بن محمد زبارة ج ٢ ص (٣٨ - ٣٩) دار العودة - بيروت .

محمد بن مهدي الضمدي « الغاية في أصول الفقه » و « شرح الأزهار » ،
« المناهل » و « رسالة الوضع وآداب البحث » وغير ذلك ، وأخذ عن الفقيه
إسماعيل بن حسن بن حسن العلفي في « شرح الرضى على الكافية » وفي
« المناهل » وفي « الشرح الصغير » وفي العروض ، وعن السيد أحمد بن زيد
الكبسي في « شرح الغاية » و « شرح الشافية » ، ومن مشايخ المترجم له عمه
أحمد بن علي العمراني المتوفى سنة ١٢٧١ هـ ، فإنه أخذ عليه « شرح الكافل »
في أصول الفقه وقال في أثناء ترجمته له : عمي أحمد العالم الأثري كان
سريع البادرة قوي الإدراك حاضر الجواب حسن المحاضرة استفاد من أبي كثيراً
وقرأت عليه وانتفعت به . انتهى .

وبالجملة فصاحب الترجمة كان من أكابر علماء وحفاظ عصره وله
مؤلفات منها « مختصر السيل الجرار » للشوكاني اقتصر فيه على ذكر الدليل
على مسائل « الأزهار » والكلام المقبول فقط ، ومنها شرح في كراريس على
نظم السيد محمد بن إبراهيم ابن المفضل الشامي « لورقات الجويني » ،
ووجدت بخط المترجم له ما يفيد أنه كان على قيد الحياة في شعبان سنة
١٢٧٢ هـ ولعل وفاته في آخر ذلك أو في سنة ١٢٧٣ هـ رحمه الله وإيانا
والمؤمنين ، أمين .



(ب) في « اعلام المؤلفين الزيدية ، للوجيه »^(١)

عبد الرحمن العمراني

(١٢٧٣ هـ)

عبد الرحمن بن محمد بن علي العمراني ، عالم محدث تقي ، أخذ عن عدد من مشاهير علماء عصره حتى أصبح من العلماء المحققين ، وقد عدد زيارة مشائخه ، وقال : وجدت بخط المترجم له ما يُفيد أنه كان على قيد الحياة في شعبان سنة ١٢٧٢ هـ ولعل وفاته في آخر ذلك العام أو في سنة ١٢٧٣ هـ .

• ومن مؤلفاته :

١ - « سلك اللآلئ المنتسقات شرح نظم الورقات » شرح فيه نظم الورقات في أصول الفقه لمحمد بن إبراهيم المفضل - خ - بقلم المؤلف من ورقة (٩) إلى (٥٨) برقم (١٥٣٢) مكتبة الأوقاف ، وقال الحبشي : وعليه شرح لأحمد بن إسماعيل العلفي بعنوان الجواهر المعتنقات لنظم اللآلئ المنتسقات - خ - بمكتبة خاصة .

٢ - « مختصر السيل الجرار للشوكانى » اقتصر فيه على ذكر الدليل على مسائل الأزهار والكلام المقبول فقط ، كما قال زيارة في نيل الوطر .

• المصادر : مصادر الحبشي (١٦٦ ، ٢٤٥) ، ونيل الوطر (٣٨/٢ - ٣٩) فهرس الوقاف (٨١٩) ، ومؤلفات الزيدية (١٩٨/٢) (٢٠٣٠) ، (٤٤٢/٢) (٢٧٧٣) معجم المؤلفين (١٨٥/٥) .

(١) اعلام المؤلفين الزيدية : عبد السلام بن عباس الوجهي (٥٤٤) رقم (٥٤١) مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية ، الطبعة الأولى (١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م) .

(٤) ترجمة القاضي العلامة محمد العمراني

(١) في « أئمة اليمن » للعلامة المؤرخ زبارة

أبو الدرداء محمد بن محمد العمراني الصنعاني

القاضي الحافظ الضابط الرحالة الشهير الكبير بقية أهل السند العالي وخاتمة من استفاد من رحلته ما قدمه على أرباب العلوم والمعالى محمد بن علي بن حسين بن صالح بن شايع العمراني الصنعاني .

وكناه والده أبو الدرداء ^(١) ، مولده تقريباً سنة ١٢٢٠ هـ عشرين ومائتين وألف ، ونشأ بحجر والده وتخرج به وأخذ عن « صحيح البخاري » و « مسلم » و « السنن الأربع » و « سنن الدار قطني » و « الموطأ » و « مسند أحمد بن حنبل » و « الدارمي » و « مستدرك الحاكم » و « الكشاف وحواشيه » و « تفسير الخازن » و « المطول وحواشيه » و « العضد وحواشيه » و « شرح الرضى » وفي « شرح المحلى » لابن حزم وفي « القاموس » و « الصحاح » و « شرح التقريب » للعراقي و « سيرة المؤرخ الشامي » وغيرها ، وعن القاضي محمد بن علي الشوكاني جميع « صحيح البخاري » و « صحيح مسلم » وبعض المسلسلات وأجازه إجازة عامة ، وأجازه أيضاً السيد عبد الله بن محمد الأمير ، وأخذ عن السيد علي بن أحمد بن حسن الظفري « سبل السلام » و « العدة » و « المناوي على الجامع الصغير » و « المطول » وفي « شرح العضد » وعن القاضي محمد مهدي الضمدي « شرح الأزهار » وجميع « بيان ابن مظفر » و « شرح الغاية » و « حاشية سيلان » ، وعن السيد محمد بن محمد الكبسي « الكاشف » ، عن السيد علي بن إسماعيل بن زيد بن زيد الكبسي « شرح العمدة » وفي « البحر

(١) هكذا والأصح « أبا الدرداء » ويمكن حمله على الحكاية .

الزخار ، وأخذ عن السيد يحيى بن المطهر وعن السيد حسين البغدادي وأسمع المسلسلات وهو دون البلوغ بصنعاء على الشيخ محمد عابد السندي ثم لازمه بمكة وأخذ عنه الأمهات وغيرها واستجاز منه ، وأسمع بزويد على السيد عبد الرحمن بن سليمان الأهدل والسيد طاهر بن أحمد الأنباري والقاضي إبراهيم بن محمد المزجاجي والشيخ محمد عبد اللطيف المشرع والشيخ عباس بن محمد السالمي والشيخ سليمان خليل الزبيدي في الأمهات وكتب التفسير والآلة والأصول والزهد والطب ، وبعد استشهاد ولاده بمدينة زويد في سنة ١٢٦٤ هـ ، انتقل صاحب الترجمة إلى مكة فأخذ بها عن الشيخ عبد الله سراج والشيخ إبراهيم الصمياطي والشيخ يوسف مساوي في كتب الحديث والتفسير ، و«كشف الغمة» للشعراني ، وقد كان جاور مكة مع والده ثلاث سنين ، وعلى الجملة فإن صاحب الترجمة جد واجتهد في طلب العلوم وقام وقعد في تحقيق حدودها والرسوم حتى برع في جميع الفنون وكان خاتمة أهل السند العالي لعلم الرواية في عصره باليمن الميمون ، ومن أجل من أخذ عنه واستجاز منه إمام القراء السيد علي بن أحمد الشرفي الحسني الصنعاني ومحمد بن عبد الملك الأنسي وشيخنا السيد علي بن أحمد السدسي الروضي والقاضي الحسن بن الحسن الأكوخ والسيد عبد الله المجاهد وغيرهم ، وتولّى أوقاف مدينة ثلاث مدة ثم الأوقاف الخارجية بصنعاء ، وكان يحضر مجلس الإدارة في يومي انعقاده من كل أسبوع كما كانت العادة في أعوام الحكومة التركية بصنعاء بحضور ناظر الأوقاف الخارجية ، ومجلس الإدارة مع سائر الأعضاء فيه ، ولما طلب منه تلميذه القاضي محمد بن عبد الملك الإجازة أجازها في محرم سنة ١٢٩٦ هـ إجازة مطوّلة ، وكتب معها هذه الأبيات :

يُعْطِرُ الْكَوْنَ نَشْرُهُ
عَلَى الْأَصَائِلِ بَشْرُهُ
قَدْ زَيْنَ الدَّهْرَ زَهْرُهُ
وَدَادَهُ بَلْ وَقْدَهُ
وَنَظَّمُ بِهِ زَانَ دَرِهِ
يُنَبِّئُكَ عَنْ ذَاكَ نَشْرُهُ
فِي مَوْقِفٍ أَنْتَ بَدْرُهُ

أَهْدِي إِلَيْكَ سَلَامًا
وَلَمْ يَزَلْ مُسْتَجِدًّا
أَذَكَّى مِنَ الْمِسْكِ عُرْقًا
يَعْلُو عَلَى كُلِّ فَرْدٍ
رَايَاتُهُ خَافَقَاتُ
أَوْدَعَتْهُ صِدْقٌ وَدِّي
فَاسْلَمْ لَكَ الْخَيْرَ يَسْمَعِي

فأجاب عليه القاضي محمد قبل أن يتحقق أن روي أبيات شيخه مضمومة

بقوله :

مَا جَاوَزَ النُّجْمَ قَدْرُهُ
لَا يُدْرِكُ النَّاسَ سَبْرُهُ
يُدْرِي مِنَ الْيَمِّ قَعْرُهُ
فِي سَكْرَةٍ ثُمَّ فِكْرُهُ
لَدَيْكَ قَدْ صَرَّ دَرُهُ
وَخَطُّهُ قَدْ زَانَ سَطْرُهُ
إِلَّا وَوَفَاءَهُ ذِكْرُهُ
فَلَسْتُ أَهْلًا لِذَرِهِ
أَبْهَى مِنَ الرُّوْضِ نَضْرُهُ
وَمَا عَلَى الْأَرْضِ خَضْرُهُ
قَابِلَتْ دُرًا بِبِعْرِهِ
بِیَوْتِ نَظْمِي عَوْرُهُ

أَهْدَيْتَ لِي يَا إِمَامًا
مِنْ بَحْرِ نَظْمِكَ دَرًا
أَنْتَى وَكَوَيْفَ وَمَنْ ذَا
تَرَكْتَ رَبَّ الْقِيَامِ فِي
فَمَا أَرَى صَرَّ دَرٍ
وَالْمُهَقِّ الْفَرْدِ قَدْ جَا
وَلَمْ يَدْعُ لِي مُرَادًا
وَمَا حَوَى مِنْ مَدِيحِي
ثُمَّ السَّلَامَ عَلَيْكُمْ
مَا جَرَى فِي الْأَرْضِ نَهْرُ
وَاعْذِرْ فِدَيْتِكَ إِنِّي
وَاسْبِلْ لَكَ الْفَضْلَ سِتْرًا

ثم كتب القاضي محمد بن عبد الملك في سلخ صفر سنة ١٣٠١ هـ إلى شيخه المترجم له هذه الأبيات يطلب إبعاده لسماع « موطأ مالك » برواية يحيى بن يحيى ، و« سنن ابن ماجه » :

سَقِي سَحْبَ الرُّضَا دَهْرًا حَبَانِي	وَصَالَ أَحَبَّتِي فَلَبَسْتُ تَاجَهُ
وَكُنْتُ أَنَا النَّدِيمُ لِأَهْلِ وَدِي	أَقْضِي مِنْ مَنَائِي كُلِّ حَاجِهِ
وَأَحْلَى مَسْمَعِي دُرًّا وَأَجْلَى	بُوجَه الْبَدْرِ عَنْ عَيْنِي عَجَاجِهِ
وَمَا أَغْنِي سِوَى بَدْرِ الْمَعَالِي	قَرِين السَّعْدِ مُحَمَّدٌ لِلْحَاجِهِ
رَضِيعُ الْعِلْمِ وَالتَّقْوَى صَغِيرًا	وَمُذْ كِفْلَاهُ قَدْ صَارَا مَزَاجِهِ
وَمَوْلَى الْمَكْرَمَاتِ فَغَيْرَ بَدْعِ	إِذَا أَبَدَتْ بِهِ الْعَلِيَا نَفَاجَهُ ^(١)
أَبْنُ لِي أَيُّهَا الْمَوْلَى أَيْقُضِي	لَنَا الدَّهْرَ الَّذِي أَبْدَى اعْجَاجِهِ
بِجَمْعِ الشُّمْلِ وَالْمَقْصُودِ وَقْتُ	لِإِمْلَاءِ الْمَوْطَأِ وَابْنِ مَاجِهِ
وَنَجْنِي زَهْرَ رَوْضِ الْعِلْمِ غَضًّا	وَنَسْلُكُ فِي الْحَدِيثِ بِهِ فَجَاجِهِ
وَنَحْيِي لِلْقَا بَيْتًا قَدِيمًا	وَنُوسِعَ مِنْ تَنَائِينَا شَجَاجِهِ
فَهَبْ لِي مِنْكَ فِي الْأُسْبُوعِ يَوْمًا	يُدِيرُ الْأَنْسَ فِيهِ لَنَا زَجَاجِهِ

فكان تعيين صاحب الترجمة بعد صلاة الجمعة من كل أسبوع لدرس « الموطأ » وبعد إكماله شرعاً في درس « سنن ابن ماجه » حتى عاق حِمَام المترجم له عن إتمام درسها فمات ليلة الأربعاء عشرين من شعبان سنة ١٣٠٢ هـ عن اثنتين وثمانين من مولده تقريباً ، وقبر في السعدي جنوبي مدينة صنعاء ، وقد رثاه تلميذه محمد بن عبد الملك مع السيد محمد بن علي

الأمير المتوفى قبله بأربعة أيام بقوله :

أَبْدُو النُّجُومُ الزَّاهِرَاتِ اللَّوَامِعِ
وَتَبَّتْ أَفْلَاكُ الْمِظْلَةِ فِي الْهَوَا
وَهَذِي نُجُومُ الْأَرْضِ فِي التُّرَابِ غِيَّبَتْ
زُرَيْدِكَ يَا رَبِّ الْمُنُونِ أَخَذَتْ مِنْ
سَمِي رَسُولَ اللَّهِ نَجْلَ ابْنِ يُوسُفَ الْ
وَأُسْتَاذَنَا قُطْبَ الرُّشَادِ وَمُسْنَدَ الْ
خَلِيلَانِ فِي وَرْدِ الْحِمَامِ تَسْرَعَا
وَبَدْرَا هُدًى غَابَا عَلَيْنَا وَأَشْرَقَتْ
وَكُنَّا عَلَى هُدًى النَّبِيِّ يَحَافِظَا
لِيُبَكِّهَهُمُ الْعِلْمُ الشَّرِيفُ مَعَ التُّقَى
أَتَى الْمَوْتَ أَحْبَابِي فَمَنْ لِي بِمِثْلِهِمْ
وَلَكِنْ رَضِينَا بِالْقَضَاءِ وَهَلْ تَرَى
وَقَدْ نَادَتْ الدُّنْيَا عَلَيْنَا بِأَنْهَا
وَهَلْ نَحْنُ إِلَّا كَالْوَدَائِعِ عِنْدَهَا
وَمَا هِيَ إِلَّا الْمَاءُ وَالنَّاسُ فَوْقَهُ
فَصَبْرًا عَلَى الْخُطْبِ الْمَلَمِّ فَهَذِهِ
وَلِلَّهِ مَا هَذِي السَّعَادَةُ قَدْ حَوَى
غَرِيقَ وَمَاشٍ نَحْوَ مَسْجِدِ جُمُعَةٍ
وَحَافِظَ قُرْآنٍ عَلَى ظَهْرِ قَلْبِهِ

وَيَنْشَقُّ مَعْرُوفٌ مِنَ الْفَجْرِ صَادِعُ
وَتَبَقَى عَلَى ظَهْرِ الْبِلَادِ الْمَوَاضِعِ
وَأَلَقَتْ عَصَاهَا عَنْ لِقَاهَا الْمَطَامِعِ
لِمَوْتِهِمْ تَغَشَّى الْبِلَادَ الزُّعَارِعِ
أَمِيرَ عَلَى نَهْجِ الْهُدَى وَهُوَ يَافِعِ
بِلَادَ فِدَعٍ مَا يَدْعِيهِ الْمَنَارِعِ
كَمَا كُنَّا كُلُّ فِي الْمَرَاضِي يَسَارِعِ
بِنُورِهِمَا فِي الْجَنَّتَيْنِ مَطَالِعِ
فَقَدْ لَحِقُوهُ فِي الْمَمَاتِ وَتَابَعُوا
وَيَنْدِبُهُمْ قُرْآنَنَا وَالْجَوَامِعِ
إِذَا جَمَعْتَنَا يَا ابْنُ دِي الْمَجَامِعِ
فَتَى سَأَلْتَهُ فِي الْحَيَاةِ الْفَجَائِعِ
لَنَا وَلَخَلَقَ اللَّهُ طَرَا مِصَارِعِ
وَلَا بَدَّ يَوْمًا أَنْ تُرَدَّ الْوُدَّعِ
حَبَابٍ وَعَنْ قُرْبٍ تَزُولُ الْفَقَاقِعِ
الطَّرِيقَةُ فِيهَا لِلْجَمِيعِ مَشَارِعِ
مُحَمَّدُ الشَّابِ التُّقَى الْمُتَوَاضِعِ
وَطَالِبُ عِلْمٍ وَالتَّخَبُّطِ رَابِعِ (١)
وَصَائِمُ نَفْلٍ فِي الْإِنَابَةِ طَامِعِ

به من إلهما لإعطائه مانع
وقد جاء فيها ما حوته الجوامع
لنشر علوم تحتسيها المسامع
زماناً وفي صنعاء لدى العلم تابع
وأخبائه سبحت والشيخ راع
وجدع عرنيين المكارم جادع
طوال المرآني والطيور السواجع
حكّت نثر عقد الشهب وهي البدائع
وقد رق لي هذا الروي المضارع^(١)
لتمسي به الأجداث نعم المضاجع
ذنوباً وما لي غير فقري شافع
وأصحابه مادام في الأرض صانع

على هذه لاقى الحمام عناية
وواحدة من هذه ترقى به
وأستاذنا مازال يدأب عمره
ثوى في زبيد برهة وبمكة
وإن رمقت عينك بعض صلاته
فقد ثلم الإسلام حقاً بموته
على مثل هذين الفقيدتين فلتنح
وقد نظم الأعلام فيهم مرثياً
فحرك مني نظمها كامن الأسى
ويأرب زر قبر الفقيدتين بالرضا
وجد لي بحسن الختام فضلاً فإن لي
وصل على طه الرسول وآله

وأنبأ أهل هذا البيت في عامنا سنة^(٢) ١٣٦١ هـ طالب العلم النقي
الذكي الألمي محمد بن إسماعيل بن محمد بن علي العمراني ، مولده في
ربيع الأول سنة ١٣٤٠ هـ .

(عمران)

والعمراني نسبة إلى بلاد عمران بفتح العين المهملة^(٣) على مسافة مرحلة
شمالاً من صنعاء .

(١) أي المشابه .

(٢) قال القاضي العمراني في تعليقه على هذا الموضوع من نسخته : « وعمرى (٢١) عاماً ، وكنت
في هذا العام أقرأ في « شرح الغاية » وفي « الكشف » و « البحر » و « الروض النضير » و « نيل
الأوطار » و « سنن النسائي » .

(٣) قال القاضي محمد بن إسماعيل العمراني تعليقاً على هذا : « هذا هو الواقع ، وهو المطابق لما ذكره
المؤرخ محمد بن علي العمراني في « تاريخه » ، وقد كان شيخ شيوخنا المولى الحسين بن علي
العمري يقول : « إنه العمراني » بكسر العين ، والصحيح هو الأول (أي الفتح) . ا . هـ . بخطه .

(ب) في « نزهة النظر » للعلامة المؤرخ زبارة

القاضي العلامة محمد بن محمد بن علي العمراني^(١)

(وهو جد القاضي محمد بن إسماعيل العمراني)

القاضي العلامة الحافظ الضابط الرحالة المسند محمد بن محمد بن علي بن حسين بن صالح بن شائع العمراني اليمني الصنعاني ، مولده تقريباً سنة ١٢٢٠ هـ ونشأ في حجر والده الحافظ الكبير محمد بن علي وأخذ عنه « صحيح مسلم » و « سنن أبي داود » و « سنن الترمذي » و « سنن ابن ماجه » و « موطأ مالك » و « مسند الدارمي » و « مسند أحمد بن حنبل » و « سنن الدارقطني » و « مستدرك الحاكم » و « الكشف » وحواشيه ، وغير ذلك ، وأخذ عن شيخ الإسلام القاضي محمد بن علي الشوكاني بعض مؤلفاته والمسلسلات بالأولية وبالفقهاء وبالمصافحة وبالحبة وأوائل الأمهات وجميع « صحيح البخاري » و « صحيح مسلم » .

وأجازه إجازة عامة وألبسه خرقة الصوفية السيد العلامة عبد الله بن محمد بن إسماعيل الأمير وأخذ عن السيد علي بن أحمد الظفري وعن القاضي الحافظ محمد بن مهدي الضمدي وعن السيد الكبير أحمد بن زيد الكبسي وعن غير هؤلاء ، ورحل مع والده إلى مدينة زيد وأخذ عن السيد عبد الرحمن بن سليمان الأهدل المتوفى سنة ١٣٥٠ هـ وأخذ عن السيد الطاهر بن أحمد الأنباري الزبيدي وعن مفتي الحنفية بزيد العلامة إبراهيم بن محمد المزجاجي وعن غير هؤلاء .

(١) ترجمة القاضي العلامة محمد بن محمد بن علي العمراني جد القاضي محمد بن إسماعيل العمراني في كتاب « نزهة النظر في رجال القرن الرابع عشر » للسيد العلامة المحقق المؤرخ الكبير محمد بن محمد زبارة جـ ٢ ص (٥٨٠ - ٥٨٢) الطبعة الأولى ١٩٧٩ م .

وبعد استشهاد والده الحافظ محمد بن علي العمراني سنة ١٢٦٤ هـ بمدينة زبيد عندما دخلت إليها قبائل يام ، رحل صاحب الترجمة إلى مكة المكرمة وأسمع بها على الشيخ العلامة عبد الله سراح المكي وعلى الشيخ إبراهيم الصمباطي ، وكان قد جاور مع والده بمكة سابقاً ثلاث سنين وأخذ عن الشيخ محمد عابد السندي في سنة ١٢٥٦ هـ ، وبالجملية فإن صاحب الترجمة جد واجتهد في طلب العلم وحقق ودقق مفاهيمها ومنطوقها ، وقد تتلمذ له وأخذ عنه بعد رجوعه إلى صنعاء جماعة من أكابر علماء القرن الرابع عشر .

ومن أخذ عنه السيد العلامة علي بن أحمد الشرفي والقاضي الحافظ محمد بن عبد الملك الأنسي والقاضي الحسن بن حسن الأكوخ والقاضي إسحاق بن عبد الله المجاهد ، وقد تولّى أوقاف مدينة ثلاث مدة من الزمن ثم نظارة الأوقاف الخارجية ، وكان عالماً عاملاً ورعاً تقياً فاضلاً وقوراً حسن الأخلاق والسيرة ، وقد أجاز تلميذه السيد علي بن أحمد الشرفي إجازة مطوّلة في شعبان سنة ١٢٩٣ هـ وأجاز تلميذه القاضي محمد بن عبد الملك الأنسي في محرم سنة ١٢٩٦ هـ .

وكتب إلى تلميذه المذكور مع الإجازة هذه الأبيات :

أَهْدِي إِلَيْكَ سَلامًا	يُعْطِرُ الْكَوْنُ نَشْرَه
وَلَمْ يَزَلْ مُسْتَجِدًّا	عَلَى الْأَصْلَائِلِ بِشْرَه
أَذْكَى مَنْ الْمَسْكِ عُرْقًا	قَدْ زَيْنَ الدَّهْرَ زَهْرَه
يَعْلُو عَلَى كُلِّ فَرْدٍ	وَدَادَهُ بَلْ وَقُـدْرَه
رَأْيَاتُهُ خَافَقَاتُ	وَنَظْمُهُ زَانَ دَرَه
أَوْدَعَتْهُ صِدْقَ وَدِّي	يُنَبِّئُكَ عَنْ ذَاكَ نَشْرَه
فَاسْلَمْ لَكَ الْخَيْرَ يَسْعَى	فِي مَوْقِفٍ أَنْتَ بَدْرَه

وبعده نشر لطيف ، فأجاب القاضي محمد - رحمه الله - ارتجالاً قبل أن يتحقق أن أبيات شيخه مضمومة الراء ، فقال :

أَهْدَيْتَ لِي يَا إِمَامًا	مَا جَاوَزَ النُّجْمَ قَدْرُهُ
مَنْ بَخَّرَ نَظْمَكَ دَرًا	لَا يُدْرِكُ النَّاسَ سَبْرُهُ
أَنْتَى وَكَكَيْفَ وَمَنْ ذَا	يُدْرِي مِنَ الْيَمِّ قَعْبَرُهُ
تَرَكَتَ رَبَ الْقِسْوَافِي	فِي سَكْرَةٍ ثُمَّ فِكْرُهُ
فَمَا أَرَى صَرْدَر	لَدَيْكَ قَدْ صَرْدَرُهُ
وَالْمَهْقُ الْفَرْدُ قَدْ جَا	وَحْطُهُ قَدْ زَانَ سَطْرُهُ
وَلَمْ يَدْعَ لِي مُبَرَّادَا	إِلَّا وَوَفَّاهُ ذِكْرُهُ
وَمَا حَوَى مِنْ مَدِيحِي	فَلَسْتُ أَهْلًا لِذَرُهُ
ثُمَّ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ	أَبْهَى مِنَ الرُّوضِ نَضْرُهُ
مَا جَرَى فِي الْأَرْضِ نَهْرٌ	وَمَا عَلَى الْأَرْضِ خَضْرُهُ
وَاعْذُرْ فِدَيْتِكَ إِنِّي	قَابَلْتُ دُرًّا بِبِعْمَرُهُ
وَاسْئَلْ لَكَ الْفَضْلَ سِتْرًا	بِیَوْتِ نَظْمِي عَوْرُهُ

وكتب القاضي محمد في سلخ صفر سنة ١٣٠١ هـ إلى شيخه صاحب الترجمة هذه الأبيات يطلب منه سماع موطأ مالك برواية يحيى بن يحيى وسنن ابن ماجه :

سَقِي سُبَّ الرُّضَا دَهْرًا حَبَانِي	وَصَالَ أَحْبَبْتِي فَلَبَسْتُ تَاجَهُ
وَكُنْتُ أَنَا النَّدِيمُ لِأَهْلِ وَدِّي	أَقْضِي مِنْ مَنَائِي كُلِّ حَاجَهُ
وَأَحْلَى مَسْمَعِي دُرًّا وَأَجْلَى	بُوجِهِ الْبَدْرِ عَنْ عَيْنِي عَجَاجَهُ

وَمَا أَغْنِي سِوَى بَذْرِ الْمَعَالِي
رَضِيعُ الْعِلْمِ وَالتَّقْوَى صَغِيرًا
وَمَوْلَى الْمَكْرَمَاتِ فَغَيْرَ بَدْعٍ
أَبْنِ لِي أَيُّهَا الْمَوْلَى أَيْقُضِي
بِجَمْعِ الشَّمْلِ وَالْمَقْصُودِ وَقْتُ
وَنَجِّنِي زَهْرَ رَوْضِ الْعِلْمِ غَضًّا
وَنَحْيِي لِلْقَائِمِ قَدِيمًا
فَهَبْ لِي مِنْكَ فِي الْأُسْبُوعِ يَوْمًا
قَرِينَ السَّعْدِ مَحْمُودَ اللِّجَاجِ
وَمُذْ كِفْلَاهُ قَدْ صَارَ مَزَاجِهِ
إِذَا أَبَدَتْ بِهِ الْعَلِيَا نَفَاجِهِ
لَنَا الدَّهْرَ الَّذِي أَبْدَى اعْوِجَاجِهِ
لِإِمْلَاءِ الْمَوْطَأِ وَابْنِ مَاجِهِ
وَنَسْلِكَ فِي الْحَدِيثِ بِهِ فَجَاجِهِ
وَنُوسِعُ مِنْ تَنَائِينَا شَجَاجِهِ
يُدِيرُ الْأُنْسَ فِيهِ لَنَا زَجَاجِهِ

فكان يتعين صاحب الترجمة بعد صلاة الجمعة من كل أسبوع لدرس الموطأ ، وبعد إكماله كان الشروع في درس سنن ابن ماجه ، حتى عاق صاحب الترجمة الحمام عن إتمامه ، وكانت وفاته بصنعاء في شعبان سنة ١٣٠٢ هـ عن نيف وثمانين سنة وقبر في مقبرة السعدي جنوب مدينة صنعاء .



(ج) فى « تحفة الإخوان ، للقاضى العلامة

عبد الله عبد الكريم الجرافى

القاضى العلامة محمد بن محمد العمرانى ^(١)

هو القاضى العلامة محمد بن محمد بن علي بن حسين بن صالح بن شايع العمرانى الصنعاني ، مولده بصنعاء ونشأ بها وأخذ عن شيخ الإسلام القاضى محمد بن علي الشوكاني ، والسيد العلامة أحمد بن زيد الكبسي ، وعن والده القاضى العلامة الحافظ محمد بن علي العمرانى ، وعن صنوه القاضى عبد الرحمن بن محمد .

وأخذ عنه جماعة من أهل العلم ، منهم القاضى العلامة محمد بن عبد الملك الأنسي ، والعلامة سحاق بن عبد الله المجاهد ، وتوفي في شعبان سنة ١٣٠٢ هـ ، وخلف القاضى إسماعيل بن محمد ، تولى بعض أعمال الوقف ، وكان مشكوراً حتى مات وخلف ولدين صالحين محمداً ^(٢) وهو الأصغر وهو مقبل على القراءة بذهن سابق وحافظة ، وصنوه عبد الرحمن ^(٣) أكبر منه وهو من الموظفين بوزارة المواصلات والصحة .



(١) ترجمة القاضى العلامة محمد بن محمد العمرانى فى كتاب « تحفة الإخوان بحلية علامة الزمان حليف السنة والقرآن المولى شيخ الإسلام المعمر الحسين بن علي العمري » تأليف القاضى العلامة فخر الدين عبد الله عبد الكريم الجرافى (ص ٣٠ - ٣١) حاشية (٢) .
(٢) وهو شيخنا القاضى العلامة محمد بن إسماعيل العمرانى - حفظه الله - .
(٣) وقد توفي فى مدينة تعز سنة ١٤١٦ هـ - رحمه الله - .

(٥) ترجمة القاضي العلامة

إسماعيل بن محمد بن محمد بن علي العمراني (١)

(والد شيخنا القاضي محمد بن إسماعيل العمراني)

هو القاضي العالم الفاضل إسماعيل بن محمد بن محمد بن علي العمراني ولد تقريباً سنة ١٢٨٥ هـ ، وأخذ عن أبيه بعض مبادئ العلوم العربية والفقهية في آخر عمر والده ، إذ توفي والده سنة ١٣٠٢ هـ ، والمترجم له لم يتجاوز عمره السابعة عشر ، كما أخذ عن القاضي العلامة علي بن حسين المغربي - رحمه الله - ، وعن غيره من علماء صنعاء في ذلك العصر ، وتولى بعض الأعمال المتعلقة بالأوقاف والصايا ، وكان فاضلاً ورعاً تقياً يحبه الصغير والكبير ، وكان محل احترام وتقدير عند جميع من عرفه أو جاوره أو زامله في العمل ، كما كان في بعض الأحيان يقضي بين من يتراضى على الحضور لديه لحل النزاع وقطع الشجار أو قسمة بعض التركات ، وخلف من الأولاد الذكور ولدين ، أحدهما : عبد الرحمن وهو الكبير ، والثاني : محمد وهو الصغير ، وكان ولده عبد الرحمن قاضياً عالماً أديباً مثقفاً ، لكنه لم يبلغ من العلم مثل أخيه محمد .

وقد عمل في عدة وظائف منها كاتباً في الديوان الملكي للإمام أحمد في تعز أيام الملكية ، وعضواً في المحكمة الشرعية الاستثنائية بمحافظة تعز في العصر الجمهوري ، وتوفي - رحمه الله - في ربيع الثاني سنة ١٤١٦ هـ ، وكان موت القاضي إسماعيل - رحمه الله - في سنة ١٣٤٤ هـ عن عمر يقرب من الستين ، وعمر ولده القاضي محمد بن إسماعيل العمراني حينئذ أربع سنوات .

(١) كتب هذه الترجمة شيخني القاضي محمد بن إسماعيل العمراني - حفظه الله - بطلب مني ، فجزاه الله خيراً .

﴿٦﴾ ترجمة القاضي العلامة محمد بن إسماعيل العمراني

(١) في « نزهة النظر » للعلامة محمد زبارة

القاضي العلامة محمد بن إسماعيل العمراني (١) :

القاضي العلامة محمد بن إسماعيل بن محمد بن محمد بن علي العمراني مولده بصنعاء سنة ١٣٤٠ هـ وطلب العلم في النحو والأصول والفقه والحديث ، وأخذ عن السيد عبد الخالق بن حسين الأمير والقاضي عبد الله بن محمد السرحي والقاضي حسن بن علي بن حسين المغربي ، وعن كاتب الأحرف (٢) في سنن النسائي وغيرها (٣) ، وجد في سماع كتب الحديث ، وهو حسن الحفظ قوي الذاكرة جميل الخط حسن الإملاء ، وقد قام بالتدريس في كتب الحديث بمسجد الفليحي (٤) ، وصنوه عبد الرحمن (٥) من الأدباء النبهاء وهو من الموظفين بمدينة تعز ، ووالدهما القاضي إسماعيل كان قائماً على وصية عصر ويصرفها لطلبة العلم بحسن أخلاق وعفة وسيأتي ذكر جد

(١) ترجمة القاضي العلامة محمد بن إسماعيل العمراني في كتاب « نزهة النظر في رجال القرن الرابع عشر » للسيد العلامة المحقق المؤرخ الكبير محمد بن محمد زبارة جـ ٢ ص (٥١٠ - ٥١١) الطبعة الأولى ١٩٧٩ م .

(٢) هو العلامة أحمد زبارة مفتي الجمهورية اليمنية السابق - رحمه الله - .

(٣) علق على هذا فضيلة القاضي محمد بن إسماعيل العمراني في حاشية نسخته من « نزهة النظر » فقال : « والقاضي علي بن حسين المغربي والقاضي يحيى العنسي والقاضي عبد الوهاب الشماحي والسيد عبد الكريم الأمير والسيد أحمد الكحلاني والسيد محمد السراجي والسيد أحمد زبارة والشيخ علي الدبب والشيخ محمد البهلولي والقاضي علي الأنسي والقاضي عبد الله حميد وغيرهم ، واستجاز القاضي عبد الله الجرافي والقاضي عبد الله السرجي والقاضي محمد السماوي والسيد محمد زبارة والسيد أحمد زبارة والشيخ منصور عبد العزيز نصر والشيخ عبد الواسع الواسعي والسيد قاسم إبراهيم .

(٤) وكتب القاضي العمراني بخطه معلقاً على هذا فقال : « كما درس في مسجد الزبير وفي المعهد العالي للقضاء وفي جامعة صنعاء وفي المدرسة العلمية وفي جامعة الإيمان » .

(٥) وقد توفي رحمه الله سنة ١٤١٦ هـ في مدينة تعز .

صاحب الترجمة القاضي محمد بن محمد بن علي ، أما جده القاضي محمد بن علي وولده القاضي عبد الرحمن بن محمد بن علي فهما من رجال القرن الثالث عشر وهم أهل بيت يحبون الحديث وأهله مع حفظ وضبط لرجال الحديث والعمل به

وللقاضي عبد الرحمن مؤلف في ذلك كما أن لوالده القاضي محمد بن علي تاريخ مبني على السجع^(١) ذكر فيه بعض أعمال القاسم وأثنى على المؤيد الصغير محمد بن المتوكل على الله إسماعيل زهده وورعه وتناولوا الآخرين ، كما أثنى على ولديه محمد وعبد الرحمن .

والعمراني بفتح العين المهملة نسبة إلى مدينة عمران ، شمال مدينة صنعاء على نحو مرحلتين .



(١) ويسمى « الخاف النبیه فی تاریخ القاسم وبنیه » وهو مخطوط .

(ب) في « اعلام المؤلفين الزيدية » ، للوجيه^(١)

محمد العمراني

(١٣٤٠ هـ - معاصر)

محمد بن إسماعيل بن محمد بن محمد بن علي العمراني ، عالم ، محدث فقيه ، من أعيان علماء العصر ، مولده بصنعاء ، وطلب العلم وأخذ عن مجموعة من مشاهير علماء عصره ، وعكف على تدريس كتب الحديث والإفتاء ، وتولّى عددًا من الوظائف ، وهو اليوم من العلماء المشهورين ، ومن المتأثرين بالشوكانى وابن الأمير ، وغالبًا ما يرجع في فتواه إليهما ، هو عضو التجمع اليمني للإصلاح^(٢) .

• ومن مؤلفاته :

١ - « الزيدية في اليمن » كتيب طبع في القاهرة ضمن مجلة الرسالة^(٣) وطبع ثانية سنة ١٤١٠ هـ عن دار التراث اليمني^(٤) .

٢ - « مجموعة الفتاوى » تزيد على عدة مجلدات - خ - .

• المصادر : نزهة النظر (٥١٠) .



(١) اعلام المؤلفين الزيدية ، عبد السلام بن عباس الوجيه (٨٧٣ - ٨٧٤) رقم (٩٣١) مؤسسة الإمام

زيد بن علي الثقافية ، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م .

(٢) يقول القاضي : لم أكن عضواً في أي حزب يوماً ما ، ولكن نعين أهل الخير في خيرهم .

(٣) الصواب : مجلة « رسالة الإسلام » الصادرة عن ما يسمى بدار التقريب ، وأما « الرسالة » بالألف

واللام وبدون إضافة فهي اسم المجلة الأدبية التي كان يديرها الأديب الكبير أحمد حسن الزيات - رحمه الله - فانتبه للفرق .

(٤) بدون إذن أو علم المؤلف - حفظه الله - .

المصادر والمراجع (١)

- ١- « حياة الإمام الشوكاني » (المسمى كتاب التقصار في جيد علامة الأقاليم والأمصار شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني) تأليف العلامة الشنجي ١٢٦٨ هـ ، حققه وعلق عليه محمد بن علي الأكوع ، مكتبة الجيل الجديد - صنعاء - الطبعة الأولى (١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م) .
- ٢- « أئمة اليمن بالقرن الرابع عشر للهجرة » « سيرة الفاخ الشهير » للعلامة محمد بن محمد زبارة ، المطبعة السلفية (مصر - القاهرة) .
- ٣- « تحفة الإخوان بحلية علامة الزمان حليف السنة والقرآن المولى شيخ الإسلام المعمر الحسين بن علي العمري المتوفى في غرة شوال سنة ١٣٦١ هـ » ، تأليف القاضي عبد الله عبد الكريم الجرافي ، المطبعة السلفية (مصر - القاهرة) ١٣٦٥ هـ .
- ٤- « البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع » ، الإمام محمد بن علي الشوكاني ، دار المعرفة (بيروت - لبنان) بدون تاريخ .
- ٥- « حدائق النعام في الكلام علي ما يتعلق بالحمام أحمد بن محمد الحيمي الكوكباني » ، تحقيق عبد الله محمد الحبشي ، الدار اليمنية للنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية (١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م) .
- ٦- « البنية القبلية في اليمن بين الاستمرار والتغير » ، فضل علي أحمد أبو غانم مطبعة الكاتب العربي (١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م) .

(١) هذه بعض المصادر لا كلها ؛ لأن العمل في هذا البحث استمر ما يقارب الستين ، ففقدت بعض الكتب ، وبعضها كنت مستعمرة ، وليس بين يدي الآن ، فلا أذكر من هذه إلا عنوانها ومؤلفها ، بدون الطبعة والتاريخ ودار الطبع ، فلا فائدة من ذكرها هنا .

- ٧ - « نظام القضاء في الإسلام » القاضي محمد بن إسماعيل العمراني ، معهد القضاء العالي (اليمن - صنعاء) (١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م) .
- ٨ - « نزهة النظر في رجال القرن الرابع عشر » للعلامة محمد بن محمد زبارة ، وأتمه ولده أحمد زبارة ، تحقيق ونشر مركز الدراسات والأبحاث اليمنية الطبعة الأولى (١٩٧٩ م) (اليمن - صنعاء) .
- ٩ - « نيل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر » ، العلامة محمد بن زبارة ، إعداد مركز الدراسات والبحوث باليمن - صنعاء ، دار العودة بيروت .
- ١٠ - « مساجد صنعاء عامرها وموفيها » ، العلامة محمد بن أحمد الحجري الطبعة الثانية ، مطبعة دار إحياء التراث (بيروت) ١٣٩٨ هـ .
- ١١ - « صفة جزيرة العرب » ، لسان اليمن الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني ، تحقيق محمد بن علي الأكوع ، مركز الدراسات والبحوث اليمني صنعاء ، الطبعة الثالثة (رمضان ١٤٠٣ هـ - حزيران ١٩٨٣ م) .
- ١٢ - « نشر العرف لنبللاء اليمن بعد الألف » (إلى سنة ١٣٧٥ هـ) للعلامة محمد بن محمد زبارة ، مركز الدراسات والبحوث اليمني صنعاء ، دار الآداب - بيروت ، الطبعة الثانية (١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م) .
- ١٣ - « اللهجة اليمنية في النكت والأمثال الصنعانية » ، زيد بن علي عنان دار الكلمة صنعاء .
- ١٤ - « ثورة ١٩٤٨م الميلاد والمسيرة والمؤثرات » ، إعداد مركز الدراسات والبحوث اليمني صنعاء ، طبع دار العودة بيروت ، الطبعة الأولى (١٩٨٢ م) .
- ١٥ - « رياح التغيير في اليمن » أحمد بن محمد الشامي ، الطبعة الأولى (١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م) .
- ١٦ - « المقتطف من تاريخ اليمن » ، القاضي عبد الله بن عبد الكريم الجرافي ،

منشورات العصر الحديث (بيروت لبنان) الطبعة الثانية (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م) .

١٧ - « نفحة اليمن فيما يزول بذكره الشجن » ، أحمد بن محمد الشرواني دار آزال (بيروت) والمكتبة اليمنية (صنعاء) ١٩٨٥م .

١٨ - « وصف صنعاء مسئل من كتاب المنشورات الطبية » ، للسيد العلامة الرئيس جمال الدين علي بن عبد الله بن القاسم بن المؤيد بالله محمد بن القاسم بن محمد الشهاري (المتوفي بعد سنة ١١٧٦هـ) ، تحقيق عبد الله محمد الحبشي ، المركز الفرنسي للدراسات اليمنية (اليمن - صنعاء) طبعة أولى (١٩٩٣م) .

١٩ - « مسالك الأبصار في ممالك الأمصار » ، محمد بن صالح بن الحسن العصامي الصنعاني ، تحقيق محمد بن علي الأكوع ، مركز الدراسات والبحوث اليمني (صنعاء) ، الطبعة الأولى (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م) .

٢٠ - « أدب الطلب » للإمام محمد بن علي الشوكاني ١٢٥٠هـ ، تحقيق ونشر مركز الدراسات والأبحاث اليمنية (اليمن - صنعاء) ، ١٩٧٩م .

٢١ - « كنت طبيباً في اليمن » ، كلودي فايان ، تعريب محسن أحمد العيني ، دار الكلمة (اليمن - صنعاء) الطبعة الثالثة (١٩٨٥م) .

٢٢ - « الأنكواء » للإمام الحافظ ابن الجوزي (٥٩٧هـ) حققه وقدم له أسامة عبد الكريم الرفاعي ، مؤسسة عز الدين للطباعة (بيروت - لبنان) (١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م) .

٢٣ - « جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع » للسيد أحمد الهاشمي ، دار الفكر (بيروت - لبنان) (١٤١١هـ - ١٩٩١م) .

- ٢٤ - كتاب « مجمع الأمثال للميداني » (مختارات) الأستاذ محمد علي قاسم ، مكتبة المعارف (بيروت - لبنان) (١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م) .
- ٢٥ - « المستطرف من كل فن مستظرف » شهاب الدين الأبشيهي (٨٥٠ هـ) منشورات مكتبة دار الحياة للطباعة والنشر (١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م) .
- ٢٦ - « الرحيق المختوم » الشيخ صفى الرحمن المباركفوري ، طبعة ثانية .
- ٢٧ - « هجر العلم » للقاضي العلامة إسماعيل الأكوخ .
- ٢٨ - « المتجر الرابع فى ثواب العمل الصالح » الحافظ الدمياطي ، قرأه وأمر بطبعه عبد الملك بن دهيس (١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م) .
- ٢٩ - « الطريق إلى الحرية » (مذكرات العزى صالح السنيدار) ، أعد المذكرات للنشر الأستاذ علي بن عبد الله الواسعي ، الطبعة الثانية سبتمبر ١٩٩٨ م .
- ٣٠ - « أنا عائد من جنوب الجزيرة العربية » أحمد السقاف ، الطبعة الرابعة ١٩٨٥ م .
- ٣١ - « الموسوعة اليمنية » مؤسسة العفيف الثقافية (اليمن) تنفيذ دار الفكر المعاصر (لبنان - بيروت) الطبعة الأولى (١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م) .
- ٣٢ - « الدرارى المضية شرح الدرر البهية » الإمام محمد بن علي الشوكاني دار الفيحاء (عمان) ودار الجليل (صنعاء) ، الطبعة الأولى (١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م) .
- ٣٣ - « فتاوي اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء » جمع وترتيب أحمد عبد الرزاق الدويش ، طبع ونشر رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء (الرياض - السعودية) ، الطبعة الأولى (١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م) .
- ٣٤ - « موسوعة العذاب » عبود الشالجي ، الدار العربية للموسوعات ، بدون تاريخ .

- ٣٥ - « أزمنة التاريخ الإسلامي » تأليف الدكتور عبد السلام الترماني ، أشرف على طبعه قسم التراث العربي بالمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت (١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م) .
- ٣٦ - « مُصلح اليمن محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني » (دراسة حياته وآثاره) عبد الرحمن طيب بعكر ، مكتبة أسامة (تعز - اليمن) ودار الروائع (دمشق - سورية) الطبعة الأولى (١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م) .
- ٣٧ - « مختصر الشمائل المحمدية » للترمذي ، اختصره وحققه الألباني ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع (الرياض) الطبعة الرابعة (١٤١٣ هـ) .
- ٣٨ - « اليمن الخضراء مهد الحضارة » محمد بن علي الأكوع ، مكتبة الجيل الجديد ، الطبعة الثانية (١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م) .
- ٣٩ - « فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير » الإمام الشوكاني (١٢٥٠ هـ) حققه وخرج أحاديثه الدكتور عبد الرحمن عميرة دار الوفاء (المنصورة - مصر) الطبعة الأولى (١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م) .
- ٤٠ - « فتح الغفار » (المشتمل على أحكام سنة نبينا المختار ﷺ) للقاضي العلامة الرباعي ، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات (بيروت - لبنان) ، الطبعة الثانية (١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م) .
- ٤١ - « كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس » للعلامة العجلوني ، دار إحياء التراث العربي (بيروت - لبنان) الطبعة الثالثة (١٣٥١ هـ) .
- ٤٢ - « تمييز الطبيب من الخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث » للعلامة الحافظ ابن الديبع ، الناشر دار الكتاب العربي (بيروت - لبنان) بدون تاريخ .

- ٤٣- «تقريب التهذيب» ابن حجر العسقلاني ، حققه محمد عوامة ، دار الرشيد (حلب - سوريا) الطبعة الأولى (١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م) .
- ٤٤- « ذكريات لا مذكرات » الأديب ثروت أباطة .
- ٤٥- « أخبار الظراف والمتماجنين » للحافظ ابن الجوزي .
- ٤٦- « الزواجر عن اقتراف الكبائر » للفقير أحمد بن حجر الهيتمي ، ضبطه وحققه أحمد عبد الشافي ، دار الكتب العلمية (بيروت - لبنان) الطبعة الأولى (١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م) .
- ٤٧- « جواهر الأدب » للسيد أحمد الهاشمي ، دار الفكر ، الطبعة الثلاثون
- ٤٨- « الحاوي المساوي السماوي » للعلامة يحيى بن المطهر بن إسماعيل (١٢٦٨ هـ) مخطوط .
- ٤٩- « أعلام المؤلفين الزيدية » عبد السلام بن عباس الوجيه ، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية ، الطبعة الأولى (١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م) عمان - الأردن .
- ٥٠- « العلماء الغزأب الذين أثروا العلم علي الزواج » عبد الفتاح أبو غدة ، مكتبة المطبوعات الإسلامية ، الطبعة الثانية (١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م) .

٥١- مجلات :

- (أ) البيان اللندنية .
- (ب) الإرشاد اليمنية .
- (جـ) الشقائق اليمنية .
- (د) النور اليمنية .
- (هـ) مجلة العالم الإسلامي اللندنية .
- (و) « المدد » نشرة فلسطينية تصدر في اليمن .
- (ز) الأسرة السعودية ، وملحقها المساء .

الفهرس

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة	٣
القاضي العمراني أدياً وظرفياً	٦
١ - قصتك غريبة يا حاج علي	٩
٢ - بيع الخل	١١
٣ - لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى	١٢
٤ - حمل العمامة أهون من حمل أمانة	١٤
٥ - سمع الله لمن خذره	١٤
٦ - على مذهب الطنبجة	١٥
٧ - صاحب مسجد الفليحي وعبد الذكي	١٧
٨ - خادم الشامي وأنس بن مالك	١٨
الفائدة الأولى : إبراهيم بن إسماعيل الأمير	١٩
الفائدة الثانية : اجتهد العلامة الشامي بعدم صحة إقرار	
تمليك النساء لأقربائهن	٢١
٩ - احتياطاً	٢٣
١٠ - أحد :. أحد	٢٤
١١ - ماشي اليمنية والمصرية	٢٥
١٢ - امتنع عن الخروج من النار	٢٦
١٣ - فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس	٢٦
١٤ - ذكاء إياس	٢٧
١٥ - يا الله أسقينا الغيث	٢٨
١٦ - أهلاً بأخ الأب أبصري	٢٨
١٧ - مسألة تحتاج إلى تفكير	٢٩
١٨ - أنا أخطب أهل ثلا أم أنت	٢٩

- ١٩ - إنما الأعمال بالنيات ٣٠
- ٢٠ - سنة ضرطة الخطيب ٣٢
- ٢١ - يس والحلبة ٣٤
- ٢٢ - من يرث من ؟ ٣٧
- ٢٣ - تفضلوا عليه به ٣٨
- ٢٤ - لا رحم الله الصينيين ٣٨
- ٢٥ - كفن للميت الذي لم يمّت ٣٩
- ٢٦ - البخاري يذكر فضائل الإمام علي رضي الله عنه ٤١
- ٢٧ - رؤيا الشوكاني للأمر في المنام ٤٣
- ٢٨ - المسفلة ٤٥
- ٢٩ - لا يقتل مرتين ٤٩
- ٣٠ - لو اجتمع عليه أهل صنعاء لقتلتهم به ٥٠
- ٣١ - الطبقة تصد عن دين الله عز وجل ٥١
- ٣٢ - عنزة ولو طارت ٥٣
- ٣٣ - أخرج هذا العبد ٥٤
- ٣٤ - انقلاب عسكري في تعز ٥٦
- ٣٥ - التوقيت جائز ٥٧
- ٣٦ - أجر تعليم القرآن ٥٨
- ٣٧ - خير الأسماء ما عطط ٥٨
- ٣٨ - فقه امرأة ٥٩
- ٣٩ - شهادة الفاسق ٦٠
- ٤٠ - البوارد التسع ٦٢
- ٤١ - حسن التعليل وسرعة البديهة ٦٥
- ٤٢ - بأرة وبغرة وبقرة ٦٦
- ٤٣ - لنا بقية يومنا يا يهودي ٦٧
- ٤٤ - عقلاء المجانين ٦٨

- ٤٥ - أهلاً وجبلاً ٦٩
- ٤٦ - العنوه لعنه الله ٧٠
- ٤٧ - الزلابيا هي القاتل ٧٢
- ٤٨ - عصمت إينونو واليمن ٧٢
- ٤٩ - الأسد في حضن العلامة الشماحي ٧٣
- ٥٠ - قاسم العزي والسفير المصري ٧٥
- ٥١ - ملك مصر ٧٦
- ٥٢ - سيقع قتل ودماء ٧٦
- ٥٣ - لا لي ولا لك ولا للبطاط ٧٧
- ٥٤ - أنا كبسي ٨٠
- ٥٥ - كلهن شوعات ٨١
- ٥٦ - خلق الله كباسي ٨١
- ٥٧ - قيدوه .. زوجوه ٨٣
- ٥٨ - نبوغ الشوكاني ٨٤
- ٥٩ - الإمام أحمد والثعابين ٨٥
- ٦٠ - نجاسة الميت ٨٦
- ٦١ - يا ليتها كانت القاضية ٨٧
- ٦٢ - نصراني يصلي بمسلم ٨٩
- ٦٣ - فسد حجك ٩٠
- ٦٤ - أيهما أفضل صنعاء أم تعز ؟ ٩٠
- ٦٥ - نتيجة بيت الفقيه ٩٢
- ٦٦ - الحلقة المفقودة ٩٣
- ٦٧ - سيف الإسلام والكلب الإنجليزي ٩٥
- ٦٨ - نصف متر من البز لوزير العدل ٩٦
- ٦٩ - الشوكاني والقبيلي ٩٦
- ٧٠ - أردت عمراً وأراد الله خارجة ٩٨

- ٧١ - فإن تُرد الزيادة هات بطناً ١٠٠
- ٧٢ - أمير الشعراء وسيف الإسلام ١٠٢
- ٧٣ - أشأم من جبة السياغي ١٠٤
- ٧٤ - أكذب على الله ١٠٧
- ٧٥ - صنائع المعروف تقي مصارع السوء ١٠٨
- ٧٦ - لو أنت يهودي يا شوكاني ١١٣
- ٧٧ - كودهم رضوا بي (الحمد لله أن قد رضوا بي) ١١٤
- ٧٨ - قد سمه فيه ١١٤
- ٧٩ - الدين قبل الورثة ١١٥
- ٨٠ - يوم أنت ويوم هيه ١١٦
- ٨١ - رضي الله عن سيدنا جدر ١١٧
- ٨٢ - المعتبر رضاها ١١٨
- ٨٣ - ذهب بولد فعادت بولدين ١١٩
- ٨٤ - سلم مال التاجر وإلا أذنت ١٢٠
- ٨٥ - نصيحة للقضاة ١٢٦
- الملحق مجموعة تراجم بيت العمراني ١٣٣
- مصادر تراجم بيت العمراني ١٣٥
- شجرة بيت العمراني المبارك ١٣٧
- ترجمة القاضي العلامة محمد بن علي بن حسين العمراني ١٣٨
- ترجمة القاضي العلامة حسين بن محمد بن علي العمراني ١٦٤
- ترجمة القاضي العلامة عبد الرحمن بن محمد بن علي العمراني ١٦٥
- ترجمة القاضي العلامة محمد بن محمد بن علي العمراني ١٦٨
- ترجمة القاضي العلامة إسماعيل بن محمد بن محمد العمراني ١٧٩
- ترجمة القاضي العلامة محمد بن إسماعيل بن محمد العمراني ١٨٠
- المصادر والمراجع ١٨٣
- الفهرس ١٨٩